

**فقه المعنى**  
**نظره جديده اصيله**  
**في**  
**فلسفة اللغة العربيه**  
**تأليف**  
**جمال حسنين ابوطوق**

**2022**



## تقديم بقلم الكاتب الروائي

محمد النجار

تماماً كما عرفته منذ نصف قرن تقريباً، ظلّ الدكتور جمال أبو طوق شغوفاً بالولوج الى الطرق الصعبة حتى لو قلّ سالكوها . لا تستهويه الطرق المعبّدة السهلة وربما الشهرة الكامنة فيها، لذلك كان من القلّة القليلة التي ولجت هذا العنوان .

يدخلنا الكاتب في كتابه "فقه المعنى"، في متاهات اللغة، في سراديبها التي ربما . لم نفكر بها من قبل، محاولاً تفسير الظواهر المختلفة وتعقيدات الفلسفة ربطاً باللغة بطريقة جميلة رغم صعوبة الموضوع . همّة المشروع القومي العام والمحاولات الدائمة لطمسه، الذي، من الواضح، أنّه يؤرّقه ويقض مضجعه الحال الذي وصلنا إليه، لأن "طمس الهوية" يجعلنا "نُساق كالعبيد" كما يصف هو نفسه ويضيف أن هدفه "استعادة وعي حضاري مغيب، وهوية عريقة مُستهدفة".

إنه يحمل هذا الهم مُذ عرفته وما زال، لذلك إنّ وافقته أو عارضته فأنت تحترمه وتحترم هذا المشروع الكبير الذي يحاول حمله على كتفيه، وهذا الجهد الكبير الذي، دون شك بحاجة للكثيرين كي يصل هذا المشروع الى نهاياته الواعدة. إنه إذن يريد ثقافة تستدعي الوعي النابع من الأمة ذاتها كما يؤكد.

يناقش الكاتب اللغة ليصل إلى أنها في المضمون فكر وفي الشكل لفظ، وأن الكلمة جوهر مادته المعنى واللفظ شكله وقالبه. ثم يسير بنا بهدوء وتأنّ وتفصيل عبر المعنى والفكر، ليصل

لهدفه في مفهوم الهوية، حيث يُسهب في السباحة في بحرها، ليصل الى خلاصته أنّ " هوية أي قوم أو أمّة هي ما تمتاز به شخصيتها، ويستند وجودها الحضاري إلى هوية تُعبّر عن شخصيتها المميّزة والفاعلة".

يُسهب أيضاً الكاتب حول اللغة والمعرفة، كيف كان العقل وسيلة أساسية من وسائل البقاء عند الإنسان، كيف تحوّل لدى الإنسان جزءاً من غريزة البقاء إلى عقل، مع ما يرافق هذا التحوّل إلى تحوّل في اللغة والمنطق . ثم كيف اتسعت اللغة وتعايرها لتستوعب التنوّع في مت طلبات الحياة، وتطورت وارتقت بالعقل وتنوع تفكيره واتساع آفاقه . كما كيفية حصول المعرفة عند الإنسان ودور العلم في المعرفة وانعكاس ذلك على اللغة نفسها، فهناك كما يقول فرق لغوي بين العلم والمعرفة، " فالعلم معرفة منضبطة في قواعد محددة وقوانين" وينبغي "فصل هذه التفرقة بين المواضيع المعرفية كاللغة والفلسفة والعلوم الإنسانية".

يسير بنا أيضاً متعمّقاً إلى مقومات الثقافة المعرفية الحضارية من المعيار العقلي لمعيار النقد ومعيار الواقع والبساطة والأصالة والمعاصرة ، كضرورة " لامتلاك وعي قادر على استعادة دور حضاري على مسرّح الحضارة البشرية " من جديد.

أظنه كتاب يستحق القراءة. محمد النجار

## تقديم بقلم الاستاذ اكرم جابر

توطئة واطلالة على كتاب الكاتب الدكتور جمال حسنين أبو طوق بعنوان (فقه المعنى) وهذا يستدعي التعرض لتعريف الفقه واللغة والمعنى

**حيث عرف الفقه :** بأنه الفهم المطلق والفتنة وقيل في معنى الفقه الفهم الدقيق فقُهِتِ الكَلامُ أي بمعنى فهمت ما يقصده وما أخفاه .

**يُقالُ فقُهِتِ** الكلام أي بمعنى فهمت ما يُقصد به وما أخفى وراؤه من مقاصد أخرى .

**اللغة:** هي نسق من الإشارات والرموز تشكل أداة من أدوات المعرفة.

**المعنى :** هو ما يدل عليه لفظ من مضمون أو فحوى أو دلالة بكل ما باللفظ من عبر، وتعتبر اللغة أساس هذا النشاط المعرفي دونها يتعذر نشاط الناس المعرفي ذلك أن اللغة ترتبط بالتفكير ارتباط وثيق فمن خلالها تصاغ دوما هذه الأفكار في قالب لغوي حتى في حال التفكير الباطني الصامت عند التأمل وهي صوت تصدر عن

---

الحنجرة واللسان البشري تُعلم أغراضهم وغاياتهم وهي  
بالمفهوم الوظيفي نظام للتواصل لنقل المعاني التي تعبر  
عن الأهداف والغايات وللتعبير عن ما يجول بالنفس  
وللتعامل مع الأشياء

و المعنى أمر يتم تداوله لتحقيق غرضين أساسيين إما يكون ركنٌ  
في زوال الأُمم وإما ركنٌ بقاء ، فالمعنى بهذا السياق هو القاءُ  
للِهْزائم أو القائد للانتصارات و العمل على أساسه هو الطريق  
إما سقوطاً وإما صعوداً ، والمعنى يستوطن الدماغ ويشكل  
الإدراك بأنواعه النافع والضار والمهزوز والمتيقن يجمع كل  
الصور وهو بهذه الصورة متوالية لا تنتهي . والمعنى أداة تأمل  
لكشف المجاهيل ، أو لخلق أدوات جديدة ، فهو بهذا السياق أداة  
ودون معنى نافع ، فللبشر تغدو أحياءٌ أُخَر يحكمها صراعُ  
الغاب . فللمعنى في طبيّاته يحفظ أسباب البقاء أو أسباب الفناء  
ومن هنا تكمن أهمية هذا العنوان موضوع الكتاب الذي تعرض  
له الدكتور جمال حسنين أبو طوق .

إن فقه المعنى عنوان لم يتطرق إليه أحد من قبل ما يُلقَى حملاً  
كبيراً ثقیلاً على الكاتب لسبر غور هذا الفقه الوليد وكان عليه  
التعرض لجملة من العناوين التي ترتبط فيما بينها ويؤثر كل  
منها بالآخر ، ومنها مفهوم الهوية بوصفه معنى تكمن فيه بذرة  
العروبة بماهي معنى يخصهم ، وكيف نمت وتكاثرت هذه  
البذرة وأُمتت ثابتاً من ثوابت البقاء ، وأُضفي عليها هاله قدسيه

بوصفها سلاح البقاء الأول في مرجعية الإدراك ، ونتيجة لعوامل لصراع البشري تحاول الأمم الأخرى التسلل من خلال هذا المفهوم بوصفه سدا عليهم تجاوزه لسلب ثروات العرب والهيمنة على جغرافيتهم . وجاءت بفضلات معرفية براقه لامية ومعها الأساطير والخرافات وحلت بالعقل العربي محل قيم الوحدة والكرامة والشجاعة والكرم والتضحية والأنفة والتكافل والتعاون والتكامل ، بوصفها أدوات ومعاني وأسلحة بقاء الأمة . هي حروب المعنى التي أوجبت على الكاتب البحث بمعنى الوعي والفلسفة والمنطق والفكر والبيان والثقافة ومفردات الوطني والقومي والانتماء والشعور والإحساس والوجدان ، وعموماً كل ما يسكن العقل ، إضافة للعصبية بمعنى عصب الوجود وركنه و مفهوم الأنا والنحن والغريزة والأرض والوطن والقطيع والأمة والإنفعال والإدراك والجهل والإحساس والعاطفة وليس أخيراً الأنا والإنية والماهية والعلاقة بين كل هذه المفردات والمعاني والمسميات . وعلاقتها باللغة و علاقة اللغة بها ، وعلاقة الواقع بنفعه وضره بإنتاج هذه المعاني الخاصة باللغة العربية اللغة الأم والإحاطة بها من حيث تعريفها اللغوي وتعريفها الوظيفي والفصل بين ما هو عقلي وما هو غريزي ، ثم التمييز بينها وبين ما يشبهها باللغة الإنجليزية بصفة الأخيرة دخيلة على هذه الأمة تحمل في معظم الأحيان في طياتها السموم وعدم الدقة . وهدفه الإفهام بالبرهان ليصل القارئ للقناعة بذاته وليست الغاية منه التسليم والإيمان .

---

هي محاولة وإطالة على هوية هذه الأمة التي حاول الغرب  
وما زال يحاول النيل منها بالخرافات والأساطير والأكاذيب  
والمفردات التي تظهر بأنها تحمل معنى وهي من المعنى خواء  
هي فضلات لا أكثر استهدفت عقل الأمة .

إن غاية الكاتب من هذه الإطالة بعنوان فقه المعنى تتصدى  
للمعنى بوصفه ركناً أساسياً في تكوين الهوية العربية هوية  
العرق العربي ، لإزالة الغبار عنها والأساطير والخرافات وما  
اختلط بها . فهي لفصل معاني البناء عن معاني الهدم الدخيلة  
وهنا كان لزاماً على الكاتب أن يأخذ القارئ إلى كيفية ولادة  
المعنى لدى العرب في الماضي السحيق بوصفه السلاح الأعظم  
في قائمة أسلحة البقاء هو سلاح فرضته أخطار الطبيعة القاسية  
فكان أساسه التواصل والتعاون لاتقاء الخطر أو رده مهما كان  
مصدره . والمعنى بوصفه سلاح البقاء الأمثل كان أول ما  
قدس العرب وتناقلوا مفرداته من جيل إلى جيل حتى خلدوه  
بالشعر قبل الكتابة ليسهل حفظه وتوثيقه ، فحمل الحكمة  
ومشاعر العز والأنفة كسياج دفاعي لا يجوز لأحد أن يتخطاه .  
حتى أمست هذه الحكم والمقدسات سياجاً لا يجروء أحد على  
تخطيه لأن الرد عند العرب على الخطر مباشر وحاسم وفوري  
قالت العرب على لسان شعراؤها : (ألا لا يجهلن أحد علينا  
فنجهل فوق جهل الجاهلین ) ، وهذه المقدسات هي أركان  
الهوية العربية التي دونها لا بقاء لهذه الأمة ولهذا العرق ولا  
وجود لمن تماهى معها من الأعراق الأخرى . هي هوية نتاج



تجارب عنيفة قارعت الخطر في الزمن السحيق في بيئات غاضبة تمكنوا من خلالها خلق فكرة الدولة الحديثة التي شرعت القوانين وابتكرت الملاحة والسدود والرماح والسيوف ، معان اخضعت الخطر حيناً ودمرته حيناً واتقت شروره أحياناً . كل هذا كان يتصدى له المعنى والمعنى بهذا الوصف عند العرب قانون لا يموت فيتكاثر ويلد القوانين الإجتماعية اللازمة للحياة كما لا تموت قوانين الفيزياء والكيمياء . لكن الصراع على الثروات والذي هلّ على الأمة بسبب ثرواتها وجغرافيتها التي تتوسط ملتقى القارات المأهولة جعلت من هذه الأمة ومن هويتها هدف هذه الأمم الطامعه ، خصوصاً الغرب الذي كان عليه كي يهيمن على هذه الأمة وثرواتها وجغرافيتها أن يبدأ باعتناق أديانها وفهم مفردات معانيها ليحتال عليها ويتسلل اليها ويسمها بمعان غير قابلة للصرف تحسبها لك وهي عليك ، محاولاً تمزيق قيم المعنى الخاصة بالأمة العربية في تمكن من تحييدها هي لا تموت بحجج ومسميات من أساطير وخرافات وكذب وإن ألبسها ثوب الورود وثوب العطور وثوب الجمال .

هذا الكتاب جاء ليخلص هوية الأمة التي هي حافظة معانيها البانية والتي لا تموت من الأساطير والأضاليل والغبار المعرفي الذي اجتاحتها منذ ما قبل سقوط الخلافة العثمانية مرواً بسايكس بيكو وحتى تاريخه ، تاريخ معاهدات السلام والتطبيع والسطحية والسذاجة والتفنت والتصدي لاستثمار الغرب ل في

---

معاني لامعة براقه كالحرية و الديمقراطية و حقوق الانسان  
والمثليين لابقاء الأمة فُتات .

فلتهناً الأمة باسترداد هويتها التي لا تموت ولتهناً بالوحدة  
والسيادة والقرار هي محاولة تستحق القراءة .....

**اكرم عمر جابر**

## شكر وتقدير

اشكر الاصدقاء محمد النجار واکرم جابر على هذا التقديم  
الرائع كما اشكر الاصدقاء الاعزاء : **المهندس وليد  
الشوملي والدكتور لؤي كراجہ** لما قدموه من دعم لاجراج  
هذا العمل ، واشكر مقدما د،**خالد الخطيب** لجهوده .

والى اخي الحبيب **جلال حسنين ابوطوق** كل التقدير لما بذله  
ويبذله من جهد لاصدار هذا الكتاب . ولكل الاخوه والاهل  
والاصدقاء لهم مني كل محبه وتقدير .

**جمال ابوطوق**



---

## المحتويات

17	تصدير
21	المقدمه
29	الفصل الاول معنى وعي الهوية
35	معنى الوعي
39	الوعي واللغه
43	الوعي والشعور
49	اصالة الوعي
57	الفصل الثاني اللغه والفائز
64	المعنى والفكر
66	المعنى
69	الفكر
88	للغه بين الذكر والفكر

---

90	اطوار المعنى
94	الفصل الثالث اللغة والمعرفة
97	المعرفة والعلم
101	الاسم والمسمى والمعنى
105	اللغة الكلية والجزئية
116	اللغة والمعرفة النظرية
130	مقومات ثقافته عربيه
135	الفصل الرابع العلاقة بين المعاني
136	تقسيم العلاقات
145	التداخل بين العلاقات
147	انواع العلاقات
147	الاقتران
162	التداخل
164	التضمن
166	الاضافه
173	علاقات العلّيه والسببيه واللزوم
192	صفات العلاقات

197	تلخيص العلاقات
199	الفصل الخامس المعنى والدلالة
200	معنى المعنى
206	المعنى والدلالة بين الاسم والمسمى
214	دلالة اللفظ على المعنى
216	دلالة الاسم
219	المعنى البسيط والمركب
230	تصنيف الدلالات
233	1-دلالة المقال -
234	الدلالة اللفظية
239	الدلالة المعنوية
242	دلالة الاقتران
246	الدلالات التركيبية
240	المتداخله
246	المتخارجه

---

محتويات

250 الدلالة السببيه

254 2 دلالة المقام

---

258 اطوار الدلالة

---



## تصدير

لأجل استعادة وعي حضاري مغيب، واستعادة هوية حضارية عريقة مستهدفة، لأجل أجيال تمتلك وعياً بهويتها وتتمسك بانتمائها، نكتب ما نكتب عسى أن يبلغ صدق كلماتنا عقولاً، ويستقر في صدر جيل ما قادم، يتمكن من جعل حضارة هذه الأمة تنبؤاً مكاناً لأنقا على مسرح الحضارة البشرية مجدداً.

كنت قد أصدرت عام 2009 كتاب مابعد الطبيعة لارسطو، عن دار البراق بيروت، وهو أهم كتب أرسطو الجامعة لفلسفته، ومن أصعبها، لأنه يبحث في مبادئ الوجود الأولى المجردة، وقد ترجمة العرب ابتداء من عصر المأمون وتعاقب على ترجمته مترجمون بعصور لاحقة فهو في 14مقالة، لكن لم يبق من هذه الترجمات سوى ما ورد في تفسير ابن رشد للكتاب، وتنقصه 3 مقالات كاملة، وفقرات كثيرة وتصحيف، ماجعل الوقوف عليه ناقصاً. فقامت بترجمة النقص عن ترجمات انجليزيه للنص الاصلي، وتعديل التصحيف، وكتبت شروحاً، واستعنت بشروح ابن رشد

---

وغيره من الشراح ولم يتصدى لهذا العمل منذ الف عام احد،  
لجامعة او مؤسسة علمية لتعاد صياغته بالشكل الصحيح وفق  
الترجمات الاصلية، مع ان الغرب ترجم عديد من الترجمات  
لهذا العمل عن نسخ مختلفة.

ومحاولتنا وان كانت تتضمن ملاحظات كثيرة، لكنها على أي  
حال محاولة يمكن البناء عليها . وهذا الكتاب تغلغل في عمق  
الثقافة العربية قديما لما لارسطو من مكانه عند العرب ولما لهذا  
الكتاب من اهمية بين كتب ارسطو فهو الوحيد بينها الذي يبحث  
في الفلسفة الاولى ، وع لى مقولات هذا الكتاب بالذات بنيت  
هياكل الفلسفة المعاصرة بكافة مدارسها وبالتالي ثقافته معاصرة  
كامله بنيت على اركانه .

وما يجمعه بهذا الكتاب هو الدعوة لإعمال الفكر، واستعادة  
وعى الامة المغيّب.

والفقه بمعناه العام مرحلة متقدمة من الفهم ؛ فالفقه هو المقدمة  
النظرية التي يستند اليها أي علم او معرفة، وهو تلك الرؤية  
العامة لطبيعة ذلك العلم وما يفصله عما سواه من العلوم.

ومع ان القصد من وراء الكتاب البحث عن المبادئ الاولى لعلم  
معنى عربي اصيل، ومقدمة لاي وعى يمكن وصفه بالاصالة،  
مستندا الى اهم مكونات الشخصية الجمعية و الفردية الا وهي  
اللغة، واي لغة ؟ !... لغة الفصاحة والبيان ، لغة العرب، وما

---

ورائها من فكر ومعان، اختمرت عبر تاريخ عريق ضارب في  
عمق الزمان .

فهذا الكتاب ليس لاجل فقه المعنى بحد ذاته فقط ، بل  
ما يكمن وراءه من دعوه لاستعادة وعي حضاري اصيل مغيب.  
وبناء عليه سيتاح الكتاب للقراءة مجاناً.

**جمال حسنين ابو طوق.**  
**2022**



## مقدمة

في هذا الزمان ونحن نتابع بمراره وحزن كيف يتلاشى من بين ايدينا نحن العرب، مفهوم الهوية الوطنية والقومية ويتبدد من ورائها الانتماء كمفهوم وكشعور.

فالهوية الحضارية العربية كانت دائما مصدر كل بناء معنوي، وعلى قواعد واسس هذا البناء تحققت هوية امة لعبت دورا حضاريا اساسيا ما بين الحضارات القديمة والحديثة، وبين حضارات الشرق والغرب، على امتداد احقاب تاريخية طويلة، ومازالت تحمل مقومات تلك الحضارة القادرة ان تلعب مجددا على مسرح الحضارة البشرية دورا ذي بال.

وهنا لا نتكلم عن هوية غائبة في الهو، بل حاضرة هي إنيتنا : انا وانت ونحن . ويكمن جوهر أي امة في هويتها، المعرفه بها المميزه لها، ولا تتحقق الهوية في نفوس ابنائها اولا الا وفق رؤية اصيلة، نابعة من ذاتها تستعيد بها ملامح شخصيتها ومنطلقاتها، لتستعيد مجددا وعيا مغيبا، فوجب ان تكون هويتنا إنيتنا.

ويمكن تسمية هذه الرؤية منهجا هو ذلك الشكل والاطار القادر على استيعاب أي فلسفة او وجهة نظر اصيلة، صادرة من ذات الامة، او هو تلك التربة التي يمكن ان تتفتح في بساطينها مائة زهرة ورأي ووجهة نظر.

---

وليست مثل هذه الرؤية بديلا عن رؤى الافراد او الجماعات، ولا هي بفلسفة بديلة، بل ذلك الاطار الاصيل الذي تقرضه لغتنا وثقافتنا ، لنعبر عن رؤانا بسهولة ويسر واصالة ، هي منهج يتضمن مبادئ التعبير عما يختلج في نفوسنا من افكار ، وما يرتبط بها من مشاعر تجيش في الصدور ، وفق منظور اصيل في التعبير والتفكير . خصوصا بعد ان انهك القرن العشرين لغتنا بمصطلحات دخيلة مترجمة، لا تمثل او تعبر عن اصالة معاني لغتنا بدقة، عكس ماكان الحال عليه في سالف ال زمان، عسى ان تتفتح في بستان مثل هذه الرؤية ازهار حضارتنا مجددا.

ولما كانت الجيوش عادة ما تنتصر او تهزم من داخلها وفي معنوياتها، قبل حسم الحسام وانطلاق السهام، كذلك الامم تهزم متى قُوض بناؤها المعنوي، هذا البناء الذي تقوم اسسه على تلك البقعة وذلك الموضوع المسمى هوية.

فان ظل معنى الهوية مهملا مغيبا في نفوس اصحابها، غير راسخ في العقل ولا مستقرا في الوجدان، ولا يعبر عنه بالافعال والجوارح ، صار البناء كأطلال برقة تهدم ، ولا حياة معنوية لأمة ان كان بناؤها المعنوي خربة طواها النسيان . فالهوية هيكل البناء المعنوي واساسه ، وهي مفهومنا المعاصر لمعنى العصبية التي ذكر ابن خلدون انها اساس الملك، وقد اسبغ عليها مفهوماً قَبلياً، اما العصبية المعاصرة في مواجهة تحديات هذا

---

العالم، فعصبية الهوية القومية، وتوصف عصبية لان هويتنا يفترض ان تكون عصب وجودنا.

ودلالة العصبية هنا ليست هي دلالة التعصب والعصبوية، بل هي الأسرة التي يرتبط بها ابناء الامة في عصب واحد للذود عما يهدد هويتهم من محاولات استهداف وطمس متواصلة ، فهويتنا **إِنِّيَّتُنَا** المعبرة عن ذاتنا.

ان القبض على مفهوم الهوية لا يتحقق الا بالوعي ، والجهل هو السبب والبذرة الاولى في تبدد معنى الهوية ، وفقدان الشخصية ، وملامح الرؤى الجلية ، فكل ما عانىناه ونعانيه تكمن نواته في الجهل، الجهل في معنى الهوية اولا، وأنها **إِنِّيَّه** ، **إِنِّيَّتُنَا** : انا وانت ونحن ، لذا وجب ان تكون ادارة مفهوم الهوية وفق العقل ومعايير من ايجاب أو سلب، وألاّ يت رك لانفعالات المشاعر والعواطف التي تحكمها معايير الحب والكراهية ، ولا للغريزة واحساسها بالارض بدل مفهوم الوطن، وبالقطيع بدل مفهوم القوم والامة ، فالغريزة تتبع معاييرها الخاصة من رغبة ورهبة ان اطلقت على عقالها.

والمبادئ الراسخة هي التي تنغرس قناعة في العقل ، ثم عقيدة تتعقد فيها روابط العقل، بمثل ما ترتبط بها خيوط الوجدان والمشاعر.

---

اما مبادئ الشعور والوجدان بمعزل عن العقل، فانفعالية ، آنيّه  
كثُر ماتعبت في العقل عند جموح العاطفة وطرب النفوس ،  
وغني عن البيان ان الغرائز وما يحكمها من رغبة أورهة ،  
تحرك الانسان بالطريقة عينها التي يتحرك فيها الحيوان، ليمسي  
بجهله عبدا مقيدا بالغرائز تخضعه عصا ويسيل لعبه لجزره ،  
بينما العاقل هو سيد مصيره .

لقد ثبت بالوقائع التي عمدت بالدماء وبالدمار، ان العقل والوعي  
هما سياج الامة، وحصنها، ثبت هذا في بداية الجيل الاول من  
هذا القرن، الذي شهد ويشهد حربا ضروسا معلنه ، بكل  
الاشكال المتاحة المادية والمعنوية ، تستهدف اجتثاث شأفة  
العرب والعروبه .

لقد اجتمع على امتنا من بين سائر امم الارض كل الاجرام  
الاستعماري لضرب اسس البناء المعنوي ، بالتزامن مع تدمير  
المقدرات المادية .

ان تقويض مفهوم الهوية في العقل وما يتبع ذلك من تقويض  
الإنّيّه الحاضرة في العقول والافئدة ، وتقويض الذات تبعا لذلك  
بتقويض كل ثقافة اصيلة ، يمهد ارضية موبوءه يخصب الجهل  
فيها وانعدام الوعي .



---

ان محاولات طمس الهوية عند من يحاول طمسها ، تحركه  
ظنونه أننا سنساق كالعبيد والآلات ، فروح العربي في هويته  
وانتمائه ، وبغيرهما يتحول لعبد او آله.

ان الوعي التاريخي والحضاري بالهوية ، يتطلب تأسيس ثقافة  
اصيلة تبني عبر اجيال ، فالبناء صعب والهدم سهل ، وتتطلب  
هذه الثقافة وسائل اصال من مناهج مدرسية ووسائل اعلام  
وطرق موازية اخرى ، وقبل كل ذل ك: حرية القرار ورفض  
الخنوع للاملاءات.

وعن طريق مثل هذه الثقافة يتم استعادة مفهوم الهوية وما يلزم  
عنه من انتماء لكل ما هو ايجابي في تاريخنا ومعاني حضارتنا ،  
وكل ما من شأنه رفع الهمم وشحن المعنويات ، والمعنويات قوة  
تستمد من المعاني التي تعبر عن روح عريقه اصيلة ، ولا شك  
ان ذلك لا يثمر الا عن طريق العقل اولا.

هذه الثقافة الاصيلية التي يستند الوعي اليها نابعة من ذات الامة  
بالضرورة ، وهي ثقافة تستند الى تلك المعاني والمفاهيم التي  
نعبر عنها بلغتنا ، بالفاظها ودلالة معانيها ومفاهيمها الاصيلية ،  
فعلينا استخدام مفاهيم لغتنا اولا ، لا مفاهيم اللغات الاخرى ان  
كانت تلك المفاهيم متوفرة في لغتنا .

اما الافكار التي نفكر فيها فهي معان محدده ، يعبر كل لسان  
عنها بطريقته ، ولكل امة طريقة تفكير تتبع طريقة التعبير ،

---

تفرضها اللغة بمبانيها ومعانيها واساليبها ، ففقه المعنى الكامن في اللغة هو خطوة اولى نحو طريقة تفكير تبنى عليها ثقافته ووعي يتسمان بالاصالة.

وفقه المعنى ليس هو النحو والصرف والتفسير المعجمي للكلمات والمصطلحات فهي مادته الاولى ، انما هو فقه ما يكمن ورائها من فكر ، وكيف ان لكل معنى وكلمة وفكرة قالبا ، وتاريخا واطوارا من تقلبات المعنى عبر الزمان ، يمتد من اصل المعنى في دلالاته العيانية الاولى وصولا الى المعنى المجرد ، فكلمة العقل ترجع الى ربط الابل باحكام ، وهو يتفق تماما مع المعنى المجرد للعقل الذي يربط ويعقل وفق أحكام.

ان هذا التولد في المعاني عبر تاريخ اللغة واطوار المعنى ، يتوافق مع تولد الالفاظ بعضها من بعض عن طريق الصرف والاشتقاق ، ما يجعل العربية تمتاز عن سائر السنة اهل الارض بانها توليدية في اللفظ والمعنى ، ومادامت معانيها تتربط ايضا بصلات رحم ، ليست لغة تركيبية مصطنعة.

هذا التولد يجعل من استحضار المعنى واصابة المفهوم امر ايسيرا فإن اتبعنا قواعد المعنى استطعنا توليد الفكر من الفكر ؛ كما نولد اللفظ من اللفظ وفق قواعد الصرف ؛ لان ولوجنا الى فقه المعنى ليس لاجل المعنى بحد ذاته فقط ، بل هو خطوة لاجل استعادة وعي مغيب ، وفق رؤية اصيلة ، نابعة من الذات

---

، قدرة على استيعاب مفاهيم العصر ، هي رؤية تسعى  
للاستعادة وعي وبالتالي دور حضاري مجددا كما عودتنا  
حضارتنا بعصور ازدهارها.

ان ما ذكر ليس طرحا نظريا يخلق في عالم مجرد ، ولا ترفا  
فكريا، بل مستمد من تجربة تاريخية وحضارية مريرة، فان  
ازهر مانظرحه في هذا الكتاب ؛ فانما من اعماق جرح امة  
رائف ، تسعى لاستعادة ذاتها.

وللاسف فعادة مايستسلم السياسي في عصرنا ، وقد يستسلم  
العسكري، أما المفكر الحر فلا يستسلم ابدا ؛ فقد بدأنا نتلمس في  
العقود الاخيرة عودة الوعي العربي المغيب الى ذاته، عبر اقلام  
حرة، عادت فرادی وزرافات عندما ادركت ان هويتها هي  
حصنها الاخير وان اسواره هي اللغة الفصيحه العريقه، فألت  
على نفسها الدفاع عن هوية امتها ضد كل متربص مهما كان  
الضمن غاليا.

ورحلتنا الى عالم المعنى ، لابد ان تمر اولا على تلك المعاني  
الجوهرية والمفصلية التي يبني عليها الوعي، كالهوية والوعي  
ذاته ، ثم نظرة سريعة على تاريخنا الثقافي المعاصر، واين  
نحن من العالم كمحاولة لتأسيس وعي حضاري اصيل ، ان فقه  
المعنى يدلنا على طريقة استعادة المفاهيم الفكرية المعاصرة  
استعادة اصيلة تربطها بالمعنى العربي الاصيل اولا .

---

وحاولنا ان يكون كل فصل بالكتاب قائما بذاته قدر الامكان ،  
من غير احاله على مواد بفصول او صفحات اخرى ، الا قليلا  
عند الضروره ، كي لا تُقطع الفكره عن سياقها خصوصا في  
المواضيع الفكرية ، عسى ان يخدم مثل هذا الاسلوب القارئ ،  
رغم ما يتضمنه من تكرار ، ففي الفصل الاول مثلاً بُحثت  
الهويه بما هي إنَّيَّه أي هويه محققه تعبر عنا انا و انت ونحن ،  
في حين بُحثت في الفصل الثاني بما هي هويه عامه تدل على  
ما هو غائب ، فمقام الهويه في كل فصل حدد ذكر المقال  
المناسب .

فليتحملنا القارئ العزيز ان اثقلنا قليلا في تقديم مفاهيم نظريه  
مجرده كالهويه والوعي والشعور . فالهويه الجمعيه إنَّيتنا انا  
وانت ونحن، ولا بد من فهم وتحديد العلاقة بين مثل هذه  
المفاهيم الاساسية، لان الهدف من وراء الكتاب استعادة الوعي  
بالمفاهيم المفصلية، عبر ربط معاني هذه المفاهيم المعاصره  
بمعانيها العربية الاولى الدالة على اعيان، ثم تَقْلُب معاني هذه  
المفاهيم عبر الزمان حتى وصلت الى ما وصلت اليه في ذروة  
الحضارة العربية ، وباستعادة وعي المفهوم ، نبدأ استعادة وعي  
معي  
ب .

## الفصل الاول

### معنى الوعي بالهوية

## معنى الوعي بالهوية

تاريخنا المعاصر بكل احباطاته ترجع بذرته الاولى الى الجهل،  
فتاريخنا المعاصر سلسلة متصلة من الهزائم مرتبطة بغياب  
الوعي ، الوعي بانفسنا وبهويتنا وبمن نحن واين نحن . ولو  
امتلكنا جيلا يعي معنى هويته ومعنى الانتماء اليها لكان عصيا  
على الانكسار ، وقلنا ان الجيوش تهزم من داخلها قبل حسم  
الحسام ، وانهمار السهام ، بانهيار البناء المعنوي الداخلي .  
والمعنويات قوة تُرسخ المعاني الايجابية في النفس، وهي  
مصدر قوة كالماديات وربما تفوقها فعلا ؛ ولم تنتصر العرب  
على اعلى الامبراطوريات الا حين امتلكت بناءا معنويا راسخا  
، رغم قلة العدد والعدة وانعدام الخبرة في مواجهات دولية  
كبيرة.

فالبناء المعنوي الداخلي يقوم على رسوخ الوعي بالهوية،  
ويصبح الانتماء لهذه الهوية قوة تتناسب مع ذلك الرسوخ ، ان  
الوعي بالهوية هو الخطوة الاولى على طريق تحريرنا من  
الجهل الذي هو سبب اول فيما تعانیه امتنا.

فما الوعي وما الهوية؟

كما يبدا عقل الانسان سؤاله في هذا العالم من انا وما العالم؟،  
تبدا كل امة سؤال نفسها من تكون هي ، وما موقعها في هذا  
العالم؟ هذا هو السؤال الجوهرى الذي ان اجيب عنه صار

---

مقدمة لاي وعي ممكن ، ولما كانت موجودات العقل التي يُفكر فيها، معان محددة متميزة ، يُدّل عليها بضمير الغائب هو او هي، فهذه معان ليست بأشياء حاضرة ليشار اليها على انها هذا او ذاك ، هذه المعاني المتميزة الغائبة عن العيان ، هي مواضيع العقل وتسمى هويات.

وجودنا نحن والعالم في العقل وجود هويات، واللغة المعبرة عن الفكر ايضا ، انما تعبر عما هو غائب عن العيان ، لذا هي ايضا تعبر عن هويات . اما ماه و حاضر في العيان فتكفي الاشارة اليه دون فضل كلام .

والهويات اذن موجودات العقل التي يفكر فيها وينظمها ويصنفها وفق علاقات محددة في اجناس وانواع ، ليسهل عليه استخلاص احكامه ، وحكم العقل اصوب واثبت واكثر ديمومة من الأحكام التي تنساق وراء المشاعر او الاحساس الغ ريزي ، وهو ليس استنتاجا نظريا بل باستقراء التجربة والوقائع ، لذا ان اردنا فهم انفسنا والعالم ، وجب ان نحتكم الى العقل.

ومفهوم الهوية وردنا عبر الترجمات الفلسفية القديمة ، وبتعريبية تعريبا صحيحا صار جزءا من منظومة الفاظ ومعاني العربية ، واغتنى بحثا واستخداما في علوم المنطق والكلام . وسواء قلنا ماهية ام هوية فالمدلول واحد ، والماهية اسم مشتق من السؤال

---

عما هو ، في حين ان اسم الهوية مشتق من الاجابة عنه بهو ،  
ومدلولهما في العربية واحد.

ومعنى الهوية أن الشئ هو هو وليس بآخر ، ولا توسط في  
معرفة الهوية فإما هو أو ليس ه . و . وكل مايجاب عنه بهو  
فهوية، سواء كان قائما بذاته كالابيض ام بغيره كالبياض، مادام  
يقال عنه هو ، اما الابيض فماله الهوية، والبياض مابه تكون  
الهوية ، والبياض للابيض ليس بهوية، بل مابه تكون الهوية .  
اما ان اعتبرنا البياض قائما بذاته مقابل السواد امكن اعتبار ه  
هوية ايضا.

وعندما ما نتكلم بضمير الحاضر عن انفسنا نحن ، انا وانت ،  
وحين أعرف عن نفسي او أعرف عنك ، فليست هذه بهويات  
مجردة بل مرتبطة بشعورنا واحساسنا بذواتنا ، ولا يعبر عنها  
بضمير الغائب هو ، بل بضمائر الحاضر وهي اشد وثاقة  
وثباتا في حضورها لدينا من الهوية ، واذن يمكن تسمية ما تدل  
عليه ضمائر الحاضر انا وانت ونحن، بالإنيّة أي الهوية  
الحاضرة التي تخصنا لا الهوية الغائبة في الهو . فالتّي تخصنا  
إنّيّة يُعبر عنها بضمائر الحاضر انا وانت ونحن .... الخ ، في  
حين يُعبر عن الهوية بضمائر الغائب ، كما يمكن وصف قولنا :  
إنّ الشئ كذا، انه تأكيد للهوية وتعبير عن الإنّيّة ، واذن  
عروبتنا ليست مجرد هوية فقط بل إنّيّتنا التي هي ذاتنا المعنوية



ويعرف الفارابي في كتاب الحروف الإن : (بأنها تعني الثبات والدوام والوثاقة والكمال في الوجود وفي العلم بالشيء ، وأن إنّيّة الشيء هي بعينها ماهيته ، إلا أن حرف إن لا يستعمل إلا في الاخبار دون السؤال ) . واستعمل فلاسفة العرب وعلماء الكلام الإنّيّة بمعنى الهوية المحققة . ومادامت إن في العربية تدل على التوكيد ؛ أيضا جاز تسمية الهوية التي تخص معنى اسم إن ، بالإنّيّة ؛ كقولنا ان الحياة وقفة عز فقط ؛ وتبعاً لهذا المعنى ، تكون إنّيّة الحياة ، وقفة عز فقط .

كما استعملنا مدلول لفظ الإنّيّة كي لا يتكرر ذكر كلمة أنا، لأنّفة العربي عن ذكرها ، فمعنى (العياذ بالله من كلمة أنا ) الذي يردده الناس منغرز بالشعور الجمعي .

صحيح ان المعنى العام لمفهوم الهوية مجرد ، لكنه معنى يتضمن دلالة على آخر ، اما فيما يخص الإنّيّة فهي معنى خاص من معاني الهوية يتعلق بنا لا بآخر . فليس معنى الإنّيّة مجردا تمام التجريد كمعنى الهوية ، اذ ثمة ما هو اعمق يكمن تحت قشرة المفهوم العقلي ، انها المشاعر الباطنة التي تخصنا نحن ، وسنفصل ذلك في المبحث القادم عن العلاقة بين الشعور والوعي.

لذا فالإنّيّة معنى خاص من معاني الهوية، يتعلق بأنفسنا الحاضرة ، لا بما هو اخر كضمير غائب ، ويمكن القول ايضا

---

أن دلالة الحرف النحوي ( إن ) تدل على وثاقة التعبير والتوكيد، ويدل على إنّيّة أي ماهيه وان لم تكن أنّيتنا ، فلزيادة توكيد الهوية تسبق بحرف إن ، للدلالة على حضورها ووثاقتها في النفس والعلم ، فهي اقوى من دلالة ضمير الغائب (هو) من حيث الحضور والوثاقة .

وكما ان ما لاهوية له ، لا وجود له في العقل والوعي ، كذلك فالأمة التي تُطمَس هويتها ينعلم وجودها في العقل وفي العالم ايضا ، لأن وجودها في العالم يُستمد من ترسخها في عقول وصدور ابنائها ، اما الكيانات التي تزيف وتصطنع هوية لها فعابره ، لان وجودها مفروض قسرا ، متى ارتخت القوة التي تسنده تلاشى ، وهويتها لا تشفع لها لانها غير حقيقية، في حين ان الامم المتجذرة هويتها في التاريخ والحضارة، محال طمس هويتها، هذا ماتنبئنا به تجارب التاريخ، ولنا في الجزائر وفلسطين مثلاً.

## معنى الوعي

الوعي لغة من الوعاء يعي ما يستوعب . وكما يستوعب الوعاء الماء ، فالوعي يستوعب لكنه استيعاب يتضمن الفهم والحفظ ، ومعنى الاستيعاب باللغة ايضا الفهم والحفظ . كما يدل معنى الوعي في العربية على اليقظة ، فيقال فلان واع او غير واع بمعنى يقظ او نائم ، اذن فمعنى الوعي يتضمن التنبه والنباهة بالاضافة الى الاستيعاب.

واذن فالوعي ليس سلبيا في استيعابه كاستيعاب الوعاء ل لماء ، بل بالفهم الذي هو عنق الاناء.

والوعي مفهوم عربي استعمل قديما قبل الاسلام ومن ذلك خطبة قس بني ساعده عند الكعبة: ((ايها الناس اسمعوا وعوا)).

واستيعاب الوعي يكون في كل ما يتم فهمه وتمثله من تصورات او افكار يُعَبَّر عنها وفق معان ، كذلك ايضا توصف المشاعر والاحاسيس بالواعيه ، ان ارتقت الى حيز الادراك والفهم ، وأمكن التعبير عنها لغة . فالوعي يستوعب كل جوانب النفس بالاضافة الى الجانب العقلي.

وبما ان للوعي صفات الاستيعاب والنباهة ، فهو اذن ملكه من ملكات العقل، جنبا الى جنب مع الملكات الاخرى التي ذكرها الحكماء من تمييز وربط وحكم ونطق وسواها .

---

واختلط مفهوم الوعي بمفهوم العقل عند كثيرين ، لكنه ظل غالبا يستعمل كصفة شمول للعقل تتضمن كامل جوانب النفس بالاضافة الى الجانب العقلي . فالوعي ليس حكرا على ماهو عقلي مجرد فقط ، فمنه وعي شعوري وجداني ، ووعي غريزي وحسي ، لكن في اطار العقل ، اما ما هو شعوري او حسي او غريزي صرف فلا يرتبط بالوعي ، ذلك ان قابليات النفس هذه منها ما يدركه الوعي ويستوعبه ومنها ما هو دون الوعي أي ماهو في اللاوعي .

وكثير من الافكار والاراء تقبع ورائها مشاعر حب او كراهية ؛ والعربي مثال على ذلك فهو عاطفي بالطبع ، حتى عندما يفكر تكمن في تفكيره المشاعر .

والوعي عندما يستوعب موجودات النفس تصبح معان ؛ أي يمكن التعبير عنها بطريق اللغة ، وبالتالي يمكن وصف تلك الموجودات بالواعية بمعنى المستوعبة.

فأولى خطوات الوعي في اظهار نفسه تكون بالقدرة على التعبير لغة عن كل ما قد يعن في النفس من تصور او خاطر او شعور او احساس قد نضج وتبلور وضحى معنى واع يمكن التعبير عنه .

والوعي مادامت له ملكة الفهم ، والفهم ليس سوى صياغة الواقع وفق مقاييس العقل ، اذن فالوعي يتمثل ما هو مختلف في

---

مؤتلف عقلي ، ليصبح جزءا من منظومة عقليه : سواء كان  
مضمونها فكريا مجردا ام وجدانيا شعوريا ام حسيا غريزيا ،  
مادامت مستوعبة محرزة في الوعي ويمكن التعبير عنها ،  
لتوصف مثل هذه الافكار والمفاهيم ، وما تتضمن من مشاعر  
واحاسيس معبر عنها: بالواعية، أي المستوعبة.

وبما هي واعية تصبح جزءا من مواضي ع ومنظومة العقل،  
لتجرد لها هوية واسم خاص بمعنى محدد يتضمن صفاتها  
يدرك المميزة ، و ما دام لها معنى تسمي مفهوما يعمل عليه  
العقل مع سائر المفاهيم العقلية.

ولتمييز فعل الوعي عن فعل العقل ، فالوعي يستوعب ويتمثل ،  
تمثل النبات اشعة الشمس لتغدو ثمارا واوراقا خضراء ، وتمثل  
الحيوان طعامه فيتحول الى دم ولحم وعظم تماثل جسمه ؛  
فالوعي وعاء للعقل يستوعب ما ويفهم وما لا يستوعبه يبقى  
خارج او مادون الوعي .

اما العقل فيربط معطيات الوعي الفكرية والشعورية والحسية  
والعملية ، لاجل اصدار الاحكام العقلية التي وفقها تجري  
الفاعلي البشريه ، حتى الموصوف بقلة العقل يستند الى احكام  
عقلية خاصة به ، واحكام العقل ليست بالضروره صائبة .  
فبعض قيمها في المقياس الواقعي خاطئه ، ان استند العقل  
في احكامه الى معطيات وعي خاطئه او مزيفه ، تدل على قلة

---

وعى و فهم ، والفهم صياغه الواقع الذي هو فيها والذي نحن فيه  
صياغه عقليه ، فاذن بالفهم يجري التمثل العقلي لكل مستويات  
العقل ، كي تصبح مستوعبه . والعقل يربط بعلاقات منطقية بين  
المعاني الموصوفه بالواعيه ، ذلك انها تقترن بتلك الافكار  
والتصورات التي امكن التعبير عنها لغة من خلال هذه المعاني  
، بما يتوافق مع منظومة العقل المنطقية .

## الوعي واللغة

الوعي لا وجود له بذاته ، الا بما يعبر عنه ، واللغة هي المعبر الاول والرئيسي عن مكونات الوعي ، فاللغة بالفاظها الداله تتضمن بداخلها معناها ، والمعنى هو مكوّن الوعي ، فالوعي اذن ه و المضمون الذي تعبر عنه اللغة بالفاظها ، فالوعي لا يظهر ولا تعرف مكوناته لولا اللغة.

واللغة بمبانيها ودلالة معانيها هي المعبر الرئيسي عن الوعي، وهي مابها يظهر الوعي وعيا، اذ هي الضوء الذي ينير مكونات الوعي ، كأشعة الشمس ان سقطت على جرم او مركبة فضاء او غ لاف جوي أضاءته وأبأنته ، مع ان هذه الاشعه هي الاخرى خفيه ، ولا يظهر نورها ان لم تسقط على شئ تظهره ويظهرها ، وهذا الشئ هو المعنى الذي يتضمنه اللفظ وهو لب الوعي ايضا . فاللغة شكل يتضمن ويحتوي ماهو مضمّر فيه ، والوعي هو ذلك المضمون الذي تظهر مكوناته اللغة مع انه مضمّر في ظلمات النفس . واللغة بالفاظها الظاهرة المسموعة او المقروءة تظهر ما هو مضمّر محجوب في اعماق النفس ، لذا هي وسيلة التواصل بين النفوس والعقول المحجوبة عنا بغير اللغة.

وباللغة تكتسب الخبرات والمعارف ، وتُنقل الحوادث والاخبار التي لم نراها ولم نعاينها وكذلك بها تُوضع المعطيات التي يعمل

---

العقل عليها ، فاللغة كما هي مورد يزود الوعي بمكنوناته هي ما تستضاء به ظلمات الانفس المحجوبة عنا لولا اللغة .

ولاجل بناء وعي سليم، وجب فهم تلك المعاني التي في النفس والعقل ، تبعا لما ترسمه اللغة الام اولا من حدود و اشكال ، وايضا فهم مراميها ودلالة معانيها قبل الخوض في غمار الفكر والمعرفة بغير مرشد او دليل.

ولكل لغة اسماء واصطلاحات خاصة للدلالة على المفاهيم العقلية، وقد يحمل المفهوم دلالة لغوية في لغة غير تلك التي في لغة اخرى ، وسنبين هذا في الموضوع القادم عند التفرقة بين مفهومي الوعي والشعور، وكيف ان مدلول احدهما مميز عن الاخر في العربية ، في حين انه في اللغات الاخرى لا يُعبّر عنه الا بكلمة **consciousness** الانجليزية او ما يماثلها في اللاتينية ، فقد تعني الوعي او الشعور، فالمعنى لديهم واحد في دلالاته على الوعي وعلى الشعور بأن !!، واختلاف المفاهيم في دلالاتها اللغوية بين لسان ولسان يظهر اكثر في المفاهيم المجردة المتعلقة بالنفس والعقل والروح .

وتمتاز العربية عن سائر اللغات، بارتباط معانيها المجردة بخيط تاريخي متصل مع دلالاتها العيانية الاولى كمفاهيم العقل والوعي مثلا من عقل الابل ومن الوعاء .



---

اما المعاني المُعَيَّنة التي تدل على ما هو مرتبط بالعيان ، فقد تتفق على دلالة مفاهيمها اللغات ، كمعنى عشرة الرياضي ومعنى شهر تموز.

فلكل لغة بل لكل مدرسة مفاهيمها التي قد تتفق دلالاتها او تختلف قليلا او كثيرا.

ووعي معاني العربية بادراك ذلك الخيط التاريخي الذي يربط المجرّد بالعياني ، يسهل لنا الامساك بطرف خيوط المفاهيم ان لم يكن خيط المفهوم بأكمله، دونما جهد تبعا لمنظومة معانيها، وضربنا على ذلك مثل مفهوم الوعي في القسم السابق ، مع الاشارة ان تلك المفاهيم الفكرية الاصيله في لغتنا ، قد أشبعها القدماء بحثا وتمحيصا بمختلف المعارف والعلوم ، ليتضمن مفهوم الكلمة تاريخا معرفيا ثريا قلما حظيت به لغة اخرى.

وكثير من القضايا والاشكالات الفكرية والفلسفية جذورها لغوية ، كقول السفسطائيين : ( غير الموجود ) موجود، للايقاع بمجادليهم بمثل هذه الخدع اللغوية، ذلك ان صفة ( غير الموجود ) موجودة لغويا فعلا ، لكنها معدومة في الواقع فلا يمكن تعميمها على كامل مستويات الوجود.

وتعابير الفلسفة مثل الماهية والهوية والوجود وغيرها مستمدة مفاهيمها من اللغة اولا، فالوجود اسم مشتق بالاغريقية من فعل الوجود الذي هو رابط عندهم وفعل ب أن تعبّر عنها este

---

اللاتينية و is الانجليزية، والهوية من اداة الربط : (هو)، التي تربط المبتدأ بالخبر في لغتهم.

كما جادل علماء الكلام العرب في قضايا الفلسفة والفكر بما هي لغوية ، كالصفات عند المعتزلة التي انكرها معمر بن عياد السلمي وجعلها معان، في حين قال ابو هاشم الجبائي بالاحوال عوض الصفات والمعاني ، واطالوا الجدل فيها بما هي قضايا فكرية تعود جذورها الى اللغة، فاللغة منارة مرشدة في خضم بحور الفكر، وهي طوق نجاة ومرجع فيما أُشكِل على الفكر استيعاب معناه .

وفقه المعنى هو ذلك الجانب من العلم الذي يبين مبادئ ا رتباط اللغة بالفكر، وذلك الموضع من مواضع العلوم الذي يبحث علاقة الشكل بالمضمون بين اللغة والفكر.

ففقه المعنى وجب ان يكون اساس أي وعي ممكن خصوصا متى كان الشكل الذي يصاغ به الفكر لغة عريقة فصيحة كالعربية متعوب عليها على مر الزمان ، تحليلا وتدوينا في علوم اللغة والكلام وغيرها.

فإن بُني الوعي عند اهل هذا اللسان على قواعد علم المعنى، اصبح الوعي اصيلا عريقا كما كان من قبل حلقة وصل حضارية.

## الوعي والشعور

كي لا يختلط الامر علينا في تمييز معاني الوعي والشعور ،  
افردت العربية لكل منها معنى محددا باسم محدد ودلالة محددة  
؛ فكل منهما في العربية ماهيه خاصة محدده متميزه .

اما ما وردنا من ترجمات في القرن العشرين ، ودرج فيه  
استعمال الوعي والشعور بنفس المعنى دون تفريق ، وذكر هذه  
بدل تلك ، فيعود اصل الخلط الى ترجمة consciousness  
الانجليزية ومرادفتها اللاتينية ، التي تدل في لغاتهم على الوعي  
وعلى الشعور بأن ، ولا يفصل معنى احدهما عن الاخرى ، لذا  
علينا استعادة المعنى الاصيل للمفهوم تبعا لدلالاته الاولى فهو  
أحدُّ دقه واشد دلالة وبالتالي فصاحه ؛ وفي الفصاحه إبانة  
ووضوح وتمييز .

وذكر في العنوان السابق ما يتعلق بمفهوم الوعي ودلالاته ، اما  
الشعور فهو ذلك الجانب من النفس المرتبط بمفهوم الفؤاد ،  
فالفؤاد مجازا ، لا يحس كما الحواس ، ولا يدرك ويعي كما  
العقل ، بل يشعر ، وان كان الحس بالحواس الخارجية الخمس ،  
فالشعور مرتبط بالحواس الباطنة الداخلية ، وهذه الحواس  
الباطنة لا ترتبط باحساس الجوع والالام الداخليه فقط كما هي  
مفهوم سائد ، بل ترتبط بجميع حالات النفس من عواطف  
وانفعالات وآلام ورغبات . وان قسمنا النفس فرضا لتسهيل

---

الفهم الى احساس وشعور وعقل ، فالشعور تحكمه قيم الحب والكرهية ، في حين تحكم الاحساس قيم اللذة والالم ، اما العقل فتحكمه قيم الايجاب والسلب .

والشعور في العربية هو العلم بغير دليل، والدليل اما حسي او عقلي، فاذن الشعور هو ذلك الموضوع المستقل عن الحس وعن العقل . ولما سُجَّ رأس عمر بن الخطاب وسال منه الدم، قال رجل من بني لَهَب وهم من اليمن فيهم زجر و عيافة: أشعرَ امير المؤمنين وليقتلن. وقوله أشعرَ بمعنى أنبأ، كذلك فالهذي يشعر إن سيق للنحر ، وشعائر الحج ومناسكه، ترتبط بعلامات وشعارات كأنها أعلام مثل طواف البيت ، وصعود عرفه، والسعي بين الصفا والمروة.

والشعر شعور شاعر صاغه موزونا م قفى ؛ ليعبر به عن مشاعره.

والمشاعر مكونات الشعور، كما المعاني والمفاهيم والافكار مكونات العقل . اما الوجدان فاسم له دلالة اسم الشعور ، كما يستعمل للدلالة على الشعور الاخلاقي ، مرادفا لمعنى الضمير ، ذلك أن كليهما مضمر ، مع افتراض حسن النوايا في دلالتيهما . ومقابل الوجود العياني ، فالوجدان يدل على الوجود الشعوري . والوجدانيات ما يعبر بها عن المشاعر نثرا .

اما الوعي فملكة العقل التي تستوعب مكونات النفس من افكار ومشاعر واحاسيس . والمشاعر متى امكن التعبير عنها لغة ارتقت الى مصاف المفاهيم ، ذلك انها امست م عنى ، ولا يمكن ان تمسي معنى مالم يتم استيعابها عن طريق الوعي ، كالايمان وحب الوطن والاسره والشعور بالانتماء الى الوطن والاسره والقوم ، تصبح مفهوما بين مفاهيم العقل تحكمها مبادئ العقل.

ويفترض ان تكون مبادئ العقل ايجابية قويمه ينتفع بها الفرد والمجتمع ، اما ان كانت سلبية تبعاً لمعطيات واحكام خاطئه فالوصف المناسب لهكذا مبادئ سلبية انها لا عقلية . في حين ان العقل القويم الراجح تصاغ المشاعر فيه وفق نظامه المنطقي، لترتدي حلة عقلية جديدة، فتغدو مشاعر مهذبة مشذبة مثقفة، حال المشاعر الايجابية الواعية.

والحقيقة ان ه ذا التمثيل في ارتقاء المشاعر لمستوى المفاهيم او ارتقاء الاحاسيس وماهو غريزي الى مصاف الشعور ، هو لاجل تبسيط فهم النفس، والواقع ان هناك تفاعلا متصلا في النفس بين هذه المكونات يصعب فصله الا نظريا واعتباريا، لتسهيل الفهم وللتواصل المعرفي، فلا وجود لفكر مجرد الا في كتب العلوم المجردة كالرياضيات والمنطق الشكلي، اما في واقع الحياة فلكل فكرة جذر ما في الشعور وإن كان خفيا، فجدل الفكر والمشاعر جدل متبادل متصل، والفكرة متى تضمنت المشاعر، او بتعبير اخر متى امست المشاعر واعية ، صارت

---

قوة يحسب حسابها ، ذلك ان قوتها ان ضمت الى قوة العقل  
اصبحت عظيمة الخطر.

ووفق مبدا التبسيط عينه، فإن الشعور اقرب الى جوارح الجسد  
وافعالها من العقل ، والمشاعر ان تهذب في العقل تُسَيِّر افعال  
تلك الجوارح تبعا لمعايير العقل الايجابية ، وتضفي عليها  
معاييرها الخاصة من حب وكراهية، ما يكسب كل ما يصدر  
عن مثل هذه المشاعر قوة اضافية.

واذن فمفهوم الهويه بما هو إنِّيَّة ، وما يستتبعه منطقيا من  
مفاهيم الانتماء والسيادة والارادة الحرة ، هذه المفاهيم قبل ان  
ترسخ في العقل ، بدأت كشعور له جذور عميقة في الغريزة ،  
لا غريزة الفرد فحسب، بل غريزة الجنس البشري، التي ليست  
سوى غريزة الحياه في كل ذي نفس ؛ وهي : غريزة بقاء الفرد  
واستمراريته ومن ورائه النوع والجنس ؛ ففي لحظات الخطر  
التي تحيق بالنوع او الجنس يزخر عالم الحيوان بالامثلة الدالة  
على تقديم الفرد لنفسه على مذبح بقاء النوع ، فالنمل ان واجه  
عائقا مائيا، سارعت اسر اب منه لتغرق نفسها ولتصنع جس را  
يمر عليه الاخرون للنجاه .

وشعور الانسان بنفسه يرتبط بشعوره باسرتة وقبيلته وقومه  
بالغريزه ، كآلية دفاع ، هذا الشعور عندما يصبح واعيا لذاته ،

---

يغدو مفهوما الى جانب مفاهيم العقل الاخرى يرتقى لياخذ شكل هوية تخصه بما هي إنِّي .

وبالمثل ايضا فالمفاهيم التي تستتبع مفهوم الهوية بما هي إنِّيّة، كالانتماء والسيادة والارادة الحرة ، كانت مضمرة في الشعور، منغرزة في الطبيعة الفطرية، كشعور الأسد الفطري بنفسه واسرته وجماعته وشعوره بالانتماء اليها، وبأن سيادتها من سيادته، دون ان يرتقي مثل هذا الشعور الى مفهوم عقلي ، لانه ببساطة لا يقدر أن يعبر عنه لغة ، مادام غير مستوعب في الوعي ليصير له معنى عنده كي يوضع امام العقل ، انما يعبر عن شعوره هذا من خلال الجوارح تعبيراً غريزياً .

والاجتماع عند الانسان غريزة في الاصل، وبالطبع، فقد حافظ على بقائه في ظل جماعات، ليؤمن غذائه، ويحمي نفسه من مخاطر الطبيعة ووحوشها، فقد وجد على هذه البسيطة بلا ناب او مخلب ولا هو بسرعة الغزال ، ولا يمتلك حافرا او قرنا ليدافع به عن نفسه، ووجوده في جماعة كان قوة لبقائه، فالاجتماع كان غريزة اولا لحفظ البقاء.

والجماعة تبدأ من الاسرة القريبة فالأبعد، ليرتقي هذا الاحساس الفطري بالجماعة ويمسي شعورا في الوجدان، هذا الشعور يعبر عنه بالاسهاب في وصف مناقب القبيلة، والفخر بفروسياتها

---

وكرمها وإبائها، ليتماهى الفردي في الشعور الجمعي كقول  
دريد بن الصمه :

وما أنا الا من غُزِيَّة ان غوت

غويت وان رشدت غُزِيَّة ارشد

ومعلقة عمر بن كلثوم تجسيد لهذا الشعور :

إذا بلغ الفطام لنا رضيع      تخر له الجبابر ساجدينَا

هذا الشعور بالقبيلة فالقوم يرتقي ليمسي هوية عقلية حضارية ،  
ذات ثقافة مميزة وعمق روحي وفكري ضارب في التاريخ ،  
وكذلك بعد انساني بعيدا عن التعصب، فهويتنا تقودنا للوقوف  
ضد الظلم الواقع على العالم، لانه ببساطه واقع علينا اولًا.

وختاما فالجهل هو غياب الوعي، ونفي للروابط التي تربط  
مكونات الوعي العقلية والشعورية والغريزية، لذلك فالجاهل  
تسيره رغباته واهوائه، دون ان يقدر مبلدئ الهوية الشخصية او  
الجمعية بما هما مترابطتان بالاصل، فلم تنضج إنيتته وتتبلور  
كهوية، لذا تسوقه الرغبة والرغبة الى احضان العبودية بارادة  
نفسه، وهي ارادة لا حرة بالضرورة وليس للجاهل هوية ايجابية  
ولا وجود معنوي ما دامت هويته وإنيتته غارقة مادون الوعي  
والشعور، فالجاهل يسيره قدره ، بينما العاقل هو سيد مصيره  
فهو من يقود هذا المصير.



## أصالة الوعي

الوعي يشمل المفاهيم وكذلك التصورات والمشاعر والاحاسيس الواعية، ولا توصف بالواعية ، الا بالتعبير عنها عن طريق اللغة بشكل رئيسي ، ولا يتم التعبير عنها ان لم يتم استيعابها عن طريق الوعي وتصبح معنى . وان كان يتم التعبير بالفنون والموسيقى وغيرها، لكنها اشكال موازية للغة ، فالتصورات العقلية والمشاعر والاحاسيس لا تدخل حيز الوعي ان عجزنا عن التعبير عنها ، فتظل مبهمة لا يعرف لها وصف حبيسة اللاوعي.

والوعي هو ملكه العقل التي تستوعب مكونات النفس عن طريق الفهم، فيحول عناصر النفس الى مفاهيم ، هي معان محددة تعبر عنها اللغة، وهذه المفاهيم هي التي يتمثلها العقل ويعمل عليها عند التفكير، وآلية تفكير العقل تستند الى اللغة في الربط بين المفاهيم وفق علاقات منطقية لاستخلاص النتائج والاحكام.

واصالة الوعي والتفكير من اصالة التعبير، واصالة التعبير من اللغة المتأصله فينا منذ نعومة اظفارنا ، والتي نعبر بها عن العالم الذي نحن فيه والذي هو فينا، فالعالم الذي نحن فيه لا نعيه الا كعالم هو فينا.

فالاصالة تبدأ من ذاتنا التي تعبر تعابير بسيطة اولاً بال لهجة المعتادة المحكية، ونحن عادة نبدأ التفكير بيننا وبين انفسنا باللهجة التي نشأنا عليها، دون عناء بقواعد التعبير اللغوية، فالعامية اسهل في تناول المواضيع ببداهة اولى، لنشأتنا واعتيادنا عليها، ثم نصوغ مافكرنا فيه باللهجة المحكية صياغة فصيحة وفق قواعد اللغة ، ليصدر الفكر من ذاتنا اولاً ومن صياغته صياغة لغوية فصيحة تبعا لقواعد اللغة ثانياً، فيكتسب التعبير من العامية بساطتها ومن الفصيحة غنى بيانها وقدرتها على التواصل ؛ فان كانت العامية لباس البيت، فالفصحى هي الزي العربي الذي نزهو به خارج البيت.

والعلاقة الجدلية المتصلة بين بساطة العامية في الإفهام، ودقة الفصحى وغناها في التعبير والكلام ، تتيح لنا صياغة ما نفكر فيه صياغة ادبية ، وبنفس الوقت ايصال الفكر بسهولة ويسر ليصبح بمتناول الجميع ، فهي علاقة تجمع اصالة التفكير الذي في انفسنا مع اصالة تعبير لغتنا الفصيحة، وعلى هذا المعنى يقول الجاحظ: ان امكنك ان تبلغ من بيان لسانك وبلاغة قلمك، ولطف مداخلك واقتدارك على نفسك ان تفهم العامة معاني الخاصة وان تكسوها الالفاظ الواسطة، التي لا تلطف عن الدهماء ولا تجفو عن الاكفاء فأنت البليغ التام.

لكن كيف ذهبت اصالة ثقافتنا المعرفية ادراج الريح؟

هنا لا بد من الاجابة بعجالة عن سؤال جوهري : اين نحن؟  
فبعد ان نعرف من نحن اولاً، بمعرفة هويتنا التي هي إنيتنا،  
يواجهنا السؤال الملح : اين نحن من العالم؟ وكيف وصلنا لما  
وصلنا اليه الان؟ بعد ان كانت حضارتنا في مقدمة الحضارات  
، ونحن نناقش هنا الجانب المعنوي لحضارتنا وليس المادي .

ان خمسة قرون من السبات التاريخي تحت حكم الترك ،  
وتصحّر الثقافة العربية خلال ذلك العهد الطويل، لتصبح قاحلة  
ماحلة واثرا بعد عين، بعد ان كانت في مقدمة الحضارات،  
وكان لها الفضل الاول في ايصال العلوم والفلسفة الى الغرب،  
وقد خرج نا من هذا القبر جهله اميين، تعشش الخرافة في  
عقولنا، ولا يمتلك من يفترض ان يعبر عنا وعن احوالنا ، ممن  
يسمون طلاباً، سوى خطابات انشائية مهلهلة خالية من  
المضمون.

وما بين نهاية حكم الترك وبدايات العهد الاستعماري الغربي  
ظهر ماسمي بعصر النهضة، جريا على التسمية الاوروبية  
واستندت هذه الفترة الى ترجمات عن اللغات الاوروبية لكنها لم  
تخرج بخطابها عن النمط الانشائي والزخرف البلاغي  
المصطنع ، والاسهاب في خطابات طويلة تخلو من المضمون  
الفكري، وزاد على ذلك انبهار بثقافة الغرب والتبعية العمياء  
لتلك الثقافة، وادخال تعابير واساليب ومفاهيم دخيلة ليست من  
نسيج لغتنا، زادت في بلبلة العقول عند التفكير، وفي عي اللسان

---

عن التعبير السليم ؛ وهكذا تفتحت اعيننا بعد خمسمائة عام في  
قبر الجهل، على استعمار ادهى وانكى يستهدف هويتنا  
وجودنا، ويمتلك من الذكاء والخبرة بما لا يقاس مع العهد  
التركي.

لنجد بعد كل هذا السبات امامنا ثقافة لمستعمر جديد واسعة  
الاطراف، وعلماء وخبرة لا طاقة لنا بها.

وكتلميذ غرّ مولع بالمعرفة والعلم بعد غياب عن المدرسة  
طويل، اخذ الانبهار بهذه الثقافة البائنا، لنصل بلا ارادة حدود  
التبعية الثقافية والشعور بالدونية، وجلد الذات ونكران الهوية.

وهكذا بعد قرن من الترجمات المتلاحقة لما صدر عن هذه  
الثقافة الغربية من مؤلفات، دون حسيب ولا رقيب على الترجمة  
والتعريب، وكل يترجم على هواه ، والمتقف ينهل ، والجامعات  
تكاد تطير فرحا بهذه المعارف المستجدة والمفاهيم الحديثة، من  
غير اعمال نقد وبغیر تمحيص او ضبط ، حتى صار الكتاب  
خصوصا كتاب الفكر والفلسفة، بحاجة لترجمة ثانية عن العربية  
، وعلى منوال هذه الترجمات الركيكة نسجت مؤلفات وابحاث ،  
تقدم لنا فكرا غثا غير مفهوم ولا مهضوم، فعششت هذه المفاهيم  
في عقل الجيل ، وها نحن نشهد الان موجة ما يسمى بما بعد  
الحداثة ، او ما بعد الركافة اللغوية والفكرية ، ولا يخفى من  
يقف ورائها .

---

فبعد خمسة قرون من انقطاعنا عن جذورنا المعرفية  
والحضارية، غزت ثقافة المستعمر الغربي ثقافتنا الغضة،  
وادخلت مفاهيم دخيلة لا اصل لها في لغتنا، لتتجذر هذه المفاهيم  
في عمق ثقافتنا ما ادى لتضارب التفكير وتشعب دلالات  
المفهوم الواحد ان لم يكن تناقضها واختلافها تبعا لكل مدرسة  
ورأي ووجهة نظر، بدل ان تكون كما يفترض موحدة في  
الإفهام، وهذا اللبس اصاب مفاهيم العقل الاساسية ، ما ادى  
لاغتراب الوعي العربي عن نفسه.

ان اصالة التعبير وبالتالي التفكير هي ال خطوة الاولى لتحرر  
العقل من التبعية الثقافية، باستعادة المفاهيم الاصيلية، والبناء  
عليها، وتعريب الدخيلة وليس ترجمتها فقط، وهذا ليس تعصبا  
ولا رفضا للثقافات الاخرى، بل يجب ان يكون هذا الاخذ وفق  
نسيج العربية ومنطقها الداخلي .

وكما ان لكل لغة طريقة خاصة في الت عبير، لها ايضا طريقة  
خاصة في التفكير وضر بنا مثال الوعي والشعور وكيف ميزت  
بينهما العربية، في حين ان الكلمة نفسها تقال في لغات اخرى  
لهذه وتلك، لذا فالتفكير في هذه المفاهيم يختلف تبعا لطريقة  
التعبير عنها.

وخير لنا ان نعبر عن ذواتنا بأدواتنا من ان نستورد ادوات  
الاخرين ونفكر بطرقهم، والفرق بين الاصيل والدخيل كالفرق

---

بين ماهو منك وفيك وبين ماهو غريب عنك، وما الفائدة من علوم الفلسفة والفكر ان لم نستطع تمثيلها والتعبير عنها بلغتنا المعتادة بسلاسة بيننا وبين انفسنا او بيننا وبين الاخرين؟

وكي تكون عملية الاخذ والنقل عن الثقافات الاخرى، وفق اصولها، وجب ان نفرق بين الترجمة والتعريب، فالترجمة نقل من لغة الى اخرى ، اقرب الى النقل الحرفي، واقرب الى اللغة المترجم عنها، وهذا مانشهده في الترجمات المعاصرة ، اما التعريب فيحتاج لا عادة صياغة بما يتناسب مع منظومة مباني ومعاني العربي، فالنقل يبدأ بالترجمة اولا ثم يكتمل بالتعريب .

ولو تأملنا الترجمة والتعريب في عصور ازدهارها ، كترجمة ابن المقفع لكليلة ودمنه، وكالترجمات الفلسفية لاسحق بن حنين، لعرفنا كيف تكتمل الترجمة بالتعريب، في نسيج فني اصيل متماسك، ليبدو كأنك تقرأ عملا فنيا نثريا فصيحاً.

ولأن اصالة التفكير من اصالة التعبير، يمكن وصف فلسفه ارسطو بالاصيلة، وصفة الاصالة فيها مستمدة من استنادها الى لغته الام ، في اجتراف المنطق او اللوغوس أي اللغة المفكر فيها او ماوراء اللغة من فكر، فقد ارسى المفاهيم الفلسفية وفقا للغته الأم، فاشتق منها مفاهيم الوجود والماهية والجوهر، ومايقال على الجوهر من مقولات الكم والكيف والايين والمتى .

في حين ان الفلسفة السائدة تستعمل تعابير اللغة الاغريقية التي هي دخيلة على لغات المتفلسفة من المُحدّثين، وبالتالي يغترب الفكر فيها عن نفسه، وكي تواكب لغاتهم طبيعة الاغريقية ، لجؤوا الى تركيب مصطلحات مفاهيمهم عن طريق الالتصاق ، لذلك نجد المفهوم نفسه يختلف من لغة لاخرى ومن مدرسة لمدرسة.

والعرب قد بدأوا وثبتهم الثقافية والمعرفية الاولى من اللغة، قبل الخوض باي علم فقد بدأوا بمباحث اللغة ابتداء من الخليل بن احمد ، فمدرستي البصرة والكوفة في بغداد فالاندلس..الخ.

والفكر تشق متابعته بحد ذاته، ويعسر حصره والوقوف على معانيه من غير استعانة باللغة، ولا بد للانطلاق في التعبير عن المفاهيم النظرية والطرق الفكرية من قاعدة بيانات موحدة، وهي اللغة ، والعربية بتراتها الفكري الغني في اشتقاق المصطلحات والمفاهيم النظرية ، قادره اكثر من سواها ان تعبر عن اعقد مواضيع الفكر ببسط العبارات .

والأجدر في ميدان الفكر والنظر، الاستناد الى مرتكز ثابت آخر مواز للفكر، كي لا نضل بين شعبه وترامي اطرافه، ومنظومة اللغة تجري بالتوازي مع منظومة العقل وه ي راسخة القواعد متفق عليها، فعلى الفكر ان يجري وعينه على اللغة والا يستند لذاته فقط.

---

والاصالة ليست مطلبا لذاتها، بل بما هي سمة ذاتية مميزة  
للشخصية الحضارية، وهي المنطلق لاستعادة وعي مغيب،  
وهي ليست عقيدة بل منهج نعبر وفقه عن انفسنا بما يتلائم مع  
شخصيتنا، وم بدأ يجب ان يحكم التعبير تماماً كمبدأ البساطة  
ومبدأ النقد.

لذا فالاصالة طريقة للتعبير، وللتفكير ، لا عقيدة تلقين ، وهي  
محاولة لتحديد اطار لا فرض مضامين.

\*\*\*\*\*



## الفصل الثاني

### اللغة والفكر

تنتصب اللغة في بحار الفكر منارات هاديات، وفي صحاريه  
أعلام دالات ، فإن اخذتنا دوامات الفكر بعيدا بين حيرة  
المتاهات وأعماق الظنون، نجد حبال اللغة سلاسل متماسكات  
منجيات، فإن استطعنا تنظيم انحاء النظر ووجهات الفكر ، وفق  
ما يجري عليه نسق اللغة ، وتعابير معانيها ، عندها يبني الفكر  
على اسس اصيلة متينه - تُمهّد سبله بأبسط الادوات وفق لساننا  
وتعابير المعتمدة .

ولو تمنعنا في علاقة اللغة بالفكر، وجدنا اللغة والفكر صنوان،  
في الفهم وفي الزمان عبر اطوار الانسان، اذ هما يلتقيان في  
المعنى عند التفكير، وفي صياغة اللفظ عند التعبير .

واللغة موجودة فينا بمعانيها ، كما هي كائنه خارجنا بمبانيها ،  
بألفاظ مكتوبة منطوقة ، ليتبين اننا نفكر بكلمات ، تماماً كما  
نتكلم افكارا .

وعلى اعتبار ان اللغة تقابل الفكر ، فالعلاقة بينهما تفاعل  
متبادل، تماماً كالعلاقة التي تحكم اللغة من داخلها بين عناصرها  
من لفظ ومعنى ، فلا لفظ يُعتدّ به ويمكن ان يسمى كلمة إن لم  
يعبر عن معنى ما، من ورائه قصد ما، وإلا سُمي لغوا لا لغة ،  
ولا معنى يُعَوّل عليه إن لم يتم التعبير عنه بألفاظ اللغة ، وعلى  
رَوِيّ كُنْط: لغة دون فكر صماء، وأفكار دون لغه عمياء.

---

وكما يستحيل الفصل بين اللفظ والمعنى في الوجود اللغوي والعقلي، في حاضر الزمان، وكذلك عبر أطوار التاريخ من حيث الأولوية ، فمن غير المجدي التساؤل القديم الذي كان سائدا : ايهما اولاً ؟

وايهما ذو القيمة الاكبر والشرف الاعظم، اللفظ ام المعنى ؟ فلا سبيل لحل مثل هذه المعضلات الغيبية الميتافيزيقية ، وتجاوزها سوى القول : انهما معاً ولداً ووجدوا ، ومعا اشتد عودهما ، فهما وجهان لعملة واحدة ، وجه يلفظ وآخر مفكّر فيه ، ومجموعهما قطعة النقد التي هي الكلمة ، فلا ريب ان النقش غير الصورة وان كانا في قطعة عملة واحدة .

لكن ثمة ليس في المقابلة بين اللغة والفكر ، وحقيقة الأمر : لاسبيل للمقابلة بينهما، فاللغة بما تتضمن المعنى ، تتضمن الفكر ايضاً ، وعلاقة التضمن ليست علاقة تقابل ، أما المقابلة التي تصح منطقياً فهي تلك المقابلة العربية الفصيحة بين اللفظ والمعنى ، بينما مقابلة اللغة للفكر ليست الام جازاً او اعتباراً ، لترسخ مثل هذا المقابلة في ثقافتنا واذهاننا ، بسبب من الادبيات المعاصرة المستقاه عن لغات اخرى ، على اعتبار ان اللغة منظومة الفاظ داله، وان الفكر هي المعاني المقابلة لها في العقل .

---

ومع كل بلاغة الجاحظ وعميق فكرته ، لم يقل الا نصف الحقيقة حين أعلي من شأن اللفظ على حساب المعنى ، فقال ان المعاني متكرره ، لاحصر لها عند الناس ، لكن المعضلة في سبكها وصياغتها بألفاظ فصيحة ، في حين ان قوالب اللغة محدودة ، اما المعاني فملقاه على قارعة الطريق .

وايضا الرأي المقابل كما عند الجرجاني ، لم يقل الا نصف الحقيقة الاخر في اعلاء شأن المعنى على حساب اللفظ، معتبراً الالفاظ خدما للمعاني، وألاً قيمه للالفاظ تذكر اراء شرف المعنى .

والعجيب في الامر أن الجاحظ صاحب القول باللفظ ، الذي لاشك في فصاحته وبلاغته على مدى الدهر ، كان عميق النظر والفكر، واسع الاطلاع على ال فلسفة وعلوم الكلام واللغة ، اعمق من كل من تكلم في اولوية المعنى مع انه يفترض ظاهرياً ان يكون القائل بالمعنى ، هو صاحب النظرة الاعمق والفكرة الاوسع .

وقد استطاع الجاحظ اىصال أعقد المواضيع الفكرية والنظريه واللغوية بابطس قوالب التعبير، وبفصاحة وبلاغه تلامس الشعر ، مع أنه اعلى من شأن اللفظ على حساب المعنى ، فمباني الالفاظ هي قوالب اللغة ، والمعاني مادة تسكب وتسبك في تلك

---

القوالب ، والمعاني عند الجاحظ لا متناهيه في حين ان القوالب محدودة بالعدد.

والمنطق كما عبر عنه الاغريق اصلا بكلمة لوغوس ، هو ذلك الفكر والعقل ا الذي يقف وراء اللغة ، واستعملت ايضا كلمة لوغوس لتدل على كل فكر وراء الطبيعة والنفس ، ف قيل عن لوغوس منبث في الطبيعة وفي النفس .

ولغة لا فكر ورائها سميت لوغين كما تسمى لغواً في العربية ، وليس هذا بغريب ؛ فاللغة الاغريقية القديمة تأثرت بالفينيقية على ما يبدو ، فهناك تعابير مثل لوغوس بمعنى لغة ولوغين لغو ، والمادة الاولى ( الهولي ) تترجم بالهي الاولى وتقال للأنثى مقابل الذكر، الذي ( هو ) من يبذر الصورة في المادة الاولى . وغير ذلك كثير ، ونسبة المصادر عندهم كنسب المصادر الصناعيه في العربيه ؛ كالأسيه ousia بمعنى الجوهرية والإنيّه بمعنى الذاتيه والوجود المؤكد ...الخ.

واعتبر افلاطون ملكة النطق اعلى ملكات العقل جنبا الي جنب مع ملكة الحكم.

وهكذا فكلمة المنطق التي وردت ثقافتنا قديما في عهود الترجمة قبل اكثر من الف عام، يمكن القول أنها لغة الفكر ويفترض ان تكون ايضا فكر اللغة .

فاللغة في المضمون فكر، وفي الشكل لفظ ونطق ، مثلما ان الكلمة هي أسّ البناء الاول في اللغة ، عناصرها اللفظ والمعنى ، وعليه فالكلمة جوهر ما ، والأسّيّه عند الاغريق باللفظ نفسه ايضا تعني الجوهر والاساس . وبما ان الكلمة جوهر فهي اذن جزء اللغة الذي لا يتجرأ ، مادته المعنى، واللفظ شكله وقالبه .

فالكلمة التي هي اصغر وحدة في الكلام ، لا يمكن ان تنقسم وتتجزأ الي لفظ قائم بذاته ومعنى هو كذلك ، فلا لفظ يمكن وصفه بالذالّ يكون بغير معنى، ولا معنى بذاته دون لفظ دال، والا كان بلا وضع ، يصعب تحديده او التعبير عنه كأى خيال مبهم في اللاوعي، كما يصعب وصفه وادراك كنهه وماهيته .

ومع أنّا نبحث المعنى على انفراد، بحث مضمون الشكل ، او بحث مادة الجوهر ، بما هو مقترن بالعقل وتحكمه مع المعاني الاخرى علاقات تخص المعنى دون اللفظ ، فهما ليسا قطعة واحدة ، بل وجهان مختلفان لكن على عملة واحدة ، إنما نفصل بينها بالاعتبار، لا في حقيقة وجودهما . كذلك نبحث اللفظ على انفراده بحث الشكل والصورة في علم قواعد اللغة من صرف ونحو وبلاغة .

على ألا يقف فهما لطبيعة العلاقة بين الكلمة واللغة عند حدود تمثّلنا مقولة الجوهر ، فلا يخرج ذلك عن حدود التشبيه المعتاد، لا قالباً فكرياً ثابتاً او مفهوماً جامداً كما يفهم في الفلسفة ، بل

---

على طريقة العربية ، مثال يقاس عليه وقالب يحتذى ، كنوع  
من التشبيه ، مثلما شبهنا اللفظ والمعنى بقطعة عملة ذات  
وجهين . وكأن نشبه العلاقة بين اللفظ والمعنى بعلاقة تلازم  
كالإلزام بين الدخان والنار .

## المعنى والفكر

ثمة اصطلاحات اساسية نستخدمها في التعبير عما هو فكري ونظري تبني على مفاهيم هذه الاصطلاحات معارفنا وعلومنا ، يبدو فيها تداخلا ولبسا مع معان أخر عند استعمالها وفي دلالاتها ، خصوصا تلك الا اصطلاحات المتعلقة بالفكر . وبعض هذه الاصطلاحات اصيل في لغتنا كاصطلاح المعنى والفكر، فهي مصطلح عليها بالوضع الاول في اللغة .

ومن المفاهيم ما هو اصيل لكن لا على الوضع الاول ، بل بتخصيص اصطلاح اللفظ في الدلالة على معنى يجاوز معناه الاول في اصل الوضع ، كالنحو يدل باصل الوضع على الناحية ، ثم خصص ليدل على علم قواعد اللغة ، وكذلك الفقه من الفهم ثم خصص ليدل على علوم الشرع . فهذه المفاهيم اصيلة في وضعها وفي اصطلاحها .

وبعضها أصيل بالوضع ، لكن اصطلاح ليدل على معنى آخر أخذ دلالاته من ثقافات أخرى ، كمصطلح الم فهوم والمنطق ، فالمفهوم معنى اصيل بالعربية يدل على ما يفهم ، ثم اصطلاح على معنى فرعي يجاوز المعنى الاول ، يدل ان المفهوم معنى مصطلح عليه متفرع عن معنى اللفظ الاول . كذلك المنطق معنى اصيل يدل على ما ينطق وهو اللفظ ، لكنه اخذ دلالة اخرى بعد ترجمة الفيلسوف اليونانيه ، ليدل على ذلك



---

الفرع من الفلسفه المتعلق بفهم اللغة فهما عقليا ، فهذه اصيله  
بالوضع لا بالاصطلاح .

وبعض المفاهيم التي عُرِّبت وردنا اصطلاحها ودلالة معناها  
من اللغات والثقافات الاخرى كمفهوم الهوية والماهية  
والوجوديه والنسبيه .

وما يميز هذه الاصطلاحات انها نتاج مباشر لتلاقح اللغة والفكر  
او الالفاظ والافكار ، فالمعنى والفكرة والمفهوم والهوية  
اصطلاحات لغويه تدل على معان مجردة يجري عليها التفكير ،  
ومع أننا ذكرنا هذه الاصطلاحات فيما سلف ، لكن على علاقتها  
دون ان نفصل فيها القول ، فعلينا ان نستعيد النظر فيها وفق  
نظرة نقدية تبعا لدلالاتها واستعمالاتها ، والنقد بحث وتمحيص  
وغربله ، كنقد الناقد الذي هو الصيرفي للنقود ان كانت حقيقيه  
ام مزيفه ، والنقد يزيل الغث ويبقي على السمين الذي تؤمل منه  
الفائده ، وذلك لاجل اعاده تحديد معاني ودلالات هذه  
المصطلحات بطريقة ميسره يسهل استعمالها في التفكير وعند  
التعبير .

## المعنى

المعنى لغة هو القصد، ومعنى الكلام المقصود به ، وهو اسم يدل على مفعول .

ويمكن تأويل معنى المعنى بأنه كل ما عَنَّ في الذهن وامكن التعبير عنه بألفاظ اللغة، كما انه ايضا كل ما عَنَّ في الذهن عند سماع الالفاظ الدالة.

والمعنى من حيث المفهوم هو تمثُّل ما تدل عليها الالفاظ تمثلا ذهنيا، كما أنه ايضا تمثُّل لغوي للتصورات والانطباعات الذهنية وكذلك الافكار ، عند اقترانها بالمعنى، **فالمعنى تمثُّل لا تصور** ؛ والتصور مرتبط بالصورة التي تمثُّل العيان، في حين ان المعاني منها ما يدل على عيان او على معان مجردة مرتبطه بالافكار لا بالتصورات . اما التمثُّل فتجانس وانتظام وفق منظومه معينه ، مثلما يتمثل الجسم غذائه فيحوله الى مثيله من عظم ولحم ودم ، اذن انتظام التصورات والافكار في معان معبَّر عنها وفق منظومه اللغة ، هو تمثُّل لغوي لتلك التصورات والافكار .

والمعنى كما يدل على تصورات عيانيه، يدل ايضا على افكار مجردة لا تصور لها . فالمعنى يتوسط بين الالفاظ الدالة وبين التصورات التي هي مدلولات اللفظ وما تمثله في العيان، كتصور التفاحه في الذهن يمثل التفاحه ، او ان يتوسط المعنى

---

بين الالفاظ و بين الافكار المجرده من كل عيان تماما كما توسط  
بين الالفاظ والتصورات . وسنفضل هذا التوسط في الباب  
الخامس عند بحث المعنى والدلاله.

والبحث في أي علم يبدأ من البسيط والثابت وصولا الى  
المركب والمتغير، كذلك ينبغي ان يبدأ علم المعنى . والالفاظ  
البسيطه الداله على المعنى ، اما اسم او فعل او حرف ، والاسم  
هو القائم لغة بنفسه وهو الثابت ، في حين ان الفعل متغير تبعا  
للزمان ، والفعل يقوم على الفاعل الذي يفترض ان يكون له  
الاسم . والحرف او الاداء تقوم على غيرها من فعل واسم . لذا  
فالاسم هو مدخل البحث في علم المعنى لانه البسيط والثابت .

وكل اسم في اللغة له معنى ، وكل معنى يدل على مسمى ، ان  
كان المسمى تصورا في الازهان مع ما يمثله في العيان ، اما ان  
كان المعنى يدل على فكره مجرده فيُعَرَّفْ، كمفهوم اسم الفكر لا  
يُتصور بل يُعَرَّفْ معناه ، وليس له مسمى خارجي ؛ ذلك ان  
المسمى خارج اطار اللغة والمعنى ، فالتصورات وما تمثله من  
عيان ، هي مواضيع تجري عليها اللغة ، واذن فهي خارج اللغة  
، ويجري الامر على المسمى والمفترض ان يكون عيانيا له  
تصور في الذهن.

---

ونحن نتمثل العيان على شكل تصورات ، ونتمثل التصورات ونفكر فيها بما هي معان ، لنعبّر عن العالم الذي هو فينا ، فالعالم الذي نحن فيه هو فينا أيضا.

**والمعنى إذن تمثّل لغوي** عنده تلتقي الالفاظ الدالة مع ما يجول في خاطرنا من تصورات وانطباعات وافكار ، وعن طريق المعنى نتمثل المسميات التي لها تصورات تمثلا لغويا ، كما نتمثل الافكار التي لا تصور لها بتعريفها عن طريق غيرها من المعاني والافكار ، ما دامت مجردة من العيان .

## الفكر

المعاني منها ما يتعلق بالتفكير ويسمي افكارا ، ومنها المعاني المعتادة التي نتداولها في الحياه اليوميه والمرتبطة بما هو معاين والتي قلما نفكر فيها . والأفكار أبنات التفكير طالما ان لها معان مجردة ، بعضها يأخذ شكل المفهوم و بعضها شكل الهويه ، وهذه معان اصطلاح عليها باللفظ لتدل على ما تدل، يجري عليها التفكير بما هي مجردة . فالأفكار معان مجردة عن العيان ، خُصت بهذا الاسم لتدل على ما يجري عليه وبه التفكير ، فهي مادة التفكير .

أما اسم المعنى فخصت دلالاته فيما يتعلق بالألفاظ ، سواء دل على عيان ام على افكار هي معان مجردة.

ومفهوم الافكار اتجه بعيدا في دلالاته عن المعاني المتعلقة بما هو محسوس معاين، كالمعاني المتعلقة بالحياه اليوميه، نحو الجانب الاكثر تجريدا من المعاني المتعلقة بما هو فكري ونظري . والفكر مصدر يدل على تفاعل بين مفكر ومفكر فيه، تماماً كالفهم بين فاهم ومفهوم وكالعلم بين عالم ومعلوم.

والمفكر فيه هي الأفكار الواقع عليها فعل التفكير، أو التي هي نتاج فاعلية التفكير فالأفكار معان مجردة تتعلق بالتفكير العقلي اكثر من سائر المعاني الأخرى.

## المفهوم

المفهوم لغة ، فكل ما يفهم ويقع عليه فعل الفهم ، ثم اصطلح على معنى خاص ، وتم تداوله في شتى العلوم والمعارف، ليدل على كل ما اصطلح على معنى له تفرع عن معناه الاول باصل اللغة . واستعمل اهل المنطق قديما كلمة مفهوم لتدل على ما يتضمنه الاسم ، وسُمي بالمعنى الكلي، مقابل دلالة الاسم على الافراد التي في الخارج، والتي اطلق عليها ما صدقات الاسم او ماصدقات المفهوم ، فمفهوم اسم الانسان مثلا هو الناطق، في حين أن ما صدقاته : زيد وعمر و علي، وهو ذات معنى التضمن واللزوم في مباحث الدلالة ، فالمفهوم هو المعنى الذي يتضمنه الاسم ، ويلزم عنه ما صدقاته أو افراده ، ومثل هذه المفاهيم لم تعد تسعمل، فمعنى الاسم ودلالته كفيلان بالتعبير عن المفهوم والماصدق ، بطريقه اصيله ميسره ، فاسم الانسان يعني الناطق ودلالته هي افراده في الخارج كزيد وعمر و ، وهذا يرادف قولنا بالمفهوم والماصدقات ، لكن اصطلاح المعنى والدلالة قادرين على تعليل كامل مساحة اللغة بما في ذلك الافكار المجردة ، عكس اصطلاح المفهوم والماصدق اللذين ينطبقا على ما هو عياني فقط . فمثل هذه المصطلحات لا تخرج عن القيمة التاريخية في التراث .

كما استعمل مفهوم المفهوم فقهاء الشرع بمعناه العام الاول الدال على كل ما يفهم ، ليقابل المنطوق ؛ فقسم بعضهم ا لدلاله الى دلالة المنطوق أي اللفظ ، ودلالة المفهوم أي ما يفهم من وراء اللفظ لا على المعنى الاول فقط ، بل ما يدل عليه المعنى الاول من معان مرتبطة به ؛ كقولنا التعليم الزامي ، فيفهم منه ان التعلم ايضا الزامي ، فهذه دلالة مفهوم ، وهو المسكوت عنه في دلالة اللفظ . وعُرف انه مادل عليه اللفظ لا في محل نطق ، وايضا مادل عليه اللفظ في محل سكوت ، بحيث يؤخذ المفهوم من دلالة اللفظ وليس من عبارته ولفظه .

اما حديثا فدخل اصطلاح المفهوم كترجمة لـ concept ليأخذ دورا محوريا في نسيج الثقافة العلمية والنظرية، لكن بالمقابل عُرف الاصطلاح قديما بما يتفق مع معنى المفهوم المعاصر . فقد عرّف الجرجاني الاصطلاح بأنه اتفاق قوم على تسمية الشيء باسم ما ينقل عن موضعه الاول ، وعُرف ايضا بأنه اخراج اللفظ من معنى لغوي الى آخر لمناسبة بينهما كالعموم والخصوص والاشتراك والمثابهة .

وهكذا فمفاهيم كالنحو والفقه والبلاغة ، اصطلاح عليها وخصص معناها لتدل على العلوم المذكوره ، فالنحو من الجاه والطريق ، وخصص ليدل على علم قواعد اللغة التي تتحو العرب في كلامها نحوه . والفقه هو التعمق في الفهم، وخصص معناه ليدل على علوم الشريعة، والبلاغة من بلوغ الغايه ،

---

واصطلح عليه ليذل على فن الانشاء اللغوي في وصول و بلوغ  
نفس المخاطب تبعا لقصد المتكلم . فاسماء هذه العلوم تدل على  
مفاهيم هي معان اصطلاح عليها نقلت عن معناها الاول لنسبه  
بينهما هي العموم والخصوص ، فمعنى النحو من الناحيه وهذا  
عام بدلالته ، ثم خص ليذل على علم النحو .

فالمفاهيم هي معنى او مجموعه معان اصطلاح على اسم لها  
بشرط ان يتفق الاسم مع المبنى ودلالة اصل المعنى في العربيه  
، واذن فالمفهوم هو معنى تفرع عن دلالاته الاولى ليذل على  
معنى او مجموعه معاني مصطلح عليها ، كمفهوم الجاذبيه  
والنسبيه والاراده.



## الهوية

الهويات او الماهيات ثوابت قائمه في العقل، مميزة محدده، مثل الشيء والجوهر والذات ، ثوابت في الوجود العياني ، وبمثل ما الاسماء ثوابت اللغة ، مقابل الافعال المتغيرة في الفعل والزمان، وليست قائمه بل تعتمد على الفاعل، أما الادوات والحروف فلا تقوم الا على الفعل والاسم .

فالهويات او الماهيات موضوعات توصف ولا تصف ، ومسندات اليها يستند التفكير، استناد المسند في الجمل الى المسند اليه ، ويُرجع اليها كما يرجع الفعل الى الفاعل في اللغة وفي الواقع . وهي ثوابت العقل عند التفكير ، والتفكير يجري بافكار ، والافكار اما هويات وماهيات او مابه تكون الهويه ، وان اعتبرنا الابيض هويه فالبياض ما به تكون الهويه ، على اعتبار ان الابيض والبياض افكارا .

والهوية موضوع العقل الذي تستند اليه عملية التفكير، تماما كاسماء اللغة تجري عليها الافعال والصفات ويُرجع اليها في الجمل ، وكالذوات والجواهر المعايينه تجري عليها وترجع اليها الاعراض.

---

والهويات اساسا مميزة بما هي ، عن طريق الاسم ، وبما هي عليه عن طريق التعريف بمعناها . فالهويات معان فكرية محدّده هي موجودات العقل الثابته القائمة في العقل والفهم .

بمثل هذا الفهم يمكن الاستفادة من مفهوم م الهوية في طرق تفكيرنا وتعبيرنا عنها ، وبغير ذلك لا داعي لتشتيت الذهن بمصطلح مولّد كالماهية او الهوية ، وإلا ظلّ فضل كلام يُتشدّق به ، ولو تتبعنا المفاهيم النظرية المتضاربة في معنى الهوية بتفاصيلها، لأصاب العي السنتنا والعقلة اذهانا، كمن يرد البحر ويرجع عطشانا.

ولان هذا المفهوم يحتل موضعا اساسيا في عمق التفكير النظري السائد سواء في ثقافتنا النظرية ام في الثقافات الأخرى ، كما لعب دورا في تحديد المفاهيم النظرية في ثقافتنا منذ تُرجمت الفلسفة عن الاغريقية ، فدخل في صلب المقدمات النظرية لعلوم اللغة والفلسفة والكلام ، وطرق الاستدلال.

وكنا قد ذكرنا في الفصل السابق مفهوم الهوية بما هو إنّيّة، وانه ما يدل به على ان الشيء هو ذاته لا اخر، فهو تحليل المعنى المتعارف عليه للهويه هذه الايام ، ولم نخض بابعاده اللغويه والفلسفية . لذلك فإن رحلتنا هنا بحثا عن دلالات هذا المفهوم عبر التاريخ اللغوي والفكري ستبرهن لنا ايضا مدى وثاقة ارتباط اللغة بالفكر.

---

ولم يثر مفهوم فلسفي من اللبس ما أثارة مفهوم الهوية او الماهيه ، ويرجع اصل اشتقاقه واستعمالاته الي اللغة والفلسفة الاغريقيه ، من اداة الربط هو أو يوجد ويكون **Ti este** وينظره بالإنجليزية فعل الكينونة **to be** ، لما كانت هذه اللغات تستعمل فعل الكينونة كأداة للربط بين الكلمات ، فيقال : فلان هو كاتب او يكون كاتباً او يوجد كاتب ، في حين ان العربية تخلو من مثل هذا الرابط، ليقال مباشرة : فلان كاتب، اللهم الا اذا اعتبرنا كان واخواتها بمثابة روابط .

فصار اللبس في هذا المفهوم مضاعفاً بالعربية، نتيجة اختلاف الترجمات بين يكون وهو ويوجد ، لخلو العربية من مثل هذه الروابط، رغم الجهود التي بذلها المترجمون القدماء والشرح والفلسفة في مقارنة المعنى بشكل يثير الاعجاب، ونتيجة ترسخ هذا المفهوم في الادبيات المعاصرة اثار لبساً في تشكل وعينا وتكوين ثقافتنا الفكرية.

ومع ما حاوله علماء الكلام والفلسفة من تفسير وتأويل ونقد مفهوم الهوية، لكنهم جميعاً لم يتجاوزوه، وبنوا عليه كمفهوم اساسي لفهم اصول اللغة والمنطق وسائر العلوم الانسانية فلا بد من وقفه نقدي ازاء هذا المفهوم تبدأ من اللغة، لأجل التوفيق بين معناه ومعاني العربية.

ولما نقل العرب فلسفة الاغريق وجدوا عبارتين مختلفتين لفظا ودلالة معناهما واحده وهما *Ti esti* و *ousia* وعربتا تارة بالجوهر وتارة بالماهية ، وعرب الراهب اسطاط *Ti en einai* بالهوية ، في حين عربها ابو بشر بن متى بالموجود ، واسم الموجود مشتق ، لا اشتقاق اسم من اسم على طريقة العربية بل من حرف هو رابط ، والمشتق في العربية يدل على عَرَض كقولنا فلان موجود . كما تجنبوا تعريبها باسم الجوهر ذلك ان الجوهر ما يقال عليه الوصف ، ولا يقال ع لى غيره ، فهو موصوف وليس صفه، كما لا يقال في غيره ، قول الناطق في الانسان فلا يدخل في تعريف غيره.

ويقول ابن رشد : ولو كان اسم الموجود في كلام العرب يدل على ما يدل عليه الشيء لكان أحق بالدلالة على المقولات العشر من اسم الهوية .

وهكذا التبس المفهوم بسبب ال ترجمات، والحقيقة ان المفاهيم التي نتداولها الان في الفلسفة لم تكن قد تبلورت وتمايزت في الاغريقية بل هي صادرة عن الترجمات وما تبعها من شروح وتأويلات . و *ti esti* قد تعني ماهو وماهو موجود وماهو عليه ، فقولنا " سقراط " وماهو عليه سقراط واحد بالدلالة ، ويبدو أن ارسطو استعمل مثل هذه العبارات ليتجنب استعمال *eidos* التي استعملها افلاطون وحملها دلالاته الفلسفية، وهي

---

كلمة تعني عند الاغريق الصورة والنوع والماهية والطبع والمثال .

كما تعني ousia التي استعملها ارسطو : الجوهر والماهية والكلي والوجود والشيء تبعا للغه الاغريقية . وقد حُمِلت دلالات هذه الكلمات على مر الزمان فوق ما تحتل في لغتها وفي اللغات الاخرى ، ومن هنا منشأ اللبس في معانيها والخلط بين دلالاتها في الفلسفة قديما وحديثا .

ويقول فقهاء ارسطو عند الغرب كبول ريكور ان هاتين العبارتين ti esti و ousia استعملت في الفلسفة الاغريقية بمعنى واحد ، خصوصا عند ارسطو الذي استعملها ليدل على الجوهر وعلى الماهية .

واذن فدلالة هذه الكلمات لم تكن قد تحددت بالاصل ، ان كان ارسطو قد استعمل الكلمة الواحد ليدل على معنيين أو استعمل كلمتين ليدل على معنى واحد .

وقد اخذت هذه الكلمات والتباس معانيها، طريقها الى الفلسفة عن طريق تأويل معنى اسم مشتق من رابط ، فما الذي يجمع معاني كلمات مختلفة في دلالاتها كالوجود والماهية والكون والجوهر والشيء غير اللغة التي صدرت عنها ؟ لذا فلبس الفلسفة ترجع بذرته الاولى الى موضوع فقه اللغة .

---

و يرجع ابن رشد سبب فصل ابن سينا بين الماهية والوجود الي التباس الترجمات في معاني الهويه والوجود، وما استتبعها من فلسفات قامت على هذه التفرقة ، كالفلسفه الوجودية التي قالت بأسبقيّة الوجود على الماهيه تبعاً لتفرقة ابن سينا الذي جعل الماهية سابقة على الوجود، و مثل هذ ه التفرقة لم ترد عند الاغريق .

وهذا يعبرُ عن تضارب التأويلات في مفاهيم ينبغي ان تكون اساس الفكر الفلسفي.

وهكذا فقد ميرُ شراح ارسطو بين معنيين أوردهما للهويه :

1- معني منطقي : ما يجاب به عن سؤال ما هو .

2- معني فلسفي : ما به يكون الشيء هو .

واللغة تحل هذه المعضلة ، فإن كانت الهوية تجيب عن سؤال ماهو ، فلا يخرج هذا عن ذكر الاسم كقولنا انسان، أو ان يُعرّف عن طريق المعنى كقولنا :الناطق، وهو مابه تكون هوية الانسان ، فالهويه إذن تعريف إما بالاسم أو بالمعنى .

وعليه فالهويه تفيد التمييز والتعريف ، وهذا لا يخرج عن دلالة الاسم على المعنى ودلاله المعنى على المسمى ، فما الفائدة من كل هذه التأويلات والجهد إذن ؟

---

إلا إن اعتبرنا الهوية جوهرًا عقليًا يناظر الجواهر في وجودها العياني ، أو كالأسماء في وجودها اللغوي ، من حيث ثباتها وجوهريتها في الجمل ، كالموصوف الذي تحمل عليه الصفات ولا يوصف به، وكالفاعل يستند إليه الفعل ، فالموصوف والفاعل هما ثوابت في حين أن الصفات والافعال متغيره .

ويبين أرسطو في مقالة الزاي من كتاب مابعد الطبيعة ، ان اسم الجوهر يطلق على الماهية وعلى الكلي ( النوع ) ، وعلى الجنس وعلى الموضوع الاول الذي تقال عليه المقولات ولا يقال على غيره .

إن فالفقول بأن الماهية جوهر ما ، عُرف عند الاغريق ، وأرسطو جعل الصورة جوهرًا ، والصورة عنده تدل على الكلي و النوع ايضا ، وهي صورة النوع في افراده وكأنها طابع يطبع كل فرد من افراده ، فهي المُعرّف بماهية ال شيء حين نسأل ما هو ، فيجاب: فرس ، وهي اجابه عن سؤال الماهية بالنوع .

وجعل أفلاطون الماهيات المجردة كمفاهيم الحق والخير والجمال ، وهي المُثل جواهرًا ، بل جعل لها وجودًا ما في عالم أَسْمَاه عالم المُثل .

وقد ادرك الفارابي الذي لم يتحيز لأرسطو أو لأفلاطون دلالة اسم الهويه او الماهيه ، حين قال بأن الماهية ترادف جوهر

---

الشيء او ذاته ، وان ( معنى جوهر الشيء هو ذات الشيء وماهيته وجزء ماهيته ، فالذي هو ذات في نفسه وليس ذاتا لشيء اصلا هو جوهر على الاطلاق) .

وعلى فهم الفارابي تفهم عبارة ارسطو : "سقراط" وما هو سقراط واحد ، والمقصود دلالة اسم سقراط ودلالة المعنى المعروف للاسم واحده .

فجوهر دلالة اسم سقراط وجوهر دلالة معناه واحده ، اذ هي واقعه على مسمى واحد.

ولا بد أن نفرق هنا بين معنيين: ماله الهويه وهو الموصوف او الذات الموصوفه، وما به تكون الهويه وهو الصفه او العرض . فما له البياض والحياء والنفس والعقل هو الجوهر والذات الموصوفة، اما ما به يكون الابيض ابيضاً والعقل عاقلاً والفاعل فاعلاً، فالبياض والعقل والفعل .

وعلى ذلك فالهويات منها ما يدل على ما هو قائم في الوجود وله ذات كعمرو وجبل الشيخ وهذه الارض وتلك السماء، ومنها ما هو قائم بغيره حال الاعراض . فهذا القائم بغيره ان أخذ على حدته وجُرد واطلق عما هو له ، كما يطلق في وجوده اللغوي على شكل مصدر كالبياض والعقل والحياء ، امكن اعتبار معناه قائماً في العقل ايضاً ، وأن له ذاتاً اعتباريه ، فما هي الشيء في



---

العقل تناظر معنى الذات في العيان ، مادام قد عبّرنا عنه بالقول انه هو .

فالهوية اذن معنى قائم في العقل ويدل على ذات، سواء كانت موجودة في الاعيان ام اعتباريه في المعان ، ويعبر عنها باسم غير مشتق كأسماء النوع والمصادر ومنها المصادر الصناعية كقولنا: الانسانية .

فالأبيض مشتق يرجع الى من له ال بياض، والموجود مشتق يرجع الى من له الوجود.

اما ان اخذنا البياض والوجود على اطلاقهما، أمكن اعتبارهما قائمين في العقل كذوات افتراضيه توصف ولا تصف ويحمل عليها ولا تحمل على غيرها، ومثال ذلك بحثنا في المعنى على حدته وعلى مواضيعه كالعموم والخصوص والاطلاق على حدتها كمواضيع قائمه بانفسها ، مع انها في الواقع منتزعه ومجرده عن مواضيعها ، أي مطلقه مما هي له ، وهذا يناظر مفهوم الاطلاق في العربيّه ، فالاسم اول اطلاقه باللفظ يدل على معنى مطلق غير مشتق ، بل ان الامثله التي اوردناها كالوجود والبياض والمعنى والعموم والاطلاق والانسانيه ، صيغ اسماء مصدريه غير مشتقة ، والمصدر اطلاق اول .

وتلخيص القول في الهوية:

- 
- 1- الهوية تميز وتعرف في العقل ماله الهوية ، وتفصله عما سواه ، وبها يجاب على سؤال ماهو ، وهذا حد الاسم ، كما انها ما يُعرّف الشيء بما هو عليه ، وهذا حد المعنى .
  - 2- الهوية وجودها في الازهان وهو غائب عن العيان ، فهي كاللغة تدل على ماهو غائب في حين ان الحاضر يُدل عليه مباشرة بأنه هذا الشيء الملموس المشار اليه ، او يعبر عنه بضمير الحاضر حال الإنّيات.
  - 3- والهويات منها حقيقية تدل على ذات موجوده في العيان ، ومنها افتراضيه على اعتبار ان لها ذاتا في الازهان ، فنقول المعنى ذاته والفكره ذاتها .
  - 4- والهويات قائمه في العقل، مستقلة بوجودها المعنوي ، بغض النظر عن وجودها الخارجي . والاعراض ان اعتبرت مطلقة مرسله تصبح موضوعا للعقل كقولنا البياض والعقل والثقافة ، حين تجرد عن الابيض والعاقل و المثقف، فهي بهذا المعنى هويات ايضا.
  - 5- يعبر عن الهويات في اللغة بصيغ مصدرية او باسم ذات واسم نوع ، وهي الاسماء اول اطلاقها ، في حين ترجع المشتقة الى ما اشتقت منه لفظا ومعنى كقولنا عالم يرجع الى من له العلم، والعالم صفة مشتقة مشبهة باسم الفاعل.

6- الهوية تقال على ماله وجود سواء في العالم الخارجي ام في الذهن اما ما هو ممكن فلا هوية له.

7- مفهوم الهوية ثابت عقلي تجرى عليه عملية التفكير ، وتستند اليه الصفات والافعال بما هي في العقل، تماما كما تجري الافعال والصفات على اسماء اللغه، فالهوية موصوفة لا صفة ، واليه ترجع افعال التفكير في العقل ، والا هم من ذلك كله ان الهوية معنى فكرى اولا ، ووفق هذا المفهوم يشتق مبدأ الهوية القائل ان الشيء هو هو، ومنه يشتق مبدأ عدم التناقض القائل ان الشئ لا يمكن ان يكون اخر غير ما هو، ومنه يشتق مبدأ الثالث المرفوع القائل ان الشئ اما هـ و او ليس هو ولا توسط ليرفع التوسط او الثالث المرفوع . فمبدأ الهوية يقابل مبدأ الامكان الذي يقبل الممكن وغير الممكن بأن معا.

والعقل يبدأ اولا التمييز بين الهويات، بعد ان يطلق على كل منها اسما خاصا ليبدل على صفاتها الجوهرية المميزة ، ثم يربط بينها وفق علاقات محددة كعلاقات الجنس والنوع والعموم والخصوص والعلة والمعلول ، فيسهل عليه التأدي من هويه لأخرى ومن موضوع الى موضوع ليسهل عليه الحكم ، كما قد يربط بين الهويات تبعا لمفاهيم ، فالمفهوم قد يدل على هويه او مجموعة هويات مع ما يلحقها من صفات ، لتجري عليها عملية التفكير؛ فالعليه مفهوم يدل على علاقه تفاعليه بين هويات او ماهيات هي العله والمعلول .

---

ومعنى الهوية المتداول هذه الايام خارج الفلسفة يتفق في  
مضمونه مع المفهوم الفلسفي، فمفهوم الهوية الشخصية في  
الاحوال المدنية معرف عن الشخصية حتى وان كانت غائبة  
تُعرّف عن طريق الصفات الذاتية المميزة لها ، وهكذا  
فالمشرع اللبناني كان حكيما بتسميتها ذاتية . وكما تُعرّف الهوية  
العقلية ما له الهوية باسمه فنوعه فجنسه ، كذلك الهوية  
الشخصية تبدأ بالاسم فالعائلة والقبيلة والقوم .

وهوية أي قوم او امة هي ما تمتاز به شخصيتها، كذلك يستند  
وجودها الحضاري الى هوية تعبر عن شخصيتها الحضارية  
المميزة والفاعلة.

\*\*\*\*\*

## ثوابت الفكر

الثوابت التي يستند اليها الفكر بعضها من ذات طبيعته ،  
وبعضها من خارجه كاللغة والعيان.

فمفهوم الهوية ثابت يستند اليه الفكر في تمييز موجودات العقل،  
فلكل منها له اسم يميزه و يدل عليه وعلى صفاته المميزة ،  
وعلى كل ما يلحق به من صفات أخرى، والتمييز بين الهويات  
سابق في العقل على الربط والتحليل والاستدلال والحكم،  
فالهوية هي الموضوع الذي تجرى عليه فاعليات العقل اللاحقة  
تلك.

ومن مفهوم الهوية يلزم مبدأ الهوية الذي هو بديهية اولى في  
العقل وهو المبدأ القائل بأن ماله هوية لا يمكن خلطه بآخر، فاما  
ان يكون هو او لا يكون، لذا هو مبدا ثابت في الاستدلال من  
ذات طبيعة الفكر.

واللغة تشترك مع الفكر في المعاني التي تدل عليها الالفاظ ،  
وان اخذت شكل الفاظ منطوقة او مكتوبة . لكنها تتساقق جنباً  
الى جنب مع التفكير في تعابيرها ودلاله معانيها

واللغة ايضا ثابت لابد للفكر ان يعتمد عليه، وهي ملازمة للفكر  
في كل فاعلياته، وليست بمنعزلة عنه لتطرق عند الحاجة بل  
هي منظومة متكاملة موازيه وملازمة لمنظومه التفكير، ومن

---

ذات طبيعته في التعبير عما هو غائب عن العيان ، ومنظومة اللغة متفق ومصطلح على اسمائها ومبانيها ومعانيها بين الناس ، فإذا استند اليها التفكير عصمته من مواطئ الزلل، وكانت له علامات هاديات كي لا يضل في طريقه.

والعقل النظري يفكر وفق مفاهيم ، فإن لم تكن حدود هذه المفاهيم مثبتة عن طريق اللغة ، فلن تثبت في العقل ، ولا بد للعقل ان يفكر في حدود ما تسمح به اللغة.

لذا علينا ان نستند الى لغتنا التي نفكر فيها منعاً للبس، وعلى سبيل المثال فمعنى الادراك في العربية ليس فقط معنى معجمي بل وتاريخي ايضا وراءه تاريخ عريق من اطوار الدلالة وتقلبات الم عنى ، بدءا من الدلالة العيانية الاولى ، فادراك الشيء سعيك ورائه حتى تلحقه وتحصله ، فيقال لحقت به فادركته ، كما يقال على ادراك الزمان وغيره ، كقولنا الاعشى شاعر مخضرم اذ ادرك الجاهليه والاسلام ، و الادراك في دلالاته العقلية تحصيل المعرفة بالشيء ، في حين ان ترجمة معنى الادراك من اللغات الأخرى محصوره في الادراك الحسي فقط ، اما في لغتنا فتدل على ادراك الحسي والعقلي فلا ينبغي ان نترك معانيها تنجر وراء معاني الآخرين .

ولولا تثبيت اللغة لحدود مفاهيم العقل ، لظل كل ما يمكن ان نفكر فيه غير معبر عنه، وغير ذي ذكر، وبال تالي غير مفكر

---

فيه ، واللغة ان استند الفكر اليها ، اصبحت رافعة عظيمة للفكر والوعي .

وكما أن اللغة ثابت يتقاطع مع طبيعة الفكر ، فالعيان هو الآخر ثابت من خارج الفكر يستند التفكير اليه.

فانا لا اشك ان تلك المدينة عمان، وان ذلك جبل الشيخ ، وتلك هي السماء ونجومه ا وقمرها ، فهذا امر بديهي لا يحتاج الى برهان ، مع كل ما يلحق الحواس من شكوك في مدى كفاءة نقلها للواقع ، لكنها شكوك لا تذكر مقابل ما تزودنا به يقينا عن العالم ، وانه لأمر مثير للسخرية ان نشك بوجودنا الخاص ، كي نبرهن عليه منطقيا ، كما فعل ديكارت وغيره حين برهن على وجوده الخاص بالانا افكر اذن انا موجود ، بعد ان شكك بكل معطيات الحواس . ان مجرد ذكره لإثباته باستعمال ضمير الحاضر أنا ، اعتراف بوجوده قبل أي برهان ، وحلمه المبهر عن الرجل السابح استقاه عن ابن سينا في برهان الفتى الطائر ، الذي دلل به على أن النفس تترك وجودها الخاص بمعزل عن الحواس الخارجية ، والسبب فيما ذهب اليه ديكارت وغيره ، انه قد تم تعميم بعض اخطاء الحواس من قبل الشكاك لتشمل كل معطيات الواقع بما في ذلك وجودنا الخاص ، وهذه هي المصادرة بعينها . فالعيان وما تزودنا به الحواس ثابت يعتمد العقل عليه مع التحفظ على بعض اخطاء الحواس .

## اللغة بين الذكر والفكر

كما أن الهويات مفردات العقل والتفكير والتي هي غائبة عن ابصارنا ، كذلك فان اللغة التي نستحضر هذه الهويات عن طريقها ، تُعبّر ايضا عن غائب تقديره هو ، بل إن مانعبر عنه بأسماء الاشارة كهذا او ذاك ، ليس بإشارة مباشرة الى مشار اليه حاضر ، انما هو استحضار ما يفترض ان يكون حاضرا ذلك انه حضور في الأذهان وليس في الاعيان ، فالعقل يفكر واللغة تعبّر عن العالم الذي هو فينا وفق معان تستحضر العيان. و قول جرير في هجاء الفرزدق :

هذا ابن عمي في دمشق خليفة

لو شئت احضركم الي قطينا

ان ذكر اسم الاشارة هذا وان دل على مشار اليه ، لكنه ليس حاضرا حقيقة بل اعتبارا، اذ هو على سبيل المجاز، ليدل على حضور المشار اليه ، الذي هو غائب حقيقة، واسم الاشارة يستحضره . كما ان ضمائر الحاضر كأنا وانت ونحن ، صحيح انها تعبّر عن حضور، لكن الكلام المتعلق بها يُستحضر وليس حاضرا فعلا .



---

وبفضل اللغة اذن يُستحضر الغائب كأنه حاضر، فيتجدد ذكره ،  
لذا سميَّ الكلام حديثاً، إذ يُجَدَّد بالذكر ما غاب عن الفكر ،  
لِيُحَدَّثَ ما قد طواه النسيان في اعماق الذاكرة والهو .

وقالت العرب : حادثوا نفوسكم بالذكر فإنها سريعة الدثور .  
فباللغة تُحَدَّثُ الذاكرة ويستعاد الماضي والغائب ، ولا تضيع  
المعرفة في مجاهل النسيان، ولولا اللغة والذكر ما استحضر  
الفكر مواضيعه ، فالذكر والفكر من نعم اللغة على الانسان .

وسميت الضمائر بهذا الاسم لحكمه ، ذلك انها وضعت لتدل  
على ما هو مضمّر في النفس وغائب عن العيان حتى وان  
وصف بالحضور فهو حضور افتراضي .

وكل ما تعبّر عنه اللغة مفكّر فيه والا ما استطعنا التعبير عنه ،  
وكل مفكّر فيه مضمّر في النفس ، ليخرج باللغة الى حيز العلن  
، وكما ان العقل يفكر في هويات غائبة عن العيان ، كذلك فإن  
اللغة تعبّر عما هو غائب ، لكنّ مدار اللغة الاسم ، في حين ان  
الهوية لب الفكر . على اعتبار ان الاسماء والهويات قائمة ،  
وهي المواضيع أو العناصر الاولى في التفكير وعند التعبير ،  
سواء كانت مسميات في الاعيان ام مدلول عليها في الازهان .

وحكمة العربية جعلت المشتق قاً نماً بغيره لفظاً ومعنى ،  
كالأبيض والعقل تقوم بمن له البياض والعقل، وتشتق من

---

صيغتهما المصدرية المطلقة . والاطلاق تجريد الصفة عن الموصوف على اعتبار انها قائمة .

كذلك فالعلاقة بين المكوّنات اللغوية كإسناد الصفة الى الموصوف والخبر الى المبتدأ او الفعل الى الفاعل ، تنظر العلاقة بين الافكار . والأفكار ايضا تستند الى بعضها البعض ، فمنها ما هو قائم وهو ماله هويته، ومنها ما يقوم بغيره وهو ما به تكون الهوية .

## اطوار المعنى

واللغة قد ترافقت مع الفكر بكل اطوارها عبر الزمان ، فكما تطورت دلالات اللغة من العيان الى المعاني المجردة تبعاً لتقلب المعاني عبر الزمان ، تطور التفكير عند الانسان من العياني الى المجرد ، فكلمة ادراك في اللغة تدل على لحاقلك بالشيء وتحصيله، ليجرد المعنى من العيان فيبدل على الادراك العقلي بتحصيل المدرك .

كما ترافقت مع الفكر عبر رحلتها معا من الحقيقة الى المجاز ، كاعتبارنا مجازا ان المجرّد المطلق الذي صيغ كمصدر، يدل على ماهو قائم ، كالبياض والعلم .

وأسباب ذلك المجاز في التعبير والتفكير ، اثنان :

---

**اولاهما** ما ذهب اليه الجاحظ بأن قوالب اللغة محدودة في حين ان المعاني لا حصر لها، فتلجأ اللغة والعقل الى المجاز، لاستعمال تلك القوالب فيما لا قالب له.

**وثانيهما** أن اللغة تعبر عما هو غائب عن العيان وكذلك ما نفكر فيه انما نفكر فيه غيابا، فيعمل الفكر على ما هو غائب ك أنه حاضر وعلى ما هو اعتباري على أنه محقق الوجود، ومن ذلك فهم دلالة اسم الذات والتعبير عنه ، فالهويات تدل على ذات وإن كانت اعتباريه ، فالذات منها العياني ومنها المعنوي ، والمعنوي يعتبر ذاتا مجازا ، ونعبر عن ذلك بالقول : المعنى والفكرة ذاتها . كما تعبر العربية عن الذات بصيغ ذو وذات ؛ لتنسب الصفات المميزة والنعوت الى الذات التي ترجع اليها، ومن ذلك قولنا : ذو القرنين، وذات النطاقين وذو القروح وذو الخلصة، فهي تعابير تدل على الذات التي لها تلك الصفات المميزة ، والتي هي نعوت تنعت الذات بصفه مميزه موازية للإسم . وكان يطلق على ملوك اليمن كذي يزن وذو شناتر : الأذواء بمعنى الملوك والاقبال، ومازال معنى الذوات في لهجاتنا يدل على النخبة تماماً كاسم الاعيان ، بمعنى أنهم اصحاب تميز عن سواهم ، وأن الدلالة عليهم بيّنة كمن يدل على ذات أو عين حاضرة، وحتى دلالة اسماء الإشارة بهذا وهذه وذاك تتضمن دلالة على ذات، ولعل حرف الذال في أصل العربية يدل على الذات ومن ذلك اسماء الوصل كالذي والذين.... الخ .

---

وبمثل هذا المجاز في اللغة وعند التفكير نقول بأن الشيء نفسه والمعنى نفسه، مع ان ليس كل الاشياء لها نفوساً سوى الحيّ منها.

كذلك تطور المعنى الى مفهوم مصطلح عليه، عبر تخصيصه أو تعميمه، كمفاهيم النحو والفقه، فالفقه خصص معناه ليبدل على علوم الشريعة، والفقه بمعناه العام مرحلة من الفهم متقدمه، ونحن قد عدنا فعممنا الاصطلاح الخاص عندما وسمنا اسم الكتاب بفقه المعنى . والاصطلاح على مفاهيم محدده أ ملته الحاجة والضروره لاجل التفكير والتعبير.

واللغة تزودنا بالقوالب الضروريه لسكب وسبك المعاني والأفكار . فأسماء الذات واسماء العلم تدل على هويات حقيقية في حين أن المصادر تدل على هويات اعتبارية ، ومن المصادر ما اصطنع قالبه ليبدل على هويات وافكار مجردة كالمصادر الصناعية مثل قولنا : الانسانية والقومية والهوية . وإذن ليس من التنظير بشيء قولنا بأن اللغة والفكر معا ولدا وترعرعا ومعا اشتد عودهما.

## الفصل الثالث

### اللغة والمعرفة

## اللغة والمعرفة

وجد الانسان على هذه البسيطة، وليس لديه انياب الوحوش ومخالبها، ولا سرعة في الهروب والمطارده، ولا حوافر للضرب او قرون للطعن، ومن بين سائر الحيوان لم يكن باللاحم تماماً ولا بالعاشب تماماً، فكيف استطاع اضعف مخلوق لا يمتلك اسلحة مواجهة ان يصعب ملكا على سائر مخلوقات الارض؟

إن امتلاك العقل كوسيلة من وسائل البقاء ميز الانسان عن سائر الحيوان، فقد تحوّل لديه جزء من غريزة البقاء الى عقل، والحارث المحاسبي هو أول من قال بأن العقل غريزة .

وترافق مع هذا التحول في الغريزة، تحوّل في اللغة والنطق، من اصوات غريزية داله على وجود خطر او فرائس الى وسيلة تواصل بين البشر الذين عاشوا كجماعات بالطبع لدرء الاخطار والتعاون في سبل البقاء، فملكة اللغة والنطق ارتقت جنباً الى جنب مع ارتقاء العقل البشري، وساعدت في نقل الخبرات وتطويرها بين افراد الجماعة البشرية من جيل الى جيل عن طريق التواصل ، واللغة مكنت للانسان سبل العلم وساعدته على العيش والبقاء والاستمرار في صراع الحياة.

وبتنوع متطلبات الحياة تبعاً لضرورات البقاء ، اتسعت اللغة في تعابيرها ، وارتقت مع العقل جنباً الى جنب ، في تنوع تفكيره

---

واتساع افاقة ، بالترافق ايضا مع تنوع اعمال الانسا ن وتطويع عقله ويديه تبعا لتلك الاعمال ، من اختراع النار والاسلحه ، وبناء المسكن الى نصب الفخاخ ، وصناعة الادوات الحادة من الصخور وصولا الى صناعة النحاس فالحديد..... الخ.

وكان كل لفظ أو صوت جديد دال يُعبّر عن فكره جديده مفهومة ، قابلة للتواصل بين افراد الجماعة البشرية ، ما مكّن الانسان من نقل معارفه وخبراته الى الآخرين .

ولم يقتصر أمر النطق على نقل المعارف والخبرات المستجده والأخبار فحسب ، بل ايضا تثبيتها بالذاكره عن طريق الذكر، فبالذكر تقوى الذاكره وتثبت فيها المعارف ، والنسيان صفه لازمه للإنسان . وليس الذ كر تكرارا وتردادا فقط ، بل فيه تحديث وتجديد للفكر ايضا ، لذلك سمى العرب الكلام حديثا، فبه يصبح تحديث الفكر مزيه للعقل.

لكن كيف تحصل المعرفة عند الإنسان؟

ان اولى خطوات الانسان في معرفه العالم هي المعرفة المباشرة ، عن طريق الحواس الخمس الظاهرة، وكذلك الحواس الباطنه ايضا التي ندرك بها الالام الباطنة من مرض او جوع وعطش، وكذلك ادراك ما يتبع هذه الاحاسيس الداخليه من انفعالات كالفرح والغضب والحزن ومن خوف ورهبة أو رغبة ،

---

والادراك الغريزي منه ماهو بالحس الخارجي ومنه مابالحس الداخلي.

لكن هذه المعرفة المباشرة والغر يزيه ليست سوى جزء يسير من المعرفة التي فينا ، فهي الماده الاولى التي تبني بها هياكل معارفنا، أما المعرفة الرئيسية فهي معرفة ذلك العالم الغائب عنا حضوره والذي هو فينا ، وعن طريق اللغة نقوم باستحضاره ومحاولة تفسيره .

ورغم ان حضور العالم فينا حضورا مباشرا ا قوى في النفس من كل وصف ، كادراك الطعوم والروائح وماهو مرئي وملمس، لكن اللغة تزودنا بمعارف لا ندركها حضورا بل استحضارا ، لتعرفنا بتاريخ منصرم لم نشهده ، ووقائع لم نخبرها، واخبار لم ندركها، وعلوم نفكر فيها ، ونتائج نتوصل اليها ، من غير حضور مباشر ، فالغائب وان لم يعادل الحاضر اثرا في النفس، لكنه مصدر المعرفة الرئيس.

ومعرفة العالم الذي نحن فيه ، ليست الا معرفه العالم الذي هو فينا ، فنحن لاندرك داخل انفسنا الا ظلال العالم الخارجي وما يتركه في أنفسنا من انطباعات وتصورات وأفكار ومعاني.



## المعرفة والعلم

لأجل بيان أهمية اللغة في صياغة المفهوم الذي يُستند إليه عند التفكير، وكيف ان اللغة ترافق الفكر وتلازمه ، وأن بيان هذا التلازم هو صلب موضوع فقه المعنى ، سنتناول بالتحليل اللغوي مفهوم المعرفة الذي نحن بصدده ، وكذلك مفهوم العلم بما هو رديفه .

وقبل أن نثبت دلالة المفاهيم ، علينا النبش عن جذور اصطلاحاتها في تربة اللغة وصولاً الى دلالاتها العيانية او الشبئية الاولى قبل ارتقائها الى دلالات معنوية مجردة ، وكما ذكر لاشك أن العربي تعود جذور معانيها الاولى الى الدلالات العيانية ، في خيط تاريخي متصل من اطوار المعنى وتقلباته وصولاً الى المعاني المجردة .

وثبت بالاستقراء في كل الامثلة التي اوردت في الكتاب ، ان الاستناد الى الدلالة الاولى في لغتنا، اسلم واصح الطرق في تثبيت المفاهيم عن طريق ربط الدلالة العيانية مثل الوعاء بالدلالة المجردة مثل الوعي بمعناهما المشترك وهو الاستيعاب والحفظ ، فهذا المعنى المشترك ، يصدق على العيان وعلى المجرد من المعان ، ومن هذا الربط بين الاصل العياني للدلالة

---

، وبين المعنى المجرد وصولاً الى المفهوم ، نبين فيما يلي كيف  
يمكن ان نستوعب مفهومي المعرفة والعلم :

خاض العلماء بمختلف العلوم والاتجاهات الفكرية والمذهبية  
في بيان الفرق بين هذين المفهومين، الي درجة تضارب  
الدلالات ونقل الدلالة عن معناها الاول الى المفهوم قسراً ، تبعا  
لكل رأي ووجهة نظر، فبعضهم ذكر ان المعرفة تتضمن العلم ،  
وأن كل علم معرفه ، وليست كل معرفه علما ، وبعضهم قال  
عكس ذلك ، ومنهم من قال بأن المعرفة ادراك ذات الشيء وأن  
العلم ادراك أعراضه وصفاته ومنهم من رأى عكس ذلك .

إن الاحتكام الى المعاني الاولى العيانية في اللغة العربية ، هو  
المجرى الذي ينبغي أن تجرى وفقا له المعاني اللاحقة والأ  
تخرج عما يفرض مجراها ، لهو منهج اصوب من أي تأويل .

ومما تنأثر في كتب الأدب والشعر عن جذر كلمة معرفه ، نجد  
أن معناها العياني يدل على أعراف الجبال والسحاب والأشجار  
وهي أعلاها ، ويدل كذلك على أعراف الخيل وهي خصال  
الشعر التي تعلو أعناقها، وعُرف الديك ما يعلو رأسه ويميزه .  
ونجد أن جميع هذه المعاني تدل على تلك الع لاقة الظاهرة  
المميزة في أعلى الشيء . وعلى ذلك يجرى معنى العُرف،  
الذي هو ظاهر الأمر فيما اوجبه الناس بينهم من معاملات  
وسلوك ، وما يوجبه العرف يسمى معروفا ، وما يجده يسمى

---

منكرا ، وعلى هذه التسميه جرى الشرع ايضا ، وإذن فالمعرفة ما تدرك به الاشياء من علامات بَيِّنَه ظاهره تماما كاعراف الجبال والسحب واعراف الخيل . فهي ادراك الاشياء بدلالة ظواهرها البينه .

أما العَلَمُ فهو في الأصل الجبل المرتفع الذي يكون دليلاً على الطريق ، وهو علامه ودلاله بذاته لا بظاهر اعرافه، فالعَلَمُ علامه كليه في حين ان العُرف علامة جزئية .

وفي احدى غزوات ملك الحيره جذيمة الأبرش ، تاهت عن الركب سريه من جيشه وبادت، فأنشد متحسرا:

ربما أوفيت في عَلمٍ تَرَفَعَنَّ بُرْدِي شِمالات

يقول ليتني أشرفت على جبل عَ لَمٍ ، لنتُفَع بُردي ريح الشمال كعلامة تدرك بها السريه مكانه وتعلمه .

ومن هذا البيت ايضا، نستدل أن البرْد وهو يرفرف كأنه رايه ، فالعَلَمُ بمعني الرايه مُستقى من هذا المعني ايضا ، فهو علامه لا تجهل .

ورثت الخنساء أخاها صخرا:

وإن صخرا لتأتم الهداة به كأنه عَلم على رأسه نار

---

وتبعاً لذلك دل معنى العَلم على صفه الإسم ، الذي لا تجهل دلالته على مسماه، ففيل إسمٌ عَلم ، مقابل اسم المعرفة الذي يعرف بالالف واللام ، فاسم العلم أخص دلالة من اسم المعرفة في اللغة . والاسماء في اللغة علامات دالات على معانيها ومسمياتها ، لكن خُص اسم العَلم دون سواه ليتميز مسماه في دلاله قاطعه.

ومن هذه المعاني فالمعرفة اد راك ومعرفة الظاهر ، وهي معرفة جزئية ، في حين ان العلم معرفة الشيء بذاته وهي المعرفة الاكمل .

وممن ميز بين المفهومين تمييزا دقيقا ابوبكر الوراق فقال :  
المعرفة معرفة الاشياء بصورها وسماتها والعلم علم الاشياء بحقائقها.

وكذلك عرفها ابوحيان التوحيدي على لسان ابي سليمان السجستاني المنطقي : المعرفة أخص بالمحسوسات والمعاني الجزئية والعلم أخص بالمعقولات والمعاني الكلية، وعلى ذلك فاسم المعرفة اوسع دلاله من اسم العلم ، إذ كل علم معرفه ، لكن ليست كل معرفه علما .

## الاسم والمسمى والمعنى

تعرفنا اللغة بالأشياء العيانية وبالأُمور المعنوية عن طريق اللفظ الدال لزوماً على معنى ، والمعنى إما أن يدل على أشياء بأعيانها ، أو لا يدل إن كان اسماً لمعنى كالمصادر ، مثل أسماء الفهم والفكر والعقل ، فهذه لا وجود لها بأعيانها بل بمعانيها ، وبالتالي لامسميات لها خارج المعنى لتدل عليها بأعيانها.

والألفاظ الدالة تنقسم إلى أسماء وأفعال وحروف ، والأسماء هي الوحيدة القائمة بينها ، ولا تقوم بغيرها من أفعال وحروف ، فهي ما يستند الكلام إليها ، أما الأفعال فتراجع إلى الفاعل الذي هو اسم مشتق يرجع أيضاً إلى من قام بالفعل ، والذي يفترض أن يكون له اسم أيضاً ، أما الحروف فتستند في الكلام إلى الأفعال والأسماء.

والاسم ثابت لا تتغير صيغته ، في حين أن الفعل تتغير صيغته تبعاً للزمان ، وتبعا للفاعل من حيث التذكير والتأنيث والجمع والتثنية والأفراد . لذا يمكن القول أن الأسماء ثوابت الكلم ، وما تجرى عليه الأفعال والأدوات وتستند إليه ، هو بهذا المعنى أحق أن يكون جوهر الكلام ولبه .

---

وإن اخترلنا البحث في الكلمة واللفظ الى البحث في الاسم ودلالاته ، فبحث في لب اللغة، وأيسر تناولا واكل تغيرا من باقي اقسام الكلم.

والأسماء قوالب نموذجيه يسهل البدء منها في بحث وفهم موضوع اللغة والمعنى .

وإذن يمكن البدء بالقول أن اول المعرفه عن طريق اللغة ، إما معرفه بالاسم أو بالمعنى أو بالمسمى أو ببعضها أو جميعها.

ومع أن المسمى بذاته خارج إطار اللغة ، وما يمثله في اللغة هو اسمه ودلاله معناه ، كمسميات الاسماء الجامده التي تدل على عيان ، مثل الحجر والشجر والبشر، والواقع انها تدل على تصور ما هو معين ، كتصور الاشياء العيانيه أنفسها أو تصور أنواعها أو تصور ما يلحقها من صفات عيانيه .

لكن المسمى بما هو مسمى يرتبط بالمعنى اللغوي، بما أنه الشيء أو التصور الذي له الاسم . فإن استحضرننا الاسم، استحضرننا المسمى وكذلك العكس، لكن محطة الاستحضار بين الاسم والمسمى هي المعنى ، فالاسم يدل على معنى أولاً ، والمعنى على تصور أو عيان هو المسمى الذي له الاسم.

وقد يقول شاميّ انه اشترى فرفحينا ، وليس لهذا الاسم عندنا معنى وبالتالي لا نعرف مسماه ، لنسأله : ما الفرفحني؟ فيجيب

---

: البقلة . لنعرف المسمى بمقارنته باسم اخر له عندي معنى ودلالة على مسماه ، هو البقلة، فهذه معرفه تمت بالاسم .

ومن ذلك قد أسألك عن اسم ابنك الذي اعرفه واعرف من يكون ، لكنها معرفه لا تتم الا بمعرفة الاسم.

وقد يقول احدهم يجهل أيا من الاسماء الآنف ذكره ا : اشتريت نوعاً من الخضار يؤكل نيئاً، ويصف شكله ومذاقه ليعرفني بالمعنى الذي له دلالة عندي تقترن بمسماه، فأعرف عن طريق المعنى مسماه من غير وساطة الاسم، فهذه المعرفة حصلت عن طريق المعنى .

وقد أجهل ايضا مسمى الاسم ، فأعرف ما هو عن طريق معناه ، فالمعنى هنا دل على تصور ينوب مناب المسمى الذي اجهله ، والتصور هنا رسم للمسمى عن طريق الكلمات وليس صورته مطابقه ان لم اعاين المسمى .

اما الاجنبي الذي يجهل لغتي واجهل لغته، فلن يعرف ما الفرفحين وما البقلة ، لا بالاسم ولا بالمعنى مالم احضر له باقة منها كي يعاينها ، ليدركها بمسماها مباشرة بغير طريق اللغة .

واذن فالمعرفة اما بالاسم او بالمعنى او بالمسمى او ببعضها او جميعا.

---

والمعرفة الاتم تكون بمعرفة المسمى حاضرا بالعيان بالاضافة  
لمعرفته غائبا كتصور تعبر عنه اللغة بالاسم وبالمعنى.

لكن هل لكل اسم مسمى، وهل المسمى عياني حصرا ، كمسمى  
تلك الشجرة يشار اليها كموجود خارج اطار اللغة والذات؟

الا تعبر اللغة واسماؤها ومعانيها عما هو معنوي ايضا  
بالاضافة لما هو عياني؟

كما يقودنا هذا المثال الذي سقناه الى تساؤلات اخرى:

- فقد ادرك المسمى لكني لم اعد اذكر اسمه ، او قد اتذكر اسما  
ما ، لكن غاب عن بالي مسماه فهل يدل ذلك على ان الاسم لا  
يقترن ضرورة بالمسميات؟

تشير هذه التساؤلات نقطتان جوهرتيان :

(1). ينطبق المثال الاخير والذي سبقه على المسميات العيانية  
فقط ، اما المعنوية فمنها ما له تصور قريب من العيان كقولنا :  
انسان ، وهو اسم نوع وصورة كلية في كل واحد من الناس ،  
وليس بمجموع كقولنا : الناس ، ومسماه غير موجود عيانا  
كمسمى زيد وعمر ، لكنه معنى لصيق القرب من العيان ، له  
في انفسنا تصور ما.



---

ومن اسماء المعاني مالا تصور له ، عندما تدل على افكار ومفاهيم مجردة من كل عيان ، وكما تدل معاني الاسماء على العيان من خلال التصورات ، تدل ايضا على افكار لا تصور لها ، مثل العقل والنفس والفهم ، وبالتالي لا مسمى لها، فلو سئلنا : ماهو مسمى الفكر مثلا، لاجبنا بما يدل على معناه فقط، مايدلل ان لا مسميات خارج النفس تدل عليها اسماء المعاني المجردة.

(2). لا بد ان نفصل مفهوم اللغة ا لكلية الموضوعية عن اللغة الجزئية او الذاتية

### اللغة الكلية الموضوعية واللغة الجزئية الذاتية

أما اللغة الجزئية الذاتية فهي التي عند آحاد الناس، فعندما اذكر اسما وانسى مسماه، لا يعني ذلك ان الاسم ليس مسمى لاني فقط نسيت مسماه ، اما في اللغة الكلية الموضوعية فلك ل اسم مسمى.

وبالمقابل قد توجد اشياء وتصورات ليست بمسميات ، وليس لها بالتالي اسماء، انما ينوب المعنى مناب الاسم ، كأن تكون لدى احدهم قطه لا اسم لها بل تنسب لاسم نوعها وتذكر صفاتها الخاصة، فليس لكل شئ او تصور اسما بالضرورة، واذن

---

يصدق هنا كلام الجاحظ بان المعاني متكررة في حين ان قوالب اللفظ محدودة.

واللغة ككل المعارف، بعضها فينا، وبعضها خارج عنا بما هي موضوعة وكلية، فاللغة الكلية الموضوعة هي محصول اللغة في كل واحد من اهل لسانها قديما وحديثا، وكل علومها من صرف ونحو وبلاغة، وكل ما دون وقيل بها وفيها وعنها.

اما اللغة الجزئية الذاتية فهي الرصيد اللغوي المحصل عند احاد الناس ولكل واحد من الناس فيها نصيب، ويتضمن المحصول المعجمي عند كل واحد ، واساليب وطرق تعبيره الخاصة ، وطريقة لفظه ونطقه.... الخ، تبعا لمدى استيعابه للغة.

وبحثنا في اللغة والمعنى هنا هو بحث في اللغة ا لكلية الموضوعة ، واللغة بتفاعلها بين ماهي كلية وبين ماهي جزئية فينا، تزودنا بمعرفة غائب عنا حضورها ، والمعرفة اما ان تكون حضورا بالحواس او غيابا باللغة او بهما جميعا.

وعموما فالمعرفة عن طريق اللغة ،بعضها نستمد من اللفظ الذي هو شكل وبعضها يستقى من المعنى ودلالته أي المضمون ،والاغلب من مجموعهما.

## 1- المعرفة عن طريق اللفظ

أ. عن طريق الصرف :

والصرف يبحث مبنى الكلمة وشكلها على حدثها.

ومن مبنى الكلمة نعرف ان كانت اسما او فعلا او اداة . وبنية الاسم نعرفنا ان كان مذكرا ام مؤنثا ، مفردا ام مثنى ام جمعا وكذلك جامدا ام مشتقا، فالمشتق يرجع الى ما اشتق منه لفظا ومعنى ، كالكاتب على وزن فاعل ، يرجع الى الكتابة ومن قام بها ليدل تصريفه على فاعل الكتابة.

والمشتق في الحقيقة صفة مشبهة باسم الفاعل او المفعول او غير ذلك.

اما الجامد فهو الاسم باول اطلاقه ويشق منه ولا يشتق من غيره.

- والجامد منه اسماء النوع كالحجر والشجر والبشر والحقيقة ان هذه الاسماء الجامدة تدل على انواع ، لكن عند تحديدها وتعيينها بالاضافة لمعنى اخر تدل على عين، وذات كقولنا هذه الشجرة وتلك، او الشجرة التي صفاتها كذا، فيما هي مطلقة اسماء نوع ، وتكون اسم عين تدل على الذات عند تقييدها بمعنى اخر معين.

---

- ومن الاسماء الجامدة التي تدل على معنى وفعل : المصادر ، وهي تدل على حدث مجرد عن الزمان كالكتابة والمشي ، كما تدل على معنى مجرد من العيان كالفهم والعقل والادراك .

ومن المصادر تشتق الافعال واسماء الفاعل والمفعول والصفات المشبهة واسماء الزمان والمكان....الخ.

اما المصادر الصناعية فتشذ عن صفة الجمود التي للمصادر ، كالانسانية والقومية فهي مشتقة ، اصطنعت على غير مثال المصادر الجامدة .

اما اسماء العَلم فمنها الجامد كالشام والعراق ، ومنها المشتق كعامر وخالد ومحمود .وتدل دلالة محدده على ذات .

ومن شكل الكلمة ايضا نعرف التذكير من التأنيث، والجمع من التثنية او الافراد، كما نعلم ام كانت اسماء منسوبا او تصغيرا....الخ

ب. عن طريق النحو

ان كان الصرف هو شكل الكلمة على حدثها، وسكونها خارج السياق اللغوي الحي، فعلم النحو يعرفنا بمعنى الكلمة في موضعها من السياق عندما تتركب في جمل لنعرف الفاعل من

---

المفعول ، ونميز الخبر من المبتدأ، والصفة من الموصوف  
والحال من المحل، والظرف مما هو مظروف فيه.

ج. عن طريق الاساليب البلاغية

والبلاغة هي كيفية بلوغ المعنى نفس المتلقي عن طريق  
الاساليب البلاغية، بما يتناسب مع قصد المتكلم من تقديم  
وتأخير، كتقديم الخبر او المسند نعرف انه موضوع الكلام وما  
يجري تسليط الضوء عليه ، ومن تعريف وتنكير او حقيقة  
ومجاز، فالبلاغة اسلوب صياغة الجمل في سياقات، وكيف ندلل  
على المضمون وفق اسلوب وشكل يتناسب مع ما يريد المتكلم  
ايصاله بما يتوافق مع مقتضى الحال والمقام.

ان منظومة اللفظ يدلنا شكلها ومبناها على معان اولية في نفس  
الكلمة او في سياق الجمل ، كما تدل على منظومة معنوية  
مناظرة لها

## 2. المعرفة عن طريق المعنى

ان كانت الالفاظ اشكالا وعلامات دالة ، فان المعنى هو المضمون وهو المقصود بالكلام .

وان كانت معارفنا عن العالم بعضها عياني محسوس وبعضها معنوي معقول، فان المعرفة العيانية المحسوسة نزر يسير من معارفنا ، مع انها اساس المعرفة الاول ، اما جل معارفنا عن العالم وعن انفسنا ، فمعارف غير مباشرة كامنة في المعنى . صحيح ان العيان مادة المعرفة، وان الانطباعات والتصورات مصدرها العيان ، لكن هذه التصورات والانطباعات يصوغها العقل في معان وفق الفاظ دالة ، ليثبتها وتغدو في متناوله حين يريد استذكارها والتعمن والتفكر فيها ، او التعبير عنها.

ومنظومة المعاني في العقل تقتزن بمنظومة اللفظ المناظرة لها، وكل معنى يقتزن بلفظ او جملة الفاظ تدل عليه، ومبنى اللفظ وشكله كما ذكرنا يقدم لنا معرفة تمهيدية عن المعنى المقصود ، فنعرف ان اسم الكاتب تبعا لمبناه ووزنه اسم مشتق من الكتابة يدل على فاعل الكتابة، وانه صفة مشبهة ايضا، وان موضعه خبر او مبتدأ.

اما مضمون المعنى فنستدل عليه عن طريق المعنى المعجمي ، والمعنى المعجمي في العربي يمتاز عن سواه في اللغات الاخرى ، اذ يرجع بتصاريفه الى اصل الكلمة في اول الوضع

، ككلمة كاتب ترجع الى الكتابة ، ومن صيغة التصريف نعرف انه م ن يقوم بالكتابة ، ومن سياق المعاني في الجمل، نحدد ونعرف المقصود بالمعنى ان التبس معناه المعجمي علينا، فاسم العين قد يدل على الباصرة، او عين الماء، او عين الشئ وذاته، لكن من خلال سياق المعنى ندرك معرفة المعنى المقصود .  
وتمتاز العربية عن سائر اللغات بخيط تاريخي متصل يربط المعاني المجردة باصولها العيانية، تبعا لمعنى اول فان غابت عنا معرفة معنى مجرد كمفهوم الوعي، نرجع الى اصول المعنى العيانية ، لندرك انه يرجع لمعنى الوعاء الذي يستوعب مافيه .

ومن منظومة المعاني نعرف ونستدل ايضا على علاقة المعنى بغيره من المعاني ، المنتظمة وفق اجناس وانواع ، فمنها ما يدل على عيان ومنها ما يدل على معان مجردة ، ومنها ما يدل على عموم او خصوص ، وفق علاقات منطقية محددة تربط معنى بمعنى ، كعلاقات الاقتران وعلاقات التداخل في التركيب من تضمن واضافه و علاقات التخارج وفق مفاهيم العلية واللزوم ، مايسهل الوصول من معنى الى معنى، ومن فكرة لآخرى .

وعن طريق هذه المنظومة المعنوية نستطيع تعريف ووصف الاشياء والتصورات ، عند ربطها بخيوط علاقات منطقية تربط معنى باخر، وكذلك فان ادراك ووعي الم نطق الداخلي لهذه

---

المنظومة المنطقيه ، يُسهّل علينا التعبير عنها، والوصول الى الالفاظ المناسبه في منظومة اللفظ المقابله لها ، ونَسم الأشياء والتصورات او المعاني والافكار باسمائها ،ونربط العبارات بجمل وسياقات ، فالتصور الموصوف بالواعي عن الأشياء والعالم هو ماله في انفسنا معنى ، وبالتالي يمكن التعبير عنه لغة .

وهذه المنظومة المعنوية اشبه بالجدول الدوري في الكيمياء عناصرها معان لها اسماء ، لا معاني افعال وصفات واحوال فهذه مشتقه من تلك وترجع اليها ، او هي اعراض تلك ، وكل اسم وبالتالي معنى له خانه محددة معرفة بماهيته، مثلما للعنصر الكيميائي عدد ذري يمثل ماهيته، فالمعاني تنتظم وفقا لماهياتها في اجناس وانواع محددة باوضاع في منظومة وجدول معاني العقل.

والاسماء عناصر اساسيه تدخل في كل مركبات الكلام ، فلا فعل بغير فاعل ، والفاعل يرجع الى من قام بالفعل ولاريب ان له اسم يدل عليه . كما ان الفاعل اسم مشتق من مصدر الفعل الذي هو اسم ايضا ، في حين ان الاداه رابط يربط الاسماء والافعال فلا تزيد دلالتها على الربط بين اجزاء الكلام الاخرى من اسماء وافعال .



---

كذلك لا صفة بغير موصوف ، والموصوف اسم حتى وان كان يتضمن معناه حدثا أو صفة، كالمشي يوصف بالسريع او البطئ ، فالمشي هنا اسم وليس فعلا او اداة ، فالاسماء هي القائمة لغة بأنفسها.

والاسم لا يدل بذاته على مسماه بل بمعناه ، فالمعنى ما يدلنا ويعرفنا على المسمى، كما يدلنا ويعرفنا باسم المسمى. والعلاقة بين الاسم والمعنى والمسمى متبادلة . فان سهونا عن الاسم او المسمى فان المعنى يدلنا عليهما.

### 3. المعرفة عن طريق المسمى.

المسمى هو دلالة الاسم عن طريق معناه على ماله الاسم.

والمسمى بالاصل عيان له تصور في انفسنا وهذا التصور يقتزن بالمعنى ويدل عليه .

ومادام المسمى بالاصل عيان ، فمعرفته تكون مباشرة عن طريق الحواس، او غيابا عن طريق اللغة ، او كليهما ، فان كان ما يفترض ان يكون مسمى هو مدخل المعرفة ، لا بد وان يكون له في اذهاننا تصور مادام هو عيان ، هذا التصور ان لم نستطع التعبير عنه لغة ، يظل مبهما خارج اطار الوعي، اما ان استطعنا التعبير عنه ووصفه وبالتالي تصنيفه في نوع ، يصبح

---

محصولا في الوعي ، اي جزءا من منظومة العقل والمعنى،  
عندئذ يمكن الدلالة عليه عن طريق اللغة، فان امتلاك هذا  
المدلول عليه الذي له في انفسنا معنى ، إسمًا خاصاً به، امسى  
مسمى، لتكتمل معرفته حضورا وغيابا، وتسهل الدلالة عليه  
بالاسم اكثر من رسم المعنى بغير اسم.

وبعض المدلول عليه له تصور ومعنى محدد لكن ليس بمسمى ،  
مثل قطعة فلان معروفة باسم نوعها وصفاتها ولا اسم لها فهذه  
تسمى مدلولات وليس مسميات.

والمسميات تمثل اعيانا لها تصورات في انفسنا تقترب بالمسمى  
الذي له التصور والاسم من جهة ،وبالمعنى من جهة ثانية،  
ومادامت اللغة تعبر عما هو غائب، اذن هي تعبر في الحقيقة  
عن تصورات تنوب مناب المسميات التي تقترب بها.

والتصورات بعضها لاشياء قائمة بانفسها في العيان كهذه البناية  
وتلك الشجرة ، وبعضها قائم على ماله عيان كتصور الانسان ،  
وكذلك اسماء الانواع العيانية، فاسم الانسان تصور عام قائم  
على اعيان افراده، ومن التصورات التي ليس لها عيان بذاتها،  
بل تقوم على ماله العيان المصادر التي تدل على افعال عيانية  
كالمشي والكتابة، لها تصور ما ، مع انها قائمة بغيرها، فالمشي  
لا وجود له بذاته بل بمن يمشي وكذلك الافعال لا تقوم ا  
بفاعلهما، وبما ان لها تصور ما فهي تعتبر مسميات ايضا،

---

وبعض التصورات من صنع الخيال ولها مسميات لكنها غير موجودة بالعيان، مثل الغولة والعنقاء .

واذن فما لا تصور له من الاسماء ، وهي الاسماء الداله على معان مجردة من كل عيان ، او هي الداله على افكار مقابل التصورات الداله على العيان ، هي اسماء لا مسميات لها ايضا، فمسماهما عين معناها وتعريفها، فلو سئلنا عن مسمى الفكر مثلا فلن نجيب بأكثر من معناه، بعكس تلك الشجرة التي هي مسمى الشجرة المعينة.

فالتصور او عدمه مرتبط بعلاقته بالعيان فالقراءة مرتبطة بعيان ، اذن لها تصور ومسمى، والصفات المرتبطة بالعيان كالالوان لها تصور ومسمى، اما الصفات المجردة المتعلقة بالفكر وبالفكر ، كالذكاء والفطنة فلا تصور لها وليس لها مسميات واذن عن طريق الاسم ومعناه نستدل ونعرف مسماه ، وكذلك العكس فبمعرفة المسمى يفترض ان نستدل على معناه ومن ثم اسمه.

وعموما فاللفظ الدال يعرفنا بالمدلول عليه عن طريق معناه ، وكذلك العكس ، سواء كان اللفظ الدال اسما او جملة تعبر عن معنى لمدلول عليه.

---

## اللغة والمعرفة النظرية

كما فرقنا لغويا بين المعرفة والعلم، وان العلم معرفة منضبطة في قواعد محددة وقوانين، ينبغي ان نفصل ل هذه التفرقة في المواضيع المعرفية كاللغة والفلسفة والعلوم الانسانية الاخرى ، ليسهل علينا فهم حدودها وطبيعتها.

واللغة العربية مثلا بعض مواضيعها علوم وبعضها معارف، كالنحو والصرف بما هي معارف تضبطها قواعد محددة ، فعلم . اما ما يسمى بعلم المعنى المتعلق باللغة العربية، فلا قواعد محددة تضبطه الى الان بدقة علوم النحو والصرف، فعلم المعنى السائد لا يندرج تحت مفهوم العلم، بل المعرفة.

والشعر ايضا بعضه علم، كالقواعد التي تحكم الوزن وتضبطه وتصنفه في بحور هي قواعد يصح ان تسمى علم اوزان الشعر وماعدا علم الوزن فمعرفة.

واجمالا فالمعارف المجردة والتي تبحث الشكل بعد انتزاعه من المضمون، يسهل وضع قواعد مضبوطة لها، كالرياضيات تجرد الكم وتبحث فيه مجردا ، فهي شكلية لا تبحث مضمون العدد مثلا بل بما هو عدد مجرد.

---

فالمعارف الشكلية المجردة يسهل وضع قواعد كليه لها في حين ان الجزئي لا حصر لكثرتة ويصعب ضبطه الا تبعا لما هو كلي عام.

وعلم المعنى في وضعه الحالي، معرفة اكثر منه علم فمضامينه متنشعبه متكثره يصعب ضبطها كعلم النحو في اشكال وقوالب محددة .

وحاول الفلاسفة من قديم الزمان وضع قواعد كلية تحكم المعنى والفكر، واسموها منطقا ، لكن هذا المنطق مع كل اطواره عبر الالف السنين ، منذ الاغريق فالعرب فالغرب، ظل حبيس اختصاصه ولم يقدم اضافة ذات بال للمعارف الانسانية، ولم يتفق عليه وعلى قواعده كما اتفق على مناهج العلوم الاخرى .

والمعارف النظرية مقابل المعارف العملية ، هي تلك التي تبحث في المبادئ المجردة الكلية، ولكل علم مبادئ نظرية تجري على نهجها المبادئ العملية التي هي فروع مشتقة من الاصل .

تدعي الفلسفة انها التي تنظر في مبادئ الوجود الكلية، لكن على خلاف العلوم الاخرى، فهذه المبادئ غير متفق عليها بين مدرسة واخرى وبين راي واخر، وسنرى ان هذه المبادئ قائمة على مفاهيم ، وأن اللبس اللغوي في دلالة هذه المفاهيم بين مذهب واخر ومن لغة لاخرى ، كان له الدور الاكبر في هذا الخلاف.

---

والمعرفة البشرية سلسلة متصلة منذ قديم الزمان، فالفلسفة  
الاغريقية اخذت علومها عن الهنود في الميتافيزيقا وعن  
البابليين في علم الفلك وعن مصر في علوم الهندسة  
والرياضيات.

واعترف كبار فلاسفة الاغريق انهم تتلمذوا على يد المصريين  
والبابليين، فقد زار فيتاغورس مصر واخذ عن كهنة معبد مناف  
(منف)، كذلك زارها افلاطون ، واعجب بالحضارة المصرية،  
وقال ان سبب تقدم العلوم فيها هو ان كهنتها لديهم وقت فراغ  
كاف للتأمل والبحث، وكل طلباتهم مستجابة.

كما ذكر انه اعجب بالتقاليد المصرية الصارمة التي حافظوا  
عليها الالف السنين دون ان يغيروا بها شيئاً.

وتميز مصر بالهندسة والرياضيات فرضته ضرورة تقسيم  
الاراضي الزراعية بين الفلاحين ، وحساب اوقات فيضان النيل  
بدقة.

كما اخذوا ا لميتافيزيقا والغيبيات عن الهنود، فمن اطلع على  
فلسفة الهنود القديمة لن يفرق بين مقولاتها ومقولات الفلسفة  
الاغريقية بمختلف اتجاهاتها ومفاهيمها بل وتعابيرها.

اما ما يتعلق بعلم الفلك والحديث عن الافلاك العشر وبالتالي  
المحركات العشر، فكل فلك يحركه الفلك الذي يعلوه وهو يحرك

---

الفلك الادنى، بدءا من فلك ما دون القمر، الذي هو الارض، وهو عالم الكون والفساد، بسبب وجود الماده فيه كما اعتقدوا، الى الفلك الاعلى او المحرك الاول الذي لا يتحرك فهي نظرة بابلية المنشأ.

واخذ العرب عن الاغريق فلسفتهم ومنطقهم ، ثم صاغوها بعد ذلك في علومهم من منطق ولغة وعلم كلام، الذي هو علم عربي اصيل بمفاهيمه وطرق استدلاله وتعبيره، لكن اغرقه في الميتافيزيقا ، ومحاربته من قبل علماء الدين في العصور المتأخرة ، جعله يتراجع عما كان عليه في عصره الذهبي، ولو جردنا الميتافيزيقا عن علوم الكلام، في بحثها عن الازلية والابدية وقدم العالم وحدثه.. الخ ، لعثرنا على كنز لغوي يتعلق بمفاهيم اصيلة وطرق منطقية غير مسبوقة، تمايزت عن المنطق الاغريقي، بل ان الجانب النظري في علوم الفقه، كعلم الدلالة مثلا وطرق الاستدلال المنطقي مستفاه من ابحاث علماء الكلام العرب.

ودخل اصطلا ح المنطق اللغة العربية عند ترجمة الفلسفة الاغريقية ، وهو كما يفترض عند واضعيه، ميزان عقلي توزن به الاقوال ، وهو معياري شكلي دون اعتبار المضمون ومادة الموزون.

---

واسم المنطق مشتق من النطق، فاللوغوس عند الاغريق، هو المنطق اللغوي.

ويستدل مما نسب لأرسطو من اقوال ، ان طرق السفسطائيين في قلب المقدمات نتائج والنتائج مقدمات ، وفي المصادرة على المطلوب ، والتلاعب بالفاظ اللغة، قصد الفذلكة والتشكيك، ايقظ الفلسفة من غفلتها اللغوية على يد ارسطو، ليبدأ تمحيص اللغة ونقدھا ووضع اسس منطقية جديدة، كي لا يخدع العقل باوھام لغوية، وانقسم المنطق عنده الى لغوي واخر قياسي .

فكتابي المقولات والعبارة هما اولى كتبه المنطقية ويبحثان في المفاهيم الفلسفية من جهة اللغة.

وفي كتاب المقولات يبحث مقولة الجوهر وما يقال عليه من مقولات او صفات كالكم والكيف ومن ظروف كالزمان والمكان، ومعنى ودلالة كل مقوله. فالجوهر لا يقال على او في غيره بينما الصفات الاخرى تقال عليه، وفي كتاب العبارة ينتقل من الكلمة الى الجملة وتركيبها وطرق الحمل أي طرق الاسناد كاسناد الصفة الى الموصوف.

ثم يبدأ في بحث طرق الاستدلال في كتب القياس وابسط الامثلة عليها كل أ ب وكل ب ج اذن كل أ ج وكذلك بعض أ ب وبعض ب ج اذن بعض أ ج.



---

وعدم استناد الفلسفة الى اللغة هو ما جعلها تفلسفا عند  
السفسطائيين قبل ارسطو، ومن اقوالهم المشككة، ان  
(اللاموجود) موجود، وهذه مصادره ، صحيح ان (اللاموجود)  
ككلمة لها وجود في اللغة، لكنهم عمموا ذلك على الوجود كله  
وهو تناقص ينسف اسس التفكير.

فالسفسطائيون ايقظوا ارسطو من سباته اللغوي، كما ايقظ هيوم  
كنط من سباته الفكري ، على حد قول الاخير، حين نفى الاول  
مفهوم العلة وارجعه الى حكم العادة والتكرار.

ومع المنطق اختزلت اللغة مفاهيم الفلسفة الى معان محددة  
تُسهّل على المنطق مقاييسه ، وعلى الفلسفة تعابيرها.

وهكذا فقد جمع الاغريق معارف من سبقهم من الامم ،  
وصاغوها وفق لغتهم في قالب نظري كمعرفه نظرية مجردة  
واسمها فلسفة من Sophy, philo ، وفيلو تعني المحب او  
الخل، و Sophy تعني الحكمة، وهي سوفيط وشوفيط عند  
الفينيقيين والبابليين، بمعنى الحاكم والقاضي ، وما (الصفات)  
الا حكم على الموصوف، وما زال معنى صفط في اللهجة  
العامية اللبنانية ترتبط بكلمة حق، فيقال صفط حقه أي تنازل  
عنه وحل الاشكال، ولا ترتبط بكلمة اخرى غيرها، وادق  
ترجمة حرفية لها هي خلان الحكمة ، ولعل اخوان الصفا  
وخلان الوفا اسبقوا اسمهم من هكذا ترجمه. وبقدر ابتعاد النظر

---

عن العيان وتوغله فيما هو مجرد، يبتعد عن الضبط والإحكام ، فلا يمكن ضبط قواعد له محكمة، بل حتى المفاهيم الفلسفية التي تبنى عليها احكامه، غير مصطلح على معان لها محددة، فالنفس والحرية والاراده والهوية والذات مفاهيم مجردة غير متفق على معانيها بين مدرسة واخرى وتختلف تبعا لوجهات النظر، فبينما يعرف بعضهم الحرية بتعاريف محددة ينكر اخرون امكانية تعريف هذا المفهوم واخرون يرون ان تعريفها مرتبط بتعريف اللاحرية والتقييد ، فلا تفهم الا بفهم نقيضها.

وهذا مذهب اليه ابو حيان التوحيدي عندما سئل عن معنى النفس فأجاب بان (التحديد يعوز، والرسم لا يشفي والوصف مقصر عن الغاية، لانه ليس لها جنس ولا فصل فينشأ الحد بهما ومنهما ، والاسم الشائع أي النفس اخلص الى المطلوب واحضر للمقصود من التحديد لهذا ما اختلف الناس قديما وحديثا في حدها، فالاعتراف بها وبوجدانها اسهل من الغوص عن كنهها وبرهانها، انما صعب هذا لان الانسان يريد أن يعرف النفس وهو لايعرف النفس الا بالنفس وهو محجوب عن نفسه بنفسه).

وهذا ماجعل البعض يتندر على مسمى علم النفس وانه علم نفس بغير نفس، على اعتبار ان النفس مفهوم عقلي مختلف عليه وليس له وجود فعلي.

---

والمعارف النظرية بعد الاف السنين من بحث الانسان عن تساؤلاته عن الوجود والكون لم تعط اجابة شافية كافية، ذلك انه لايمكن ضبط قواعد محددة لها في علم انما تبقى معارفا قابلة للتاويل ولمختلف وجهات النظر.

وعادت المعرفة النظرية مع الفلسفة الاوروبية لكن لتتوقع على نفسها بعيدا عن اللغة ،مصطنعة لغة فلسفية خاصة، مغرقة في اصطناع الاشتقاقات والتراكيب اللغوية الملتبسة، على ديدن طريقة لغاتهم في اللصق والتركيب، وجل هذه الاشتقاقات جذورها اللغوية من غير لغتهم وترجع الى الاغريقية واللاتينية، وبدل ان تيسر مثل هذه الفلسفة دروب الفكر كما حاول العرب ، ارتدت لتعقد ماقد سهل.

وأنت اولى دعوات تفوق الفكر على ذاته منذ بداية تفلسف الغرب وفي المقدمة نبيهم ديكارت ففي كتابه مقال عن المنهج ، يروى حلما عن رجل غائص في الماء لا يجد مستمسكا ثابتا سوى الفكر نفسه . وجعل المبدأ ال ثابت الاول عنده المقولة الشهيرة (انا افكر اذن انا موجود ) ، ليستدل على وجوده من الفكر المجرد ، ما اصاب الغرب بالانبهار ، فجعلوا منه تميتمهم الفلسفية وايقونة فكرهم مع ان هذا المبدأ العظيم معكوس ومقلوب فالوجود لا يشتق من الفكر ببساطة، انما الفكر يشتق من الوجود، فالفكر احد وجوه الوجود وليس كل الوجود فكرا ثم

---

مجرد أن عبر عن إننيّة بكلمة (أنا) اثبت وجوده دون حاجة للبرهنة عليه عقليا.

وحلمه عن الرجل الغائص هو ذات ما اورده ابن سينا عن رجل طائر في الهواء اثناء سقوطه ، ليدرك ايضا وجود نفسه بغير طريق الحواس.

وعلى منهج د يكارث في استنباط الوجود من مقولات شكلية مجردة، سار فلاسفة الغرب مثل كنط وهيغل على نهجه في بناء فلسفاتهم.

فبنى كنط فلسفته على مفهومه للحدس او البداهة، فانكر وجود المكان والزمان واعتبرهما ذاتيات في النفس ، وحدوس ننسق وفقهما موجودات العالم، وعلى هذا النهج يفهم موضوع العلية ايضا.

ومع انه مات لكن لاشك ان قبره في مكان وحتمًا في بلده كنغسبورغ وليس في امريكا .

واسقط هيغل الجدل المنطقي على الوجود، جاعلا الوجود يسير وفق مقولات جدلية منطقية مصطنعة، وان الوجود يتحدد ويتعين بين الشئ ونقيضه فاصبح للمنطق المجرد وجودا يحكم النفس والعالم عبر وحدة وتناقض الازدواج في مقولاته الثلاثية.

---

وعلى طريقة ديكرت، حاول فخته استنباط الوجود من (الأنا)،  
جاعلا اياه مبدءا اولاً ينقسم الى اللا انا ليستخرج الوجود  
ومقولاته من مقابلات شكلية جدليه على طريقة هيغل...!، فاين  
رجاحة العقل، ورزانة التفكير والاستدلال في انكار وجودك  
الخاص واثبات انك موجود بمقولات منطقية؟

وكل هذا المنطق لا يخرج عن عبارات فارغة المضمون  
مصاغة في بلاغة لغوية، فهذا الجدل النظري كله لا يخرج عن  
كونه لونا من ألوان الادب في احسن الاحوال .

وقد استشهدنا بالفلاسفة الالمان تحديداً، لانهم طليعة الفلسفة  
الغربية ورؤوسها.

ومع كل بلاغة اولئك الفلاسفة في محاولة الوصول الى منطق  
مجرد خارج الواقع بل وخارج اللغة ايضا في ابتكار تعابير  
ومفاهيم خاصة بفلسفاتهم، الا انهم عمليا افرغوا الفكر من  
مضمونه.

فتمة فرق دائما بين القول والمقول عليه، هي تلك المسافة التي  
تفصل الشكل عن المضمون . وما تقوقع الفكر على نفسه  
للاستدلال على الوجود ، الا كمن يفسر الماء بعد عسير جهد  
بالماء .

والفلسفات الرسمية المعتمدة التي تحظى بالاحترام ايامنا هذه ،  
في الاوساط الاكاديمية والمحافل الثقافية الرسمية، ويعتمدها  
الاعلام وصناع القرار ومن ورائهم الراي العام، على اعتبار ان  
هذه الفلسفات هي المعبر الرسمي عن الفكر والوجود، لا لعمقها  
ولا لفائدتها ، بل غريزة القطيع في تقديس السائد، لان مفهوم  
الفكر ارتبط بالفلسفة في اذهان الناس والمتقنين، وان الفكر حكر  
على الفلسفة السائدة وطرقها المتعارف عليها ايامنا، في حين ان  
لكل انسان طريقة خاصة في التفكير وايضا فلسفة خاصة يعبر  
بها عن ذاته وتطلعاته، قد لا تقل شأنًا عن الفلسفات المعتمدة  
وكم من اديب قد فاق الفلاسفة في عمق الفكرة وحسن التعبير  
عنها، واورد ابو حيان التوحيدي تلك المناظرة الشهيرة بين ابي  
سعيد السيرا في اللغوي، وبشر بن متى المنطقي المترجم  
والفيلسوف، لنجد السيرافي اللغوي عميق الفكرة، دقيق المعني،  
يعلم ما يريد فيما عبر عنه ، منطلقا من نفسه، في حين ان ابن  
متى تلجج ولم يعد لديه مايقول ، لانه ينطلق عن غيره الذي هو  
ارسطو.

والجاحظ الفقيه اللغوي والاديب، فصّل وشرح مسائل فلسفية  
شائكة وابانها بفصاحة بيان تصل حدود الشعر.

وقد اوردنا في هذا الفصل ماقال ابو حيان في حد النفس، لنرى  
ماللغة وما للفكر المتحرر من قيود الفلسفة التقليدية من عمق في  
الفكرة وبلاغة في التعبير.

---

وليس المنطق والفكر حكرا على الفلسفة، ففي اللغة تراب ط  
منطقي يكمن وراءها هو منطق لغوي ايضا، وفي سائر العلوم  
والفنون والاعمال والافعال ثمة منطق مضمّر، ولولا ذلك ما  
انتجت.

والمنطق طريقة منظمة للتفكير وللاستدلال، وليس كل الفكر في  
جوف الفلسفة.

والمنطق الفلسفي منذ ارسطو مرورا بالرواقيين وصولا الى  
المنطق الحديث، لم ينتج قضايا جديدة مفيدة، ولم يغدو منهاجا  
يعول عليه في البحث والتفكير، ولا يخرج في احسن احواله عن  
كونه رياضه ذهنية مجردة بعيدة الصلة بالواقع المفكر فيه.

وكل اشكال المعرفة النظرية المستندة الى الفلسفة التقليدية  
السائدة، قامت على جملة مقولات ومفاهيم اساسية مست قاه من  
اللغة الاغريقية اصلا، وكأية مفاهيم لا تفهم دلالاتها على  
حقيقتها الا وفق سياقها ومنظومة الفاظها في لغتها التي انطلقت  
منها.

والفلسفة التقليدية كما يدل الاسم ، تقليد لطريقة الاغريق في  
التفلسف، ولا تخرج مفاهيمها عن المفاهيم المشتقة من تعابير  
الاغريقية، كالجوهر والشئ والماهية والوجود والكون.....الخ.

---

وكلها تصاريف مشتقة من الاصل الاغريقي لفعل الوجود الذي هو رابط ايضا في لغتهم . وكما تستعمل رابطا، تستعمل كفعل وايضا كمصدر لغوي ليدل على تلك المفاهيم تبعا لتصاريفه واشتقاقاته.

وعلى هذه الهياكل بنيت فلسفة الاغري ق، وتبعتها الفلسفات المعاصرة على هذا المنهج، فالفلسفة الغربية نسخة باهتة عن الفلسفة الاغريقية. وثمة فلسفات عريقة اصيلة في العالم لا تقل شانا عن الفلسفة التقليدية، كالفلسفة الهندية التي اخذ عنها الاغريق الميثافيزيقا وخصوصا افلاطون . وفلسفات الشرق ترسخت منذ ا لاف السنين وكانت جزءا من نسيج حضاري روحي، فقدمت تلك الشخصية الانسانية المتسامحة، التي توازن بين متطلبات الروح والمادة، كالحكمة الصينية واليابانية والهندية.

كذلك نجد حكمة عميقة عند الشعوب الاصلية كالهنود الحمر في امريكا، فمن يقرأ كلمة الزعيم الهندي سياتل ام ام مندوب جورج واشنطن عند اعلان الاستسلام ، وكذلك كلمته لشعبه يقرأ سفرا روحيا وفكريا عميقا في معنى علاقة الانسان بالعالم والطبيعة .

صحيح ان العرب اخذوا عن فلسفة الاغريق، لكنهم اجمالا صاغوها وفق طرق تفكيرهم ونسيج لغتهم وتعابيرهم ، فانتجوا طرقا معرفية خاصة به م في علوم الكلام واللغة والشرع ،



ونلمس كثيرا من اراء الفلاسفة وعلماء الكلام العرب في صلب كتابات فلاسفة الغرب، وربما كان اكثرهم تأثيرا ابن سينا وابن رشد. والفلسفة الاغريقية وصلت الغرب عن طريق العرب، ولا نبالغ في القول انه حتى النسخ التي يدعى باصالتها، لكتب الفلسفة الاغريقية، خصوصا كتب ارسطو مشكوك في اصالتها، ففي احدى نسخ كتاب مابعد الطبيعة الاصلية يذكر ارسطو كلمة بخار في حين انها في نسخة اصلية ثانية بنفس الموضع تذكر بدلا عنها كلمة نجار، وهذا تصحيف لا يصدر الا عن العربية، فهل النسخ التي يدعى باصالتها، قد ترجمت عن العربية؟ أو على الاقل بعض اجزائها؟

ومادامت معاني ودلالات المفاهيم الفلسفية تختلف تبعا للغة، وتبعا لوجهة النظر بخلاف العلوم المضبوطة، فان اعمدتها تبقى مقلقلة، ولا تخرج في احسن الاحوال عن كونها نمط ادبي فلسفي، وليس علما كما يُوجَّه له .

وهذا الامر بيّن عند هيغل اكثر من سواء، في فن التلاعب باللغة الفلسفية، تحت باب ثلاثيات المسماه دياكتيكا تذكرنا بفن السجع وتطويع المضمون تبعا للشكل، كما عند الهمداني في مقاماته.

فأقول هذه الفلسفات تجري كأبي فن ادبي مجرى المجاز لا الحقيقة، مهما حاولت لبس رداء الحكمة المطلقة، والادعاء بامتلاك الحقيقة اليقينية النهائية.

## مقومات الثقافة المعرفية الحضارية

لأجل امتلاك وعي قادر على استعادة دور حضاري على مسرح الحضارة البشرية مجدداً، لا بد ان تتوفر في ثقافتنا المعرفية مقومات معينة هي ايضا معايير تبنى وتقاس عليها مثل هذه الثقافة المعرفية.

1). واولى هذه المقومات والمعايير:-

هو **المعيار العقلي** ، وهو المعيار الذي نأخذ به مايتفق مع العقل، وننحي من ثقافتنا جانبا مالا يقبله العقل والمنطق .  
وضرب ابن خلدون لنا في مقدمته مثلاً، كيف نقرأ حوادث التاريخ التي وصلتنا وفق منظار عقلي، يستبعد منه تلك الروايات الاسطورية الخرافية، التي لا يقبلها العقل والمنطق، ومعيار العقل هو ما يحدد الفائدة المرتجاة من وراء معارف معينة، ان كانت توافق الحقيقة ام لا.

## 2). معيار النقد:-

وهو مرتبط ارتباطا مباشرا بالمعيار العقلي، في غربلته وتمحيصه للتمييز بين الغث والسمين، والنقد كنقد النقود عند الناقد وهو الصيرفي الذي يميز النقد الحقيقي من المزيف.

وعلى ضوء المعيار العقلي يجري نقد الارث الثقافي المعرفي قديما وحديثا.

ومن ذلك غربلة وتمحيص ما لحق بلغتنا من هجنة وشوائب تحديدا في القرن الاخير.

واستخلاص ما في موروثنا من قضايا فكرية ولغوية ومعرفية يستفاد منها، وترك مالا يستفاد منه فنحن نجد مثلا لدى علماء الكلام والفلسفة، مواضيع ذات اهمية لبناء ثقافة معرفية اصيلة معاصرة مثل تلك القضايا اللغوية والفكرية والمنطقية التي خاضوا فيها، لكن مع استبعاد القضايا الميتافيزيقية التي لا يستفاد منها، كبحت قدم العالم وحدثه مثلا، فهي قضايا كتب فيها الكثير بغير نتيجة او التشبث بالمنطق الفلسفي سواء الاغريقي او كما عند ابن سينا، فثبت بالتجربة انها عقيمة غير منتجة ولا مجدية.

والا هم من ذلك كله غربلة تراثنا من كل مالحق به من خرافة وئلى مالا يقبله العقل .

### 3- معيار الواقع:

الواقع هو ما يفرض علينا قبول النافع واستبعاد الغث الذي لا فائدة منه في ثقافتنا المعرفية واجمالاً فالحقيقة هي اتفاق معايير العقل مع معطيات الواقع . فالواقع اعلى من لغة الوصف على حد تعبير الاديب عدنان جابر في قصيده له .

### 4- معيار البساطة

ان تيسير سبل الفهم ينبغي ان يكون مبدءاً اولاً في طرق المعرفة ، لذلك تبدأ المعرفة والعلوم دائماً من قواعد أولى بديهية، واللغة هي وسيلة المعرفة والفكر في الوصول الى هذا المقصد.

وبالتبسيط تصبح المعرفة والفكر بمتناول الجميع، ويغدو ناتج الفكر عظيمًا متى لامس حدود البداهة، ويمسي مردوده مردوداً يؤسس لمعرفة قادرة على التعبير عن نفسها باصالة ومعاصرة، وذلك على كامل مساحة الحياة المعنوية للفرد والمجتمع . والتعقيد يعاند المعرفة، اما ما تقبله البديهة فما يسهل فهمه ويجري وفقاً لها.

وذكرنا ان التفاعل الجدلي بين اصالة وغنى اللغة العربية الفصيحة، وبساطة اللهجة المحكية التي نفهم من خلالها المواضيع بيننا وبين انفسنا، يسهل علينا دروب الفكر ونعبر عن

---

انفسنا باصالة لغتنا العريقة. فأولى خطوات تسهيل دروب الفكر والابداع الفردي، تتحقق عند تمثّل عبارات الفصحى، والمقدرة على التعبير عن هذا التمثّل باللهجة المعتادة التي نفكر فيها بيننا وبين انفسنا واستخلاص النتائج الاولية وفقا لها، ثم اعادة صياغة تلك النتائج وفق معايير الفصحى.

### (5). معيار الاصالة:

ان معيار الاصالة هو المعبر عن الشخصية الحضارية المتميزة، وينبغي ان يكون المنطلق الذي يعبر عن ذاتنا ورؤيتنا للعالم، وأولى خطوات الاصالة تكمن في طريقة تعبيرنا وتفكيرنا المستندة الى لغتنا العريقة بمبانيها ومعانيها، وربط المفاهيم المعرفية باصولها اللغوية كما كان عليه الحال في عصور ازدهارها.

والعربية بطبيعتها التوليدية في اللفظ والمعنى وبتاريخ عريق يمتد وصولا الى بدايات اللغة الانسانية، لغة تمتاز بالاصالة فهي ليست تركيبية ولا تنقطع اصولها في لغة اخرى ، كاللغات الاوروبية المعاصرة التي نشأت عن اللاتينية وقبل ذلك عن الاغريقية . مايجعل الاصالة جزءا لا ينفصل عن طبيعتها.

وثقافتنا العريقة ايضا مصدر اصيل يُرجع اليه في مختلف المعارف ، وفق رؤيه معاصرة نقديه تلبي متطلبات الواقع المعرفي الذي نحن بحاجة اليه.

---

## 6). معيار المعاصرة:

ما يلبي متطلبات واقعنا المعرفي، لمواجهة التحديات الحضارية الذي يفرضها هذا الواقع وان يرتبط هذه المعيار بالضرورة بمعيار الاصاله، والمعاصره معيار يفرض علينا التجديد بعيدا عن التقليد.

ومن هذه المعايير المعرفية التي ذكرت على عجاله ، نجد لغتنا وثقافتنا الاصيله قادره ان تلبي جميع متطلبات هذه المعايير .

## الفصل الرابع

### علاقات المعاني

## تقديم

جوهر العقل يكمن في ملكاته ، والملكة صفة للملك موهوبة كالإبصار للعين، او مكسوبة بحكم الموهوبة كالعلم واللغة ، واتفق الحكماء وجهابذة الفكر ، أن ملكات العقل هي التمييز والربط ثم الحكم .

فالعقل يميز اولا تلك الماهيات وان شئت الهويات ، التي تمثل التصورات والأفكار التي في أذهاننا عن العالم ، ثم يقوم بربط تلك الماهيات المنفصلة وفق منظومة منطقية منسجمة مع تصوراتنا وافكارنا عن العالم ، كل ذلك لأجل ان تكون احكامه صائبة ليستطيع ان يمضي في خضم هذه الحياه قدما.

ويرجع معني العقل في لغة العرب الى عقل الابل ، أي ربطها بإحكام ، ما يتفق تماما مع المصطلح المتفاهم عليه عن العقل، وأنه الذي يربط التصورات والأفكار ويحكمها بأحكام، لذا وصف العقل بأن ماله ملكة الربط والحكم او الربط والعقد، لذا وجب بيان وإيضاح العلاقات التي تربط بين الافكار، التي ليست سوى تلك العلاقات التي تربط بين المعاني ما دامت اللغة والفكر وجهين لعمله واحده.

والعلاقة بين المعاني كما تعبر وتدل علي العلاقة بين الافكار، كذلك تعبر وتدل على العلاقة بين التصورات الذهن ية ايضا ، التي اصلها ومصدرها العلاقة بين موجودات العالم، وهي



---

انعكاس لها . فالعلاقات بين المعاني كما تعكس العالم الخارجي ،  
تعكس ايضا العالم الداخلي الذي هو فينا .

وإذن علاقه الموجودات في العالم تجد صدًى وتعبيرا لها في  
العلاقات التي تحكم المعاني كعلاقات الاقتتر ان والتضمن  
والعلّيه.

وإن هذا الاصل المشترك للعلاقات في العالم وفي المعاني  
يوجب بحث العلاقات عامه ثم تحديد ما يختص منها بموضوعنا  
الذي هو فقه المعنى.

صحيح مثلا ان التصورات والافكار والمعاني ليست في مكان  
كالعيان، لكن تحكمها علاقات وضع هي صورة من صور  
المكان والزمان المعانين مثل علاقات التقديم والتأخير في النحو  
لفهم المبتدأ من الخبر، والفاعل من المفعول ، والمسند من  
المسند إليه فهي اوضاع معنويه لغويه . كما نقول هذه الفكرة  
تسبق تلك، ومعنى سابق وآخر لاحق ، ومعنى يقرب من معنى  
ومعنى عميق وآخر سطحي .

مثل هذه التعابير تعبر عن اوضاع تعكس علاقات موجودات  
العالم وفق علاقات الزمان والمكان، فالزمان والمكان اطر اعتاد  
العقل تأطير حركه وأفعال الموجودات وفقا لها، منذ تفتحت  
بصيرته علي هذه الدنيا، وعلي هذا النحو فالأوضاع المعنوية  
هي صورة من صور الزمان والمكان .

لكن ثمة فروقات ايضا بين العلاقات التي تحكم المعان وتلك التي تحكم العيان ، ففي التصور الذهني اللصيق بالعيان تصنف الموجودات وفق تصورات عن الاجناس والانواع، ومن حيث التصور يتضمن الجنس انواعه كما يتضمن النوع افراده، لكن هذه العلاقة تتعكس في ما يخص المعاني اللغوية عند الحديث عن التعريف، فمعنى الحصان مثلا: حيوان له صفات كذا وكذا، اذن يتضمن معنى الحصان بالتعريف معنى الحيوان بالإضافة لمعنى صفاته المميزة، وعلى سياق الانواع يجري عكس علاقات العموم والخصوص والاصل والفروع ما بين التصور والتعريف ، وسبب ذلك يرجع الى طبيعة ادراك العقل ؛ ففي العيان نستقرئ الجزئي والفردى والخاص وصولا الى الكلي والنوعي والعام . اما عند التفكير بمعان مجردة فنحن نستنبط وننتزل من كلي الى جزئي، ومن عام الى خاص، لذا عند التعريف في المعنى لابد ان نعرف تحت أي كليات يندرج الجزئي وتحت أي عام يندرج الخاص، وإذن النوع في التصور يتضمن افراده في حين ان تعريف معنى الفرد يتضمن التعريف بنوعه اولا.

وهكذا فمبحث العلاقات بحث في صميم وتفكير العقل، فالعقل بعد ان يميز المعاني ويضعها في هويات ثابتة ساكنه متفصله ، يقوم بتصنيف وترتيب تلك الهويات في جدول عقلي منطقي، وفق علاقات تربط الجزئي بالكلي والجزئي بالجزئي والكلي بالكلي، ليسهل عليه الوصول من فكره الى فكره ويتأدى من

---

معنى لأخر. ان بيان العلاقة بين المعاني هو بيان للعلاقة بين الافكار. وبيان هذه العلاقات وفهمها يسهل على الفكر دروبه واصابه مراميه والوصول الى نتائج واستدلالات جديده ، فيكشف المجهول من المعلوم ليغدو المجهول معلوما.

ان تسهيل عمليه التفكير وتيسير سبلها وآلياتها ينبغي ان يكون مبدءا اوليا ومطلبا اساسيا في كل المعارف العقلية والنظرية.

## تقسيم العلاقات

وما السبيل الى ناظم تنتظم وفقه العلاقات يسهل نظمها وفهمه؟

كما الموجودات، فإن العلاقات التي تربط بينها متنوعه متشعبه متداخله قد تأخذ العلاقة منها اكثر من وجه، فكما ينظر الى الموجودات بأكثر من وجه كذلك الامر في العلاقات التي تربط بينها.

ومبحث العلاقات مع اهميته في تنظيم وفهم مواضيع الفكر والمعنى، وما يؤسس على ذلك من معارف ومبادئ نظريه، رغم هذه الأهمية لم تتطرق كتب التراث اليه، وربما كان متضمنا في مبحث الدلالة او متناثرا في مباحث اخرى من غير تصريح عن العلاقة بالاسم ، وبغير ما ناظم . ولم يذكر اسم العلاقات تحت باب مستقل الى عهد قريب.

اما في المنطق المعاصر، فبُحث موضوع منطق العلاقات بحثا شكليا محضاً، انحصر في المنطق الرياضي، وظل حبيس هذه الدائرة الضيقة من غير ان يشفي غليلا، ويصعب تطبيقه والاستفادة منه في العلوم الإنسانية من لغة وعلوم نفس واجتماع وتاريخ، ولا يقدم او يؤخر كثيرا في تيسير فهم مواضيع تلك العلوم، خصوصا مقدماتها النظرية بل ولا حتى الفلسفة التي تولد عنها ذلك المنطق الشكلي، بدءا من منطق ارسطو وصولا

---

الى المنطق الرياضي المعاصر ليظل منعزلا في بابه لا يُعَوَّل عليه حتى في ابواب الفلسفة الاخرى.

ومؤخرا تم الالتفات الى مبحث العلاقات من بعض الباحثين العرب عن طريق الترجمة من اللغات الأجنبية فيما يخص بحث العلاقات في علم المعنى، ومع ندره التطرق لهذا الموضوع في محاولات مبعثره لجمع انواع العلاقات، لكن هذا الجمع والتصنيف ظل قاصرا عن ايجاد معيار دقيق وناظم تنتظم وفقه اقسام العلاقات يكون حاصرا لجميع انواعها وفق رؤيه منطقيه تسهل علينا فهم مثل هذا الموضوع الشائك لأجل تطبيقه على معارفنا وعلومنا .

واعتمدنا الاستقراء لتحديد معيار يستند اليه في تقسيم العلاقات، وهو معيار استقلاليه كل طرف من اطراف العلاقة ، فعلاقات الاقتران من تقابل وتقارب وتطابق ، يظل كل طرف من اطرافها مستقلا عن الآخر، في حين ان علاقات التضمن والتركيب متداخله تتلاشى فيها الاستقلالية والندية التي تمتلكها اطراف علاقه الاقتران، لتحل محلها الاعتمادية كما هو حال علاقه التضمن، فالكلي يعتمد على الجزئي وكذلك العكس، بينما في اقتران المساواة لا يعتمد المساوي على المساوي.

---

اما علاقه التخارج وهي علاقه العلية فيتم فيها خروج المعلول من رحم العله التي كانت تتضمنه، كذلك الامر في خروج النتائج عن المقدمات التي تضمنتها.

وكالعادة استندنا في الاصطلاحات وفهمها الى لغتنا العربية وصولا الى جذر دلالاتها الاولى ففي علاقه الاقتران مثلا عدنا لأصل كلمه قرن فكانت التسميه تلبي المسمى تمام التلبية، في دلالة على الندية والمناظرة والاستقلالية، بنفس دلالة الكلمة الأصلية على قرن القرن بالقرن.

والانتلاف اشتراك في جنس او صفه، حتى الازداد والمتناقضات وان بدت متنافره لا لقاء بينه ا ، لكنها من الجنس الواحد عينه، كالليل والنهار يجمعهما اليوم، وكالخير والشر تشترك في كونها قيما او صفاتا من جنس واحد، فاجناس المعاملات والاخلاق تنقسم الى ما هو خير وما هو شر .

وفي جنس الموجوديه يتلاقى الوجود والعدم الذي تنقسم اليهما تلك المسماة موجوديه . اذن الاقتران يكون فيما هو مؤتلف ومشارك، اي من جنس واحد، اما ما هو مختلف كليا عن الاخر فلا اقتران ولا علاقه، لأنها متغايرة بالجنس تغايرا كلياً، في حين ان الاختلاف جزئي من جهة ومؤتلف من جهة اخرى، وبحث الفرق بين الغيرية والاختلاف فلاسفه العرب وشراح ارسطو وفرقوا بينهما كما سلف .

والعلاقة قد تقف عند حدود الاقتران كما في المساواة والمطابقة والتضاد، وقد تمضي قدما نحو اشكال اخرى اكثر تداخلا يفقد كل طرف فيها بعضا من الاستقلالية، كعلاقة الصفة بالموصوف يمكن مقارنتها بالتقابل، لكن هذه العلاقة تتجاوز هذا الاقتران الاولي الى علاقة تداخل هي اسناد الصفة الى الموصوف، ويمكن تسميه علاقات التداخل بالارتباط، ترتبط الاطراف فيها بعلاقة يصح تسميتها رابطه، تلغي استقلاليه الاطراف التي كانت لها عند الاقتران . ومثل ذلك الكبير والصغير يقترنان بالتقابل، بمثل ما يقترن الكثير بالقليل . لكن العلاقة تمضي قدما نحو الارتباط في رابطة تضمن.

وعلاقات التداخل منها ما هو صريح معن كعلاقات التركيب تعلن عنها اللغة بالجمع والعطف والاسناد، ومنها ما هو ضمني مضمير كرابطة التضمن.

والتركيب هو اضافته لكن معنويه، يضاف فيها معنى الى معنى، اما الإضافة اللفظية فهي ما اصطلح عليها في النحو بالمضاف والمضاف اليه ، وهي جزء من الإضافة المعنوية التي تشمل الجمع والعطف والاسناد بالإضافة الى الإضافة اللفظية من مضاف ومضاف اليه.

وفي التركيب اجتماع للاطراف في مركب واحد كما هو حال المضاف والمضاف اليه تتجمع معا في مركب واحد.

---

اما رابط التضمن فكالحمل ، لا حمل "على" كما في الجمل  
الحملية التي قام عليها المنطق اليوناني، بل حمل "في" كما  
تحمل الام جنينها في احشائها وتحتويه.

وقد تمضي العلاقة ابعد من التداخل الى نوع من التخارج ؛  
كخروج المعلول من رحم العله التي كانت تتضمنه، وكخروج  
النتائج عن المقدمات التي كانت متضمنه فيها .، وكذلك خروج  
اللازم عما يلزم عنه ومن هذا دلالة لزوم المعنى عن معنى آخر  
فان كان التضمن احتواءً وحملًا "في" ، فان في التخارج تولدا  
عما كان مضمرًا في رحم التضمن.



## التداخل بين العلاقات

العلاقات كما الموجودات التي تتعلق وترتبط ببعض، متنوعه متشعبه ليست بسيطة في اغلب الحالات بل تأخذ اشكالا مركبه ؛ فعلاقه الاشتراك و التشابه ، او التقاطع في قاسم مشترك، هي علاقة مطابقة جزئيه، كما انها علاقه تضمن كل لجزء، فهي مركبه من تضمن كل لجزء بوجه، ومن مساواه بوجه اخر .

وعلاقة ايام الاسبوع ببعض ابعد من علاقه تواطوء بين افراد نوع واحد ؛ فهي بالاضافه الى ذلك ، علاقه تتابع وتوالي، وايضا تتابع منتظم، بالإضافة الى العلاقه بالزمان.

ويمكن النظر الى العلاقات ايضا تماما كما ينظر الى الموجودات بأكثر من وجه، كجوهر صقيل كل وجه منه ، يختلف ألّقه ولونه عن الاخر مع انه هو هو.

فعلاقه الصفة بالموصوف يمكن النظر اليها بدءا كتقابل اضداد بين جوهر وعرض، او بين ذات وصفات، لك نها تمضي مع ذلك ابعد من مجرد اقتران وتقابل لترتبنا معا في علاقه اسناد.

كذلك الامر في ظروف المكان والزمان، فتبعاً لاسمها، يمكن النظر اليها على انها تتضمن المظروف، تضمن الظرف للرسالة، وعلى ان المكان يحوي المتمكن ، وان الزمان مجرى تجري فيه الحوادث، لكن ان نظرنا اليها بما هي لواحق تلحق

---

المتمكن، وما هو في زمان، فالعلاقة هنا تأخذ شكلا من اشكال الاسناد كإسناد الصفة الى الموصوف والحال الى المحل.

ويختلف شكل العلاقة ايضا تبعاً لجهة النظر التي ينظر من خلالها الى العلاقة ؛ فإن نظرنا الى علاقه النوع بأفراده، او علاقه ال عام بالخاص من جهة التصور، فإنها علاقه تضمن، يتضمن النوع فيها افراده ، والعام يتضمن الخاص ، وكذلك الكل يتضمن الاجزاء .  
فإن نظرنا الى مثل هذه العلاقات من جهة المعنى والتعريف، تضمن تعريف ا لفرد التعريف بالنوع، كالقول: الانسان حيوان ناطق، فمعنى اسم الانسان تضمن معنى اسم الحيوان الذي هو النوع، بالإضافة لمعنى النطق.

كما قد يختلف شكل العلاقة ان نظرنا اليها تبعا للشكل او تبعا للمضمون، فعلاقه الابن بالأب من حيث الشكل اقتران تقابل بالتضاييف، ذلك ان الاب هو أب الابن، والابن هو ابن الاب -، فكل منهما يضاف الى الآخر لكن من جهتين متقابلتين، اما ان نظرنا الى العلاقة من جهة المضمون فيمكن اعتبارها علاقه اصل بفرع .

## انواع العلاقات

### 1- علاقه الاقتران:

وتنقسم الى علاقات مقابله ومطابقه ومقاربه:-

#### أ- علاقات المقابلة:

التقابل لغة: التواجه وجها لوجه ، وهو كاقتران القرن بالقرن بكل المواصفات ، تجانس في النوع ، تعاكس في الاتجاه، تنافر في الكيف، هذا التنافر يجعلها متعانده لا تجتمع اطرافها بأن معا ومن جهة واحده، كالسالب والموجب كصفات يوصف بها الكم، لا تجتمع معا، فان اجتمعت عدمت عند نقطه الصفر.

كذلك في الانفعالات والاحوال المتقابلة من حراره وبروده او صحه ومرض لا تجتمع معاً كي يقال حار بارد، او صحيح مريض، بل تقال تبعا لشده تلك الكيفيات: اقل او اكثر، فيقال اشد حراره واكثر مرضا . ومثل هذه الانفعالات والاحوال هي اطراف قصوى في جنس واحد، فالحرارة تفعل بالبرودة كما تفعل البرودة بالحرارة، لكن من جهتين متعاكستين لذا لا تجتمع من جهة واحده بأن معا.

---

ومن المتقابلة ايضا المتضايقة كاسم الاب واسم الابن من خلال التعريف بمعانيهما، يقابل الاب الابن من جهة الأبوة، ويقابل الابن الاب من جهة البنوة.

فتعريف الاب : أب الابن وتعريف الابن ابن الاب، فهي متعاكسة في اللفظ عند الإضافة وفي المعنى.

والأبوة والبنوة لا تجتمعان بأن معا من الجهة عينها، لانهما متعاكستا الاتجاه، فان قيل ان الاب هو ابنٌ ايضا، لكنه ابنٌ لاب اخر . غير ابنه، لذا لا تجتمع من جهة واحدة ؛ واذن فالمتضايقات : متقابلات.

وينبغي الإشارة ان كثيرا من الكُتّاب واهل المعرفة يستخدمون انواع المتقابلة كالضد والنقيض وتقابل الوجود والعدم، على انها معانٍ متطابقة دونما تدقيق؛ ومن غير تفريق بين الازداد والنقائص ، ما ينشأ عنه لبس وبعد عن الدقة في معاني ومرامي مثل هذه المفاهيم المتميزة . وشبيه بهذا ايضا الخلط في استخدام مفاهيم السلب والنفي والاعدام بغير تمييز وتحديد قاطع بين المسلوب والمنفي والمعدوم .

ان لغتنا العريقة تزودنا بأدوات تعبير غنية قاب له ان احسن استخدامها ان تنتج لنا ثقافه معرفيه مميزه كما كانت عليه في سالف الدهر.

## اقسام المتقابلة:

### 1-تقابل الوجود والعدم:

وهو ما يعبر عنه لغويا تقابل الاثبات والنفي كالأبيض واللاأبيض، وكالوجود واللاوجود الذي يسمى عدما.

ومنه تقابل الملكة وعدمها، كالإبصار واللاإبصار او العمى، وكتقابل ملكه العلم وعدمها الجهل الذي هو انتفاء الملكة.

والملكة ما يمتلكه الانسان من صفات المواهب والمزايا، وقد تكون مكسوبة لا موهوبة فيتملكها الموصوف ويعسر زوالها لتصبح بحكم الموهوبة، كالعلم والحكمة والكرم متى استحکمت في الانسان . ويطلق على الملكة في بعض كتب التراث اسم القنية من الاقتناء.

واللغة ملكه يكتسبها الانسان بالمران والتعلم، لتترسخ ويصعب زوالها فتصير بحكم الموهوبة. ومن امثله تقابل الوجود والعدم تقابل الحركة والسكون والنور والظلام والحياء والموت . ونلاحظ ان اللغة تطلق اسماء خاصه على المعدم كالظلام والعمى والسكون للتوسع وسهولة التمييز.

## 2- تقابل الاضداد:

اقتران تقابل متعاكس الاتجاه، لا يمتنع فيه من وجود اوساط،  
انما الضدان حدان اقصىان لجنس واحد، واغلب الاضداد تحكم  
العيان كالليل والنهار، والبياض والسواد، باع تبار ان لهما  
اوساطا، وما بينهما يقبل التفاضل بين اقل واكثر، كالإصلاح  
والافساد، يقال اقل اصلاحا واكثر افسادا، ومن ذلك النصر  
والهزيمة ان سلمنا بأوساط كالنصر الجزئي، لكن ان اعتبرناها  
قاطعها بلا توسط فتدخل باب المتناقضات.

وميز اللغوي ابو هلال العسكري في كتاب ا لفروق في اللغة  
بين التضاد والتناقض وسار علي هذا التمييز من اتى بعده حتى  
يومنا. واعتبر ان التضاد يقال للأفعال والتناقض للأقوال، لكنها  
قسمه غير حاصره، فثمة ماهيات لاهي بالأقوال ولا بالافعال،  
كالليل والنهار، والبياض والسواد، كما توصف بعض الافعال  
في العربية بالنقض: كنقض الضوء ونقض الصلاة، وتوصف  
بعض الاقوال بالضدية كالقول ان فلانا تكلم ضد فلان، او ضد  
رأي فلان، اذن نحن بحاجة لمعيار اخر للقسمة يكون جامعاً  
افراده مانعا غيره من الدخول فيه فتكون قسمه حاصره .

وهذا المعيار باعتبار الاوساط، فالأضداد بينها اوساط وقابله  
للتفاضل والوصف بانها اقل او اكثر؛ كالليل والنهار وما بينهما  
من شفق وغسق، كذلك البياض والسواد وما بينهما من درجات

---

الرماد، أما ما لا توسط بينها والتي تقطع الجنس نصفين،  
فتسمى فصول الاجناس، كالذكر والا نثى، والموجب والسالب،  
والخير والشر، ان اعتبرناها قاطعه بلا توسط، فهي جميعا  
متناقضات.

والاضداد تقال في الغالب على العيان ومنها الافعال، اما  
المتناقضة فتقال على الامور العقلية المجردة ومنها الاقوال.

والاضداد والنقائض بينها وبين تقابل الوجود والعدم اختلاف،  
فهي تقابل من جهتين لا من جهة واحدة، ذلك ان ما يقابل الضد  
والنقيض يقابله من الجهة الأخرى، والعدم هو ما بين الضدين أو  
النقيضين ، كالصفر هو انعدام للكم بين موجب وسالب.

والعدم بين الاضداد هو وسط يفصل الضد عن ضده بالتساوي  
ولا يتمتع وجود اوساط متدرجه في الضدية بخلاف المتناقضة.

والتقابل بين النسب الزمانية والمكانية تقابل اضرار لأنها قابله  
للأقل والاكثر باعتبارها اوساطا، كالقبل والبعد، فيقال قبل قليل  
وقبل كثير، وعلى ذلك يجري التضاد في قولنا فوق وتحت، او  
يمين ويسار.

والاضداد منها ما هو بالذات كالليل والنهار، ومنها بالصفات :  
كالبياض والسواد، ومن الصفات ما هي احوالا كالحرارة  
والبرودة منها ما هي ظروف كصفات الزمان والمكان.

---

وفي علوم اللغة توصف الاضداد بانها تلك الالفاظ التي تدل على مسمى وضده بأن كالجون يقال للبياض والسواد، والصريم يقال لليل وللنهار، والمختار يقال لمن يخ تار ولمن يقع عليه الاختيار فقد يكون اسم فاعل او مفعول، وكذلك مولى لمن له الولاء ولمن عليه.

### 3- المتناقضة:

العلاقات بين المتناقضات تحكم المعاني العقلية المجردة في الغالب، كصفات الايجاب والسلب، والنقيض ليس نفيا ولا عدما لكن في الجهة الأخرى من نقيضه، كما هو حال الاضداد، لكن تمتنع الاوساط في النقائض فيما سالبه او موجهه.

وكما سلف فالنقائض حدان اقصيان من جنس واحد، يقسمان الجنس قسمه قاطعه الى نوعين كالانثى والذكر ، والسالب والموجب، والايمان والكفر.

كما ينقسم جنس الافعال بالنقائض الى ما هو خير وما هو شر، باعتبار لا توسط بينهما، ومن النقائض قيم الصواب والخطأ على اعتبار لا توسط، فإما صادق واما كاذبه ولا ثالث بينهما، فالثالث مرفوع كما يطلق عليه في المنطق، فالتناقض مطلق في حين ان التضاد نسبي.



#### 4-المتضايفه :

علاقات التضاييف بين مضاف ومضاف اليه، يصح عكسهما بحث يصبح المضاف مضافا اليه، لتقف مدلولاتهما متقابلة ، كاسم الاب واسم الابن، فالاب

اب الابن، والابن ابن الاب، والمدلولان متقابلان. كذلك الضعف والنصف ؛ فالضعف ضعف النصف والنصف نصف الضعف.

ومن المتضايقة: التفاعل بين فاعل ومنفعل او فاعل ومفعول، فيقال فاعل المفعول ومفعول الفاعل والمدلولان متقابلان .ومما يجري مجرى التفاعل: الدلالة بين دال ومدلول، وكذلك التسميه بين اسم ومسمى، فيقال اسم المسمى ومسمى الاسم.

وفي الاغلب تميز كل جهة من اطراف التفاعل باسم، فالفاعلية من جهة الفاعل والمفعولية او الانفعالية من جهة المفعول والمنفعل، أما مطلقا فتسمى تفاعلا.

وكثيرا ما يقع اللبس في استخدام معاني العلاقة التفاعلية، مثلا مقابله الحس بالمحسوس وهو خطأ ، إذ يقابل الحاس : المحسوس، والفاهم: المفهوم، لا الفهم، فالفهم اسم العلاقة لا احد اطرافها ، تماما كالعلم: علاقه تفاعل بين عالم ومعلوم.

ومن المتضايقة ما دل على الملك : كالمالك والمملوك، وعلى التبعية : كالرئيس والمرؤوس .والتضاييف علاقه متبادلة من

---

جهتين في حين ان الإضافة متجهه من طرف واحد كقولنا علم  
المعنى.

### ج- علاقات المطابقة:

من بين معاني المطابقة في اصل العربية : مطابقة الغطاء  
للوعاء المسمى طبقا.

ويفهم من دلالة المعنى ان التطابق جزء يكمل جزءا في كل  
واحد. وعلى هذا المعنى يجري القول بمطابقة الاسم للمعنى ،  
والاسم للمسمى ، ومطابقة المعنى للتصور، ومطابقة التصور  
لما هو تصور له كمطابقة تصوري لمدينة اللد لما هي عليه  
مدينة اللد في العيان.

ثم استعملها علماء اللغة والفلسفة والكلام، لتعني التشابه  
والمماثلة والمساواة، وعلى هذا المعنى الذي جاز المعنى الاول  
يجري القول مطابقة اللفظ للفظ، والمعنى للمعنى، والشيء  
للشيء، والشكل للشكل، والمكان للمكان، والمطابقة في الكم  
تسمى مساواة، وبين الكيفيات والصفات تسمى تشابها، وبين  
الاشياء تسمى تماثلا، والتي تقال ايضا على مماثله الحوادث  
والوقائع ، لذا سمي المثل بهذا الاسم لأنه تقاس عليه حوادث  
ووقائع مماثله، وعلى هذا النحو سميت المثل مثلا، كالمثل  
الأفلاطونية باعتبارها معايير ومقاييس يقاس عليها، كمثل الخير  
والفضيلة.

---

والمطابقة في الكم والكيف منها مطابقة كليه واخرى جزئية وفي ما عدا المساواة في الكم فالمطابقة الكلية مثاليه ولا تصدق الا على مطابقة الشيء لنفسه.

واختلف علماء العربية في دلالة اسم الترادف كأسماء السيف واسماء الاسد وغيرها هل هي متطابقة ام متقاربة المعنى؟

وبالتمعن والاستقراء نجد ان المترادفة ليست متطابقة تمام التطابق، بل متقاربة وان المترادفات الواقعة على مسمى واحد قد تكون اسماً او صفاتاً ونعوتاً ذات دلالات مضافه، ومثل هذه الكثرة في المترادفات لها ما يبررها.

فالعربية اولا لغة عميقة في الزمان، وصولاً الى اللغة الام التي تكلمت بها حضارات العرب القديمة في اليمن والجزيرة العربية وفي العراق والشام، وقد امتد انتشار تلك اللغة الام مع الكنعانيين والحميريين الى المغرب العربي، وسواحل اوروبا.

وهذا العمق الزماني والمكاني بما فيه من بيانات مختلفة، اكسب مفردات وتعابير العربية غنى لم تحظ به اي من لغات العالم.

هذا الكسب سواء في اللهجات المحكية ام اللغة الفصيحة متبادل عبر تاريخ طويل من التفاعل ما اغنى معجم مفردات وطرق تعبير العربية.

---

ومن الملاحظ ثانيا ان بعض المناطق العربية، خصوصا تلك القبلية، تتكلم الفاظا وتعابير ا رديفه لا يفهمها احد سواهم، كأن يتكلموا فيما بينهم بوجود غرباء، ولا يريدون ان يُفهم كلامهم، ما جعل بعض الالفاظ والكلمات وطرق التعبير الرديفه تختص في منطقه دون اخرى.

ويفترض ان تختلف دلالة معنى الترادف عن دلالة معنى التطابق ، فللترادف كركوب الدابة ردفاً لردف، فهي تدل على تلك الكلمات التي تترادف مع بعضها على معنى واحد، كقولهم : اكله بقضه وقضيضه، وحضر القوم صغيرهم وكبيرهم، وسيفنا مهند صارم.

وربما ثالثا تتوارد المترادفات عند التعبير، لتفهم القبائل والمناطق على بعض، فإن لم تدرك تعبيراً ما، ادركت رديفه.

ولغة العرب خصوصا في الجزيرة العربية، اختمرت مشافهة على مدار عصور سحيقة فحافظت على نفسها لقاحاً بسبب عزله الصحراء، وان خُطَّ بها قديما فشيء يسير، كشواهد قبور ونذور.

وذكر ان المعلقة خُطت وعلقت على باب الكعبة ليقرأها الحجاج، لكنها وصلتنا رواية لا نصوصا محفوظة، وعليه فأول ما دون بالعربية ووصلنا مخطوطا هو القرآن الكريم، واليه يرجع الفضل الاكبر في الحفاظ على العربية.

---

اذن هذه المشافهة عبر العصور، جعلت تنوع مفردات العربية امرا مفهوما.

ورابعا فرضت طبيعة المجتمع العربي وبيئته مثل هذه المرادفات فكثره فخر العرب بالشجاعة في حروبهم وغزواتهم جعلهم يسهبون بصفات الاسد والسيف وبنعوتها كي لا يبتذل الاسم الواحد لكثرة استخدامه وتكراره، وحرصا على تأجيح العاطفة بتقليب المترادفات من الاسماء والصفات، وبعداً عن الخطاب الممل على وتيره واحده .

خامسا يقال بعض المترادفات اما تطيرا او تفاؤلا، فذكر اسم الافعى يتطير منه، لا اعتقادهم ان ذكره يستجلبها، وفي تراثنا الشعبي يقال التي لا تسمى، حرصا على عدم ذكر اسمها، ويسمى من لدغته افعى : سليم الافاعي تفاؤلا، ويقال للسقيم سليم ومعافي، كما يقال للأعمى بصيرا، حرصا على مشاعره، ويقول للعجوز جده اي متجدده .

واخيرا قد تساق المترادفات للتوكيد وتثبيت الفكرة كقوله تعالى ( الذين يؤمنون بالله ولا يشركون به شيئا) وكذلك قوله (لا تأخذه سنه ولا نوم).

وعلى هذا النحو صارت بعض المترادفات كأنها لازمات مثل لا ناقة لي في الامر ولا بعير، واختلط الحابل بالنابل، وهذا المبلغ من المال هو الحيلة والفتيلة. فكثره المرادفات في العربية

---

لها ما يبررها، لسبب او اخر ولا تتطابق تمام التطابق، انما التطابق في مترادفات العربية تطابق جزئي، قد يقرب او يبتعد، قليلا او كثيرا، مع المطابقة الكلية المثالية، لذا فالترادف ادخل في علاقات المقاربة.

## د- علاقات المقاربة:

والمقاربة مطابقة جزئية واشتراك في قاسم مشترك منها :

### 1- علاقات الترادف :

بينما الترادف في العربية يعتبر تطابقا جزئيا بين المعاني، فالمرادفة ادخل في المقاربة من المطابقة الكلية . والمرادفة من ترادف راكبي الراحلة خلف بعضهم، ردفاً لردف، وقلنا ان العرب كانت تردف المعاني ببعض زياده في البيان والتوكيد لأجل الوصول الى نفس المتلقي، فيسهل الذكر والفكر : ذكر الأقوال، والتفكر في معانيها.

ومن ذلك قوله تعالى ( قل اعوذ برب الناس ملك الناس اله الناس) فترادف الالفاظ على معنى واحد ذ و دلالة واحده ليس تفصيلا، وعلى ذلك يجري القول ( لا في العير ولا في النفير )، وفلان لا يهش ولا ينش، ومثل تعريف الحكيم : بانه من يجبر الكسر ويرتق الفتق، ويرقع الخرق . فهي معان تقرب بعضها

---

ببعضا بالردف، وجرت العادة على وصف كل مطابقه جزئيه  
وقرب في المعاني بالترادف، كالمعنى المعجمي لكلمه ما.

## 2- التواطوء :

دخل هذا الاصطلاح تراثنا قديما عبر الترجمات الفلسفية  
واستعمله فلاسفه العرب وشراح ارسطو ليبدل علي العلاقة بين  
افراد النوع الواحد كالحصان والجمل والاسد، لان النوع يحمل  
علي كل واحد من افراده فيطأه بالتساوي مع الاخر .

### 3- علاقات المشاركة:

والحق ان جميع انواع علاقات المقاربة تدخل تحت باب المشاركة ومن ذلك سميت الجمل الخبرية عندهم بالحملية، ويمكن تعميم قاعده التواطؤ علي فروع الاصل الواحد، وعلى اجزاء الكل الواحد، فهي علاقه اشتراك بين اجزاء في كل واحد ؛ فاشتراك كليين في جزئي واحد، كالمرادفة او التقاطع، واشتراك جزئيين في كلي واحد كالتواطؤ، هي من انواع المشاركة لكن خصص لها بندا، لان اسم المشتركة في كتب التراث يدل على المشتركة لفظا كالعين، تقال للباصرة وعين الماء، والسن يقال للعمر وللسن القاطعة، كذلك يقال اللسان للغة ولعضو اللسان، ومن المشتركة على هذا الحذو ما هو مشترك في المعنى مختلف في اللفظ، كالأم والوالدة، والاب والوالد، والسنة والعام، وتحت هذا البند يمكن ان تندرج علاقات الترادف والتواطؤ.

وايضا من المشتركة ما هو مشترك في اللفظ والمعنى مع ان دلالتها قد تكون على مسميين مختلفين مثل الاخ والصديق والشبيه.

### 4-علاقات المقاربة في المشابهة والمماثلة:

مع أنه يفترض ان تكون المشابهة بين كفيات وصفات، والمماثلة بين اشياء او حوادث ووقائع، ومع انها مقاربات



---

عيانيه لكنها انسحبت على تصورات تلك المقاربات، وعلى معانيها ايضا لان هذه صورته عن تلك.

لذلك يقال كلمه تشبه او تماثل كلمه ، ومعنى يشبه او يماثل معنى، فخصصت اللغة حروف التشبيه لمثل هذه المقاربات . والتشبيه اشتراك في كفيات وصفات ومعاني .

وقد يعرف الشبيه بالشبيه والمماثل بالمثل . والمماثلة تقال على الاشياء بالأصل كما يماثل التمثال مثاله، وعلى الوقائع بما فيها من افعال وانفعالات، كالتمثيل فن تقليد الوقائع بأقوالها وافعالها وانفعالاتها، لتماثل تلك الوقائع والاحداث التي حدثت.

وانسحب معنى المماثلة على الاقوال، كالأمثال السائرة تقاس عليها وقائع اخرى مماثله، كذلك انسحب المعنى على الافكار والمعاني المجردة، كالمُثل الافلاطونية من عدالة وخير وجمال، وعلى عكسها ايضا من معان سلبية كأن نتهم عدونا بأنه مثال الحقارة.

فالمُثل أطر نموذجيه واشكال مطلقه تقاس وتجري على مثالها المعاملات والاخلاق لتوصف بالخير او العادلة او غير ذلك، فكل ما ذكر عن المماثلة يجمعه مقاربه بين مقيس ومقيس عليه.

## 2-العلاقات المتداخلة:

في حين تستقل اطراف العلاقة عن بعضها في علاقة الاقتران لتحكمها الندية، فان العلاقات المتداخلة تتداخل اطرافها ببعض لتشكل كلا واحدا تفقد الاطراف فيه استقلاليتهما لأجل الكل الواحد.

وكما تنعت اطراف العلاقات المستقلة بالاقتران، يصح نعت علاقات التداخل بالارتباط وتسمى الواحدة منها رابطته .

وتنعت العلاقات المتداخلة بالتركيب . وقد ورد اليينا مصطلح التركيب عبر الترجمات الفلسفية المعاصرة ف ي حين استعمل اصطلاح الإضافة في تراثنا الفكري ، والمقصود به الإضافة المعنوية لا اللفظية النحوية فحسب من مضاف ومضاف اليه، التي هي نوع من انواع الإضافة المعنوية .

ولعب مفهوم الإضافة دورا محوريا في النقاشات النظرية الفكرية عند المعتزلة وعلماء الكلام، خصوصا ما يتعلق بالذات الإلهية، وهل العلم والقدرة صفات لها؟

ومعلوم ان الصفات زائده على الموصوف، فهل يعني ذلك ان هذه الصفات مضافه الى الذات؟

---

لذا جعلها ابو هاشم الجبائي المعتزلي احوالا كي لا يقال صفات مضافه ، فقال: الله عالم بعلميه لا بعلم، وبقادريه لا قدره، وهي احوال، والاحوال من نفس طبيعة الذات وليست مضافه اليها.

والتركيب منه ما هو مضمّر داخلي كعلاقة التضمن، ومنه ما هو معلّن تصرّح به اللغة عن طريق الجمع والعطف والإضافة النحوية والاسناد، فهو تركيب خارجي وسنصف علاقات التداخل عموماً بعلاقات التركيب، فالتركيب الداخلي المضمّر تضمن، في حين سنصف التركيب الصريح بالإضافة.

والواقع ان التركيب والإضافة صفات لعلاقات التداخل تخصها وتميزها فهي لذلك كالنعت.

اما صفه التحليل في المقابل فلا يطلق عليها اسم علاقه اذ هي تحلل من العلاقة، فان اردنا مقابله علاقات التركيب نقابلها بالعلاقات البسيطة كعلاقات الاقتران، وليس بالتسمية الخاطئة : علاقات التحليل .

وحتى علاقه العلّية لا توصف بالتحليلية، فرغم تحرر وتحلل المعلول من ر حم العله التي كان متضمنا فيها بالأصل، لكنه يرتبط بعلاقه جديده هي علاقه تولد، غير علاقه الحمل في رحم العله التي تحرر وتحلل منها ؛ فالتحلل والتحرر مطلق في حين ان التولد مقيد.

---

وان وصفت اطراف العلاقة في التركيب بالوصل، فان اطراف العلاقة في الاقتران توصف بالفصل، وقالت العرب : البلاغة معرفه الوصل من الفصل ، ولا شك ان الحكمة هي كذلك ايضا. وإذن تنقسم علاقات التركيب الى :

- 1 تركيب داخلي مضمّر يعبر عنه برابطه التضمن.
- 2 تركيب خارجي صريح ومعلن هو روابط الإضافة.

### 1-رابطه التضمن:

التضمن: ضمٌ، واحتواء، كما تضم اللبوه اشبالها، وتحوي الام جنينها او كما يحوي الوعاء المحتوى، وهو تعبير اصيل عن الحمل "في"، لا الحمل "على" كما في المنطق الفلسفي القائم على الجملة الحمله الإغريقية وغيرها من اللغات المشتقة عنها كاللاتينية.

وتبعاً لتصوراتنا يتضمن الكل اجزاءه ويحتويها، والاصل فروعه، ويضم العام اليه الخاص، كذلك يضم النوع افراده، والجنس انواعه، اما تبعاً للمعنى والتعريف فعكس ذلك، لأن معنى الخاص وتعريفه يتضمن معنى العام وتعريفه، ومعنى الفرد يتضمن معنى النوع، فتعريف اسم الانسان يتضمن التعريف باسم الحيوان؛ ان كان الانسان يعرف بأنه حيوان

---

ناطق . ونحن نحذو في مفهوم التضمن كما في غيره، حذو لغتنا العريقة في تداعي معانيها واصطلاحاتها تبعا للمعنى الاول وصولا الى المفهوم الذي نسعى اليه.

والتضمن بالإضافة الى معنى الا حتواء يعني في العربية الاضمار ايضا، فالتضمن يُضمَر في باطن المعنى مثل تقديرنا للضمير المستتر.

ويمكن ارجاع تصور التضمن الى تصور علاقه الشكل بالمضمون ، والتي تجري على نحوها علاقه الوحدة بالكثره، وعلاقه الكل بأجزائه، والنوع بأفراده .

فالشكل ما يبدو ظاهرا للعيان، والمضمون مضمَر في الشكل يعرف بالتمعن، فالرتل والقطيع يظهران لأول وهله ككل واحد، وعند التمعن قليلا تظهر افراد مجتمعة، ولكل منها خصائص تميزه عن الآخر.

كما ان العدد مثل عشرة ومائه يبدو في الظاهر وحده واحده، مع انه يتضمن وحدات مجتمعه. ومثل ذلك الاسماء التي تبدو في شكلها النحوي مفردة لكن معناها المضمَر يدل على كثره، مثل القوم والشعب والجيش، والاضمار هنا هو التضمن، اما عند التصريح عن الجمع كقولنا طلاب وطالبات، فلا اضمار ولا تضمن، ومثل ذلك التعبير عن الكثرة بكل وبعض وما يشبهها، وهكذا فعلاقة الاضمار في المعنى هي علاقه تضمن، فحين

---

اذكر سقف البيت، فدلاله وجود السقف تتضمن وجود الجدران،  
فلا سقف بغير جدران وجودا ومعنى.

كذلك الامر في النحو فالفاعل المستتر مضمّر غير ظاهر في  
الجملة الفعلية لذلك سمي ضميرا . مثل قرا الكتاب فالجملة  
تتضمن فاعلا مستترا تقديره هو، اذ لا فعل بغير فعل .

### ب- روابط الإضافة

في حين ان التركيب مضمّر داخلي في رابطة التضمن، فان  
الارتباط بالإضافة معّلن تصرّح فيه اللغة عن ذلك، وهو علاقه  
خارجيه تعبر عن ارتباط شيء بشيء اخر، او كلمه بكلمه، او  
شيء بصفه، او صفه بصفه . واستخدم علماء الكلام واللغة  
والمنطق مفهوم الإضافة، اما مفهوم التركيب فدخل ثقافتنا حديثا  
عن طريقه الترجمة، ونحن استعملنا مفهوم التركيب باطار  
اوسع من مفهوم الإضافة، يتضمن التركيب الداخلي الذي يعبر  
عنه برابطة التضمن، والتركيب الخارجي الذي تعبر عنه اللغة  
بالجمع وبالإضافة والعطف والاسناد، وهو ما اطلقنا عليه  
رابطة الإضافة وهي اضافه معنويه بين المعاني من جمع  
وعطف واسناد، بالإضافة ايضا الى الإضافة النحوية او اللفظية  
بين المضاف والمضاف اليه.

## انواع روابط الاضافه

ليس اسم الروابط هنا بمعنى الروابط اللفظية بل المعنوية، لتدل على ارتباط وتداخل تميزا لها عن علاقه الاقتران.

**1- في الكلمة :** كالجمع والتثنية: طلاب وطالبات وطالبان، فهي تعبر عن المجموع صراحه الذي هو وحدات متجانسه مضافه بعضها الى بعض، فالجمع هنا اذن صريح وليس ضمنا كالقوم والرتل، فالشكل اللفظي يدل على انه جمع كالجمع السالم وجموع التكسير وكذلك التثنية ايضا . ومن الاضافه في الكلمه التعريف والتانيث فكما هي اضافته لفظيه هي معنى مضاف الى الكلمه ايضا.

**2- في الجمل غير التامة :** التي لا خبر فيها او اسناد :-

**أ- العطف :**

ادوات العطف تصرح لنا عن الإضافة، فالواو تفيد الجمع والاشتراك مثل اتانا زيد وعمر وعلي.

والفاء تفيد الاشتراك والترتيب بغير فتره من الزمان او تراخ وثم تفيد الاشتراك والترتيب مع فتره من تراخي الزمان.

## ب- اسماء الوصل :

الذي والتي واخواتها تربط بين كلمه واخرى وتصل جملة بجملة او كلمه وجملة كقوله تعالى ( محمد والذين معه )، فهي تصل بالتالي معنى بمعنى وفكره بأخرى.

## ج- ما يعرب عن كثرة :

بكل وبعض وما يماثلها كقليل وكثير مثل قولنا : كثرة الحضور، وقلة العدد.

## د- المضاف والمضاف اليه:

اضافه لفظيه نحويه بالشكل وبالمضمون ايضا . وان كانت الإضافة بالجمع هي جمع وحدات متجانسه، ففي المضاف والمضاف اليه تركيب بين وحدات غير متجانسه تكون كلا واحداً.

تقول الخنساء في رثاء اخيها صخر:

حَمَّالُ أُلُويهِ، هَبَّاطُ أَوْدِيهِ، شَهَّادُ أُنْدِيهِ ، لِلجَيْشِ جَرَارِ.

فحَمَّالُ أُلُويهِ : المضاف حَمَّالُ والمضاف اليه أُلُويهِ، ليستا من جنس واحد، كذلك هَبَّاطُ وأوديه.



---

وان كانت الإضافة عن طريق العطف كالخليط في الكيمياء  
يظل كل عنصر فيها محتفظا بخصائصه واستقلاليتها، اما في  
الإضافة النحوية فكالتركيب الكيميائي يفقد كل عنصر منها  
خصائصه الاولى ليتماهى في مركب جديد اخر، وكلمه جديده .

كذلك ان كانت الإضافة في الاشكال الاخرى جمعا، ففي  
المضاف والمضاف اليه ضربا للوحدات ببعضها البعض،  
لتصير كلمه واحده ذات دلالة واحده .

واهم اغراض المعنى في الإضافة:

التخصيص كقولنا ثوب حرير

والتعريف كقولنا ثوب الحرير وهو ذلك الثوب المتعارف عليه  
لدى المتكلم والمخاطب.

ومن اغراضها الاخرى الدلالة على الملكية مثل مزرعة الفلاح  
والتشبيه: هجم هجوم الاسد،

وايضا الظرفية : سَهَرُ الليل، ونشاط الصباح اي سهر في الليل  
ونشاط في الصباح.

ومن المضاف والمضاف اليه تم استحداث تراكييب لغويه  
ومعان مبتكوره ذات دلالات جديده.

### 3- روابط الإضافة في الجمل:

وهي التي تسمى روابط الاسناد.

#### روابط الاسناد:-

إذا كان المسند هو المخبر به، وكان المسند اليه هو المخبر عنه، وكان المسند ايضاً لا يقوم الا بالمسند اليه ويعتمد عليه، فإن على ضوء هذه التعاريف نستطيع تعميم مفهوم الاسناد على كامل مساحه المعنى، ليسهل توحيد المفاهيم المعنوية والنحوية في مفهوم جامع ، يسهل من خلاله ربط المفاهيم اللغوية في اطار عام ، وينأى بها عن التعددية كمفاهيم الاسناد والمبتدأ والخبر والصفة والموصوف، فجميع هذه المسميات تقع تحت مفهوم واحد هو الإسناد، ومنها اسناد الظروف والاحوال.

وينأى بها ايضاً عن التضارب بين المفاهيم ذاتها، كما هو الامر في مفهوم الحال الذي يتضارب فهمه بين النحو وعلم الكلام والفلسفة ، وذلك عند الاقرار ان معنى الحال معنى مسند ، يُفهم انه معنى قائم على المسند اليه ، حتى وان كان الحال م ن ذات طبيعة الشئ كما ذهب ابو هاشم ، فالطفولة والشباب والكهولة معان تدل على احوال تطرأ على الانسان او الحي بالذات ، قائمه به ، فالاحوال بما هي قائمه بغيرها لاحقه اذن تماماً كما تلحق الصفات بالموصوف ، لا كما ذهب ابو هاشم في مفهوم

---

الاحوال ، ومعنى الحال ايضا يد ل على تغير حتى وإن كان بالذات فرضا ، تبعا لدلالة اسمه ما دام يحل في محل . .

ومفهوم الاسناد اصيل من ذات طبيعة وبنية اللغة العربية دون الحاجة الى اللجوء لمفاهيم لغات اخرى كمفهوم الحمل .

وبما ان المسند يعتمد ويقوم على المسند اليه، كذلك فالصفات تعتمد على الموصوف وتقوم به، فبين الصفة والموصوف رابط اسناد، في المعنى وليس رابطاً لفظياً فقط .

وعلى حذو اسناد الصفة الى الموصوف، يحتذى ايضا في سائر اللواحق التي تلحق ما تتعلق به من اسماء ومعاني، كالظروف الزمانية والمكانية، وكالأحوال التي تعتمد على المحل الذي حل فيه.

اذن فرابطة الاسناد تشمل الصفات والظروف والاحوال وكل معنى يعتمد على معنى اخر هو مسند، وإذن فروابط الاسناد تنقسم الى:

أ- اسناد الخبر الى المبتدأ : واسناد الكلام الى موضوعه ، مثل اسناد القيم ، ومنها اسناد الثمن الى السلعة .

ب- اسناد الفعل الى الفاعل : رغم ان الفعل يسبق الفاعل في الجملة الفعلية، لكن بتقدير المعنى تبعا للتصور، الفعل يستند الى الفاعل كما هو الامر في تقدير المبتدأ والخبر عند التقديم

---

والتأخير، اما علاقه الفاعل بالمفعول فمن جهة واحده اسناد  
المفعول الى الفاعل، لكن من جهة اخرى يمكن النظر اليها ان  
كانت متبادلة بين فاعل ومنفعل بما هي فعل ورد فعل فتعتبر  
تفاعلا وليس اسنادا، وتدخل في المتضايقة.

#### ج- رابطته الصفة والموصوف :

تسند الصفة الى الموصوف بغض النظر عن طبيعتها : داخليه  
ذاتيه أم خارجيه لاحقه، اساسيه ام عرضيه، دائمه ام آنيه، فمثل  
هذه التعابير انواع للصفات، ومن انواع الصفات ايضا صفات  
الكميه والكيفيه، ومن الصفات الكيفيه صفه المُلْك او القَنِيه والتي  
وضعها ابن رشد مقابله للأحوال ، لأنها عسيره الزوال، مقابل  
الاحوال يسيره الزوال.

والصفات تقدر ايضا في سياق الجمل من المضمون وليس من  
الشكل النحوي فقط كقوله تعالى :

(الم نجعل له عينين ولسانا وشفنتين ) فهي دلالة عن صفات  
وهبها الله للإنسان كملكات البصر والكلام .

## د- الاحوال :

بغض النظر عن تضارب مفهوم الحال بين علماء اللغة والفلاسفة وعلماء الكلام، فالمجمع عليه انها تلك الانفعالات سريعة الزوال، وهي تعاقب اضداد على محل واحد منفعل، كالبرودة والسخونة، والصحة والمرض، الا ما ذهب اليه ابي هاشم الجبائي المعتزلي، فقال انها من ذات طبيعة الشيء كأنها لازمه غير مضافه، والحقيقة ان الاحوال التي هي انفعالات قد يمكن النظر اليها انها من ذات طبيعة الشيء لكنها تلحق به ، كما انها تروح وتجيء، وليست ثابتة، وهي سريعة الزوال، انما قال ما قال لفكره مسبقه اراد الرد بها على القائلين بالصفات، فالصفات لاحقه للموصوف، وبالتالي مكتسبه فلا يجوز تسمية العلم والقدرة صفاتا لله ، بل العلمية والقادرية التي تدل على احوال.

اما علماء النحو فعرفوا الحال بانها فضله اي زائده مضافه في الجمل الفعلية لبيان هيئته صاحبها وقت وقوع الفعل، فهي انفعال، وعلى انها وصف منصوب وهذا تعريف بالشكل النحوي.

لكن الأمثلة التي أوردوها تدل على فهم عميق للأحوال، وتُطابق ما قاله الفلاسفة كابن رشد والفارابي بانها تلك الهيئـة والانفعالات سريعة الزوال.

---

وقابل ابن رشد بين الاحوال والملكات في معرض شرحه  
للكيفيات، فالملكة عنده من الكيفيات عسيره الزوال كالعلم، في  
حين ان الاحوال سريعة الزوال لكن ان استحکمت واستدامت  
صارت ملكه كالممراض والمصباح.

### ها- الظروف:

ابدع نحاة العرب في فهم ظروف الزمان والمكان بطريقه  
مبسطة فاقت الفهم الفلسفي لها .

واسم الظرفية من الظرف الذي يتضمن المظروف فيه  
كالرسالة مثلا.

وكما ينظر الى العلاقات بأكثر من وجه، يمكن اعتبارا المكان  
من حيث التصور يتضمن المتمكن ويحتويه، في حين انه من  
حيث المعنى يلحق المتمكن ويستند اليه.

وكذلك الزمان من حيث التصور كالمجرى تجري فيه الحوادث  
والايام، والمجرى يتضمن ويحتوي ما يجري فيه، في حين ان  
الزمان من حيث التعبير والمعنى يستند ويلحق ما هو زمان له.

وهكذا فالظروف في العربية تستعمل كوعاء للحدث كي تسمى  
ظروفا، وغير ذلك تعامل معاملة الاسماء، فقولنا : احب أيام  
العطل، مفعول به وقع عليه فعل الحب ، ولم يتضمن حدثا فيه  
كظرف ؛ وعندئذ تسمى ظروفا متصرفه . ولتجنب هذا اللبس

فان الظروف مفعول فيها، نحو ذهبت ليلا اي في الليل، وسكنت  
البادية اي في البادية، فهي ظروف زمانيه ومكانيه بتقدير  
حصول الفعل والحدث فيها ؛ مثل فلا ن اتى قبل فلان، تقدر  
ظرفيه اي فلان اتى في زمان قبل الزمان الذي اتى فيه الاخر.  
وكل ما قدر في زمان أو مكان كان مظروفا في ظرفهما.

### 3- علاقات العلية والسببية :

بعد الاقتران من مقابلة ومطابقه ومقاربه ، تمضي العلاقات نحو  
التداخل لتأخذ شكل الارتباط من عطف واسناد وتجامع ، ليغدو  
المختلف مؤتلفا في كل واحد بعلاقه تضمن ، هي حمل المختلف  
في رحم المؤتلف ائتلاف الكثرة في الواحد ، والمضمون في  
الشكل ، هذا الحمل يعرف بأعراضه ، فمضمونه مضمّر مستتر  
، اما بذاته فلا يعرف الا بالولادة، ولاده المعلول من رحم العله  
التي كان متضمنا فيها .

والعقل بعد تمييز الهويات والربط فيما بينها بعلاقات، يتم إحكام  
الربط بأحكام تفسر وتبرر هذا الربط، على شكل تعليل، فهي  
عقد الربط التي يصدر عنها كل تعليل، واسم العقيدة يجري على  
هذا المعنى فهو يدل على عقد الربط او إحكامه، أيا كانت طبيعة  
العقيدة ، اذ تعلل كل ما يصدر عن اعتقادها، وقد يشمل ذلك  
كامل مساحه العقل ؛ وبعلاقه العلية تتعقد روابط العقل وفق مبدأ  
يبرر ويفسر ما يصدر عن العقل من احكام.

---

وبالعلل يسهل على العقل التأدي من تصور لتصور، ومن معنى لآخر، ويتوصل من المقدمات الى النتائج ، وتقاس بها الفروع على الاصول ويستنبط المجهول من المعلوم.

فان كانت العلل عقد الأحكام وفقا مبادئ يقينية وعقائد راسخه في العقل، فان الاسباب هي تلك الخيوط الموصلة بينها لتشكيل نسيج شبكه منطقية ، وسنبين لاحقا الفرق بين العلل والاسباب.

ورغم افتقار لغات اهل الغرب لمرادفات اسم العقل ومشتقاته، فان استعمالهم كلمة **reason** بمعنى العقل لها ما يبررها، رغم افتقارهم ايضا للتفرقة في الاسم بين العلية والسببية، الا ان اسم العلية يختزل مفهوم التعقل من تمييز وربط وأحكام في كلمه واحده، ذلك ان التعليل يتوج ويتضمن افعال التعق ل المذكوره . بل ان بيان العلاقة ، أي علاقة كانت ، وتفسيره ا هو في حد ذاته تعليل لها ؛ وعلى هذا المعنى استعمل ابن جني مفهوم العله في النحو وتبحر فيه، ليبدل التعليل عنده على التفسير وفق قواعد عامه.

ولو سُئلنا لم يتعلق أ و ب فالجواب اما لمساواة او تقابل او تضمن، فبيان نوع العلاقة هنا اجابه عن سؤال لم يتعلق، فالمساواة مثلا عله العلاقة .

والعله اذن ما يجاب بها على سؤال : لِمَ ، لذلك وصف نوع البرهان بالّلمي لأنه تبريري تعليلي .



وكما ينبغي سنستند في بيان اسم العلة والسبب ودلالاتهما،  
والتمييز بينهما، وصولاً إلى المفهوم المصطلح عليه، إلى لغتنا  
العريقة، التي ينبغي الانطلاق منها أولاً لوضع المعاني  
ومفاهيمها وضع الهناء مواضع النقب، ونسترشد في ذلك كله  
بما قال أهل اللغة والكلام والمنطق في العلة والسبب، لتوحيد  
المختلف في مفهوم مؤتلف ما أمكن.

ومن استقراء اللغة وآراء العلماء حول مفهوم العلة، يمكن  
تعريفها بأنها **ما ينتج عنه آخر، سواء كان شيئاً أم أثراً أم  
معنى.**

فالبذرة التي تنتج عنها شجرة هي علة الشجرة. والالتهاب تنشأ  
عنه الحرارة والمرض، فهو علتها واحكام القضاء تنشأ عن  
قوانين، فالقوانين علة الاحكام.

والإنسان لا يفعل فعلاً إلا وراءه مقصد فالمقاصد علة الأفعال.  
ونحو الكلام من رفع ونصيب وخفض وتقديم وتأخير يرجع إلى  
قواعد النحو ومبادئه، فالقواعد علة النحو والمقدمات المنطقية  
تنتج عنها نتائج، فتلك علة هذه.

وهكذا فاسم العلة يقال على ما هو عياني ملموس كعلل الطبيعة،  
وكذلك على الأفعال، حين ينتج أثراً عن فعل، أو ينتج فعل عن  
قصد مضمّر كما في الحياه الاجتماعية.

---

والعلة تقال ايضا في الامور العقلية والمعنوية كالمبادئ علل  
النتائج ، والاصول التي تقاس عليها الفروع علل احكام الفروع  
، كما في الشرائع والقوانين، وسوف نبين ان العلل العقلية ماهي  
الآ علاقات لزوم .

**لكن ما العلة وما السبب، وما الفرق** بينهما ومتى يصح ان  
نطلق اسم العلة أو السبب؟

ان الرجوع الى لغتنا لفهم ابعاد هذه المصطلحات يوفر علينا  
الجهد ويجعلنا نضع هذه المصطلحات في مواضعها الصحيحة  
فيسهل علينا استخدامها والتواضع على دلالاتها ومفاهيمها.

فاسم العلة يرجع بنا آلافا مؤلفه من السنين وصولا الى اللغة  
الام الاولى لغة العاربة، بلهجاتها المختلفة من بابليه واراميه  
وحميرييه وكنعانيه. فالعلات او اللالات عند البابليين هي النجوم  
المديرة والمديره للعالم فهي علل العالم ، لذلك قدسوها كآلهة .

وارسطو في مقاله اللام من كتابه ما بعد الطبيعة، يتكلم عن  
محرك اول لا يتحرك يحرك الافلاك العشر التي تليه وصولا  
الى فلك ما دون القمر، الذي هو الارض، وهو عالم الكون  
والفساد، وكل فلك يحرك ما دونه، وهو يحركه الفلك الذي  
يعلوه، والذي هو علته . وعلة الكون هو الفلك الاعلى، اما عله  
الفساد على الارض، فبسبب المادة الفائية (الهيو لا ) أو الهي

---

الاولي، وهي مؤنثه في حين ان الصورة التي في البذرة مذكوره عندهم.

ان هذه النظرية الإغريقية ما هي الا فلسفه الدين البابلي، واعترف الاغريق انهم اخذوا علم النجوم عن البابليين، وكذلك اخذوا علم الهندسة عن المصريين، لذلك تعلم كبار فلاسفتهم كفيثاغورس وافلاطون علوم الفلك والرياضيات في بابل ومصر. بل قيل ان (المعجزه) الاغريقيه سببها هروب علماء بابل الى اثينا عند سقوطها على يد الفرس .

اما عند الكنعانيين الذين هم عرب يمانيون بالاصل اتوا من سواحل اليمن ، فبعل عله الخصب والامطار وعله التناسل عند الحيوان، ومازلنا نقول: ارض بعل، وننعت الزوج بعلا.

واسم بعل مركب من البادئة اليمانية: با، ومن عل بمعنى العلو، ومفهوم العله ارتبط عندهم بالعلو ايضا، أي ابو الاعالي او ذو العلو . وسنرى ان اسم العله يتضمن معنى العلو ايضا، لذا كانت تقام معابد الاله بعل على رؤوس الجبال لتكون اقرب ما يلئون اليه .

والعالة هي النعامة التي توضع عليها البكرة لسحب الماء من البئر اما الحبل الذي يصل العالة بالدلو فيسمى سببا .

---

وتعني العالة ايضا: النعامة شبه المظلة يستتر بها من المطر، وهي شبه الخيمة تصنع من اوراق الشجر.

و كان القدماء يصفون المعاني الجليلة والك لية كالمثل، انها معان عالية ساميه رفيعة من الرفعة . والجدل الصاعد استقراء يصعد من الجزئي الى الكلي ومن الخاص الى العام في حين ان الجدل النازل ما ينتزل من الكلي الى الجزئي وهو الاستنباط . والكلي عندهم هو عله الجزئي وهو الموصوف بالرفعه والعلو .

فالعله على هذا معنى متعال يُعلُّ به ما دونه تماما كالمثل العليا يُعل بها الخير او الشر، والعدالة او الظلم عن طريق القياس والمطابقة مع تلك المثل العليا.

واستمرت مفاهيم العلو والدنو الى يومنا خصوصا في الفلسفه، فمبادئ العقل توصف عند كنط وفي الفلسفه الحديثه عموما بالمتعالية، في حين ان مبادئ التجربة العملية توصف بالمستدنية، وعند واصفيها فالمتعالية علة المستدنية، اي ان مبادئ العقل هي وراء مبادئ التجربة وقوانينها العملية .

اما العَلّ في العربية فالشرية الثانية بعد النهل ، التي هي الاولى، والعلّ شرب متأن متصل.

وعند عرب الا ردن تسمى ايام السمر والفرح التي تسبق العرس بالتعليه، كما يقولون : تعليه ، للاجتماع والسمر في الهواء الطلق ساعه العصر.

---

وقال الطغرائي:

اعلل النفس بالآمال ارقبها

ما اضيق العيش لولا فسحه الامل

بمعنى أُطَيَّب النفس و أواسيها، والأمل يريح النفس ويهدئ  
الخاطر

وقال ابو فراس الحمداني:

معلتني بالوصل والموت دونه

أي نثمتلني بالوصل.

ووصف امرؤ القيس أسنان ورائحة فم من من يحب ساعة  
السحر :

كأن المدام وسوق الغمام

وريح الخزامي ونشر القطر

يُعلُّ به برد انيابها

متى طرب الطائر المُستحِر

فتألؤ اسنانها ورائحة نفسها الزكية عند السحر بعكس افواه  
الناس صباحا، كأنها شربت وتعلت بالمدام والغمام والخزامي .

---

يلاحظ في معنى العله من كل ما سبق انه يدل على معنى  
ايجابي تطيب وتنتعش به الانفس ، وعلى هذا النحو يوصف  
الهواء بالعليل ، ويصف الانسان حاله عند السؤال بأنه عال  
العال اي على ما يرام.

فكيف سمي المرض اذا عله وهو معنى سلبي تماما؟ فهذا  
يخرج عن منطق العربية المؤلف!!.

والحقيقة ان العرب وصفت المريض بالسليم وبالمشافي تفاؤلا  
على امل الصحة .

ويقال لمن لدغته افعى: سليم الافاعي، وعلى هذا النحو لذا فاسم  
العه من المعاني الإيجابية التي تدل على الصحة والانتعاش  
وطيب النفس والجسم ، فاطلق على المرض : عله، وعلى  
المريض عليلا تفاؤلا. ولعل هذا قد غاب عن اهل اللغة لبعد في  
الزمان وفي البيئة.

وعليه فالتعليل ادراك علل الاشياء والاقوال والافعال ، وهو ما  
ترضى وترتاح وتطيب له الانفس وتقر وتقنع به العقول.

اما معنى السبب فهو الحبل الذي يُملأ به الدلو من البئر، فيربط  
احد طرفيه بالعالة وهي العارضة التي عليها البكرة ، وطرفه  
الاخر بالدلو، فالسبب اذن الحبل الذي يربط العالة بالماء الذي  
يُعلّ .

كذلك يسمى سببا الحبل الذي يتدلى عند الهاويات لجلب العسل  
ولا يسمى الحبل سببا ما لم يتدل من عل .

قال زهير بن ابي سلمى:

ومن هاب اسباب المنايا ينلنه

وان يرق اسباب السماء بسلم

قيل اسباب السماء : نواحيها ومراقبها، كأسباب الخيمة هي  
الحبال التي تربط الاوتاد بأعلى الخيمة وهي المراقي . وتبعاً  
لهذه المعاني يقال السبب هو ما يُتوصل ويُتوصل به الى غيره ،  
فهو الوسيلة التي توصل بين العالّ والمعلول او المسبّب  
بالمسبّب، والعلّة المسبّب والمعلول المسبّب، فعلة المرض مثلاً  
الالتهاب اما ارتفاع الحرارة فسبب يستدل به علي الع له،  
وابيضاض الشعر قد يكون نتيجة صدمة عصبية، فالصدمة علة  
الابيضاض، والسبب تغير هرموني . وفي النحو لو سُئلنا : لم  
رفع الاسم لقل انه فاعل، وهذا سبب الرفع، اما العلة فالأسناد :  
اسناد الفعل الى الفاعل ليأخذ اول الحركات واثقلها وهي الضم.

وعليه فالعلة اما ان تكون مباشرة في معلولها بغير توسط او  
غير مباشرة عن طريق توسط السبب؛ لذا كان اهل النحو  
حكماً بتسميتهم لام العلية التي تدل على العلة التي لأجلها  
حصل الفعل مثل ذهب ليدرس.

---

وباء السببية التي تدل على ما به وبواسطته كقولنا: قلع الطبيب  
السن بالكلاب اي عن طريق الكلاب.

وعلى روي بيت شعر كمال خير بك في قصيدته الغراء (الموت  
الآخر)

وما زال محراث الفصول الأربعة

يجوب بادية الايام

كذلك مازالت اسباب ارسطو الأربعة تجوب بوادي الفلسفة حتى  
اياما ؛ فلنضعها وفق ما تقدم موضع النظر، وهو قد ضرب في  
بيانها مثل البيت، وسنبين فيها العله من السبب.

فما بني البيت لأجله اي السكنى، هو عله بناء البيت، في حين  
ان صورة البيت في ذهن من صممه هو سبب صوري، والفاعل  
الذي قام بالبناء سبب فاعل، والمواد التي صنع منها البيت سبب  
مادي .

فالصورة والفاعل والمادة هي اسباب بها بني البيت تقودنا الى  
العه التي لأجلها بني البيت وهي الغاية من ورائه.

ولو سئلنا: لم بني البيت، فسؤال عن العله وهي السكنى، اما لو  
سألنا بم بني البيت، فسؤال عن السبب الموصل الى ال عله، مع



---

ان ذكر الفاعل يغني عن ذكر الصورة فهي تصور الغاية  
تصوراً عملياً في ذهن الصانع.

### مفهوم العله عند اهل النحو:

عرف بعضهم العله انها السبب الذي تحقق في المقيس عليه  
فأوجب له حكماً، وتحقق في المقيس فالحق به واخذ حكمه، مثل  
كاتب هو اسم فاعل لأنه على وزنه ، فال عله هنا كالمثال الذي  
يقاس عليه وبه يعلل المقيس .

ومن تعاريفهم للعه انها تقرير ثبوت المؤثر لأثبتات الاثر، وهو  
تقديم ذكر العله في الاعراب مثل مفعول به منصوب، فالمؤثر  
انه مفعول به والاثر هو النصب.

والتعليل في النحو تفسير العلاقة التي تبين عله الاعراب  
والبناء.

وقسم اللّٰجّاجي العلل النحوية الى:

- 1- عله تعليميه: مثل لم رفع الاسم ؟ لانه فاعل والفاعل عله رفع  
الاسم
- 2- عله ثانيه قياسيّه: مثل لم يرفع الفاعل؟ لأنه مسند اليه
- 3- عله ثالثه جدليه: لم يرفع المسند اليه؟ فلثباته وعدم تغييره

---

- لذا قالوا في عله رفع الفاعل الجدليّ: يرفع الفاعل لبيان الفرق بينه وبين المفعول به ؛ لأنه أقل من المفعول به تعديلا، والضم أثقل من الفتح فجعل الأثقل للأقل تعديلا والآخر للأكثر تعديلا .  
ولأن الفاعل أقوى من المفعول والضمّة أقوى الحركات .  
وكذلك لأن الفاعل قبل المفعول لفظا ومعنى فجعل له أول الحركات وهي الضم.

ويمكن اعتبار العلل الأولى والثانية اسبابا توصلنا الى العله الثالثة الجدلية التي ترجع اليها قواعد النحو .

### **العله عند المتكلمين:**

ميز المتكلمون بين العله والسبب وعرفوا العله بانها وصف في الشيء مؤثر فيه نوعا من التأثير، اما السبب فواسطه او رابط لا تأثير له .

فالعله اذن صفه عند بعض المعتزلة، او معنى كما عند معمر بن عياد السلمي، او حالا كما عند ابي هاشم الجبائي، المهم في ذلك كله الا تكون ذاتا، فالذات الإلهية هي علة العالم الوحيدة ،  
اما السبب فهو ذات واسطه كالحبل لا تأثير له ، وعندهم ان العله لا تؤثر بنفسها اذ لا عله فاعله الا بقدرة الله ، وبالتالي فان العلل الطبيعيه والعقليه تسمى عندهم اسبابا .

---

فالعلة صفه او معنى او حال تتعلق بالذات الالهيه التي هي  
العلة وكل ما يحكم العالم عداها اسبابا ترجع الى العلة الاولى

ومما قاله القاضي **عبد الجبار المعتزلي** : القول في ايجاب  
السبب للمسبب خلاف القول في ايجاب العلة للمعلول، لان ما  
توجبه العلة لا ينفصل عنها وما يوجبه السبب منفصل عنه، لأنه  
حادث اخر، فقد يوجد السبب والمسبب معدوم ، وان كان لا بد  
من وجوده قبله.

اذن العلة هي المؤثر والسبب رابط. ولتبرير تولد فعل عن فعل  
قالوا بالاعتماد: كل ما تعدى محل القدرة فالاعتماد يولده فقط،  
مثل اذا رمي حجر فصدم حجرا اخر فتدحرج الاخير ليجرح  
شخصا، فالجرح سببه الاعتماد الذي في الحجر الثاني.

والقدرة عند المعتزلة قدره الله وكذلك القدرة التي احدثها الله في  
الانسان والتي ترجع اليها افعاله .

فأفعال العباد حادثه من جهتهم والله اقدرهم عليها، ولا فاعل او  
محدث لها سواهم، فالإنسان عند المعتزلة يخلق افعاله، في حين  
خالفهم الأشاعرة في ذلك فقالوا : التولدات الناتجة عن فعل  
الانسان يجب ان تنسب الى قدره الله مباشره . وتتجلى آراء  
الاشاعرة عن العلة بأوضح صور ها عند الغزالي في كتاب  
(تهافت الفلاسفة) ، اذ اعتبر ان ما يشاهد من تفاعل وتأثير في

الطبيعة هو مجرد عاده واقتران ، ويقول : ( فإننا نجوِّز وقوع الملاقاة بين القطن والنار دون الاحتراق ، كما نجوِّز حدوث انقلاب القطن رمادا دون ملاقاه النار ، فليس القطن بحاجة ضروية الى النار ليحترق ويصير رمادا ، ولا النار سبب لحصول الاحتراق. ويقول: لنسلم جدلا ان النار هي الفاعل لكن على الفلاسفة ان يقدموا لنا الدليل على ذلك الفعل ، وعن كونه يصدر حقيقه عن النار نفسها ، وليس للفلاسفة دليل سوى المشاهدة الحسية ، فالتجربة تقول ان القطن يحترق عند لقاء النار لكن لا تدل ان حصوله ناتج عن النار وحدها وان ليس هناك عله سواها ) .

ويتجلى موقف الفلاسفة ايضا في ردود ابن رشد علي الغزالي في كتاب ( تهافت التهافت ) ، فيقول : ( كثير من الاصول التي بنيت عليها المعارف الأشعرية هي سوفسطائية فإنها تجحد كثيرا من الضروريات مثل تأثير الاشياء بعضها ببعض ، ووجود الاسباب الضرورية للمسببات ، والمنطق يقوم على ربط الاسباب بالمسببات ، وان رفع الاسباب عن المسببات رفع العقل ، الذي هو ادراك الموجودات بأسبابها وبالتالي ابطال للعلم ، اما القول بالعادة والاعتیاد بدل العله ف يقول فيها ابن رشد : فان اسموا مثل هذا عاده ، فلا ادري ما يريدون باسم العادة ، هل يريدون انها عادة الفاعل او عاده الموجودات او عادتنا نحن عند الحكم على هذه الموجودات . فان تركنا القول بالاسباب والمسببات وقلنا بالعادة فقط ابطالنا الدليل على وجود الله ،

---

فالدليل على الفاعل هو الفعل ، والقول بالعادة كالقول بالصدفة والوقوع في الدهرية ) .

ولا شك ان هيوم كان مطلعاً على آراء الغزالي في انكار العلية ، فهو يقول ايضاً بالاعتقاد وبالعبارة ذاتها التي اوردها الغزالي ، ويورد ذات الأمثلة التي اوردها الغزالي عن الاحتراق لكن مع اختلاف المنطلقات ، فالغزالي ينكر العلة باعتبار ان الله عله كل ما يحصل في العالم لا طبائع الاشياء ، في حين يرجع هيوم ذلك الى العادة والتداعي التي يولدها الاحساس في اذهاننا فقط .

وانكار هيوم للعلة هو ما أيقظ **كنط** من سباته العقائدي تبعاً للأخير، فجعل كنط العلية مبدأً فطرياً في العقل سابقاً على التجربة يربط وينظم معطيات التجربة ، فالعلية عنده مبدأ فطري اولي تماماً كالزمان والمكان .

لقد لعب مفهوم العلية دوراً كبيراً في اغناء التراث العربي الفكري رغم كل الخلافات في وجهات النظر، فابتدعت اصطلاحات ومفاهيم لدى كل فريق أثرت المحصول المعرفي والفكري واللغوي .

ومن كل ما سبق وبالاتناد الى لغتنا اولا ، يمكن تعريف العلة بانها ما ينتج عنه اخر، سواء كان اثراً ام شيئاً ام فعلاً ام قولاً ام معنى .

---

و ينبغي ان نفرق بين مفهوم العله وبين مفهوم السبب تبعا للغتنا ، فالعله ما ينتج عنها المعلول في حين ان السبب هو ما يصل العله بالمعلول .

والعله يتولد عنها المعلول الذي كان مضمرا فيها اصلا . وكل معنى يدل على خروج ما بحيز الاضمار الى حيز العن يدل على عله .

وكل ما يجاب به عن سؤال لم ولماذا هو جواب عن العله ، وكل ما يجاب به عن سؤال بم، هو جواب عما بواسطته وهو السبب الذي هو وسيله وواسطه للتوصل الى العله.

والعلل منها ما هو بالاضطرار والطبع، كعلل الطبيعة، ومنها ما هو بالاختيار كعلل افعال الناس ، ومنها ما هو بالمنطق والعقل وفقا لعلاقه محدده هي علاقته للزوم ، التي هي نوع او شكل من اشكال العله ، وفيها يلزم فيها معنى عن معنى وفكره عن اخرى ، واللازم عنه علة اللازم .

و العلل منها التامة التي إن وجدت وجد معلولها ، كالحرارة علة الدفء، ومنها الناقصة يمكن ان توجد من غير ان يوجد المعلول كالسحاب ، يمكن ان يكون بغير مطر، لكن لا مطر بغير سحاب ، فهي علة ناقصة لأنها تفعل بوجود علل اضافيه مكمله، كبروده الجو وفعل الرياح في مثال المطر.

---

وقد تشترك اكثر من عله في معلول واحد كما سلف بمثل ما قد يشترك اكثر من معلول في عله واحده.

. اما العلل العقلية فتتمثل في معنى اللزوم : لزوم معنى عن

معنى \_ ، كلزوم النتائج عن المقدمات في الاستنباط ، أو العكس  
كما في الاستقراء .

فان كان اللازم عنه (أ) واللازم (ب) :

فان كان (ب) كان (أ) لزوماً، وان لم يكن (أ) لم يكن (ب)

بالضروره ، وهذا تعريف العله الناقصه ، أما في اللزوم

فبالاضافة لتعريف العله الناقصه ، ان كان (أ) لازماً عنه ، لزمه

(ب) أي ان كان ا كان ب بالضروره ، وهذا تعريف العله

التامه . فاللزوم العقلي إذن عله تامه .

## صفات العلاقات

توصف العلاقات :

1- تبعا للكم :-

علاقات كميته كما في مسائل الحساب من جمع وطرح وضرب وقسمة وغيرها، كذلك التفاضل في الكم بين الأقل والاكثر او الاكبر والاصغر، والعلاقات توصف ايضا بمقاييس كميته كالعلاقات الكلية : مثل المساواة والمطابقة التامة ، والعلاقات الجزئية كعلاقة النصف بالكل وعلاقات المشابهة الجزئية، وكذلك علاقته التقاطع في قاسم مشترك. والعلاقات قد تكون بين واحد وواحد او بين واحد وكثيرين او بين كثيرين وكثيرين.

2- تبعا للكيف:

وهي صفات السلب والايجاب، سواء لحقت بالكم كالعدد الموجب والسالب او لحقت قيما اخلاقية، كالقول ان الخير ايجابي والشر سلبي .  
وصفات الضعف والشده : فيقال علاقات ضعيفة واخري قويه متينه.

3- تبعا للذات :

علاقته بين ذوات : كاب الابن وابن الاب .



- 
- علاقه بين صفات كالاشد حراره ، والافتح لونا .
  - علاقه بين ذات وصفات كعلاقه الصفة بالموصوف.

#### 4- تبعا للديمومة :

- علاقات دائمه ثابتة كالصفات الذاتية.
- علاقات متغيرة طارئه عرضيه كعلاقه الحال بالمحل، والحال تتغير من صحه الى مرض والعكس.

#### 5- تبعا للاتجاه :

- متجهه كالتضمن مثل أ يتضمن ب في حين ان ب لا يتضمن أ فهو تضمن من جهة واحده.
- وعلاقة العلّه بالمعلول متجهه فالعلّه سابقه على المعلول والمقدمة تسبق النتيجة وليس العكس.
- غير متجهه والتي هي متبادلة الاتجاه مثل علاقه الاقتران من مساواه ومقابله ومقاربه .

---

6- تبعا للتصريح :

- علاقات صريحه كما في كل العلاقات عدا التضمن ، ومن العلاقات الصريحة ما تصرح عنه اللغة مثل علاقات الإضافة من عطف وادوات واسماء وصل ومن جمع واسناد ومن مضاف ومضاف اليه.

- علاقات ضمنيه توصف بها علاقه التضمن لأنها مضمرة.

7- تبعا لحقيقتها :

-علاقات حقيقه.

- علاقات مجازيه افتراضيه .

8- تبعا لصدقها :

- علاقات صادقاه او كاذبه .

## 9- تبعا لطبيعتها :

- عيانيه منها علاقات طبيعية وعلاقات انسانيه والتي منها الاجتماعية والسياسية والاقتصادية فهي علاقات فعلية وعملية .

## 2- معنوية :

أ- عقلية كعلاقه المبدأ بنتائجه، كمبدأ الهوية وان الشيء الواحد هو هو، ومبدأ عدم التناقض وان الشيء اما ان يكون هو او ليس بهو.

ب- وضعيه : ومنها اللغوية لان اللغة تواضع في الاصل، تواضع علي لفظها ودلالات معانيها واللغوية منها لفظيه ومنها معنويه لغويه .

ج- والعلاقات العرفية او المتعارف عليها ومنها العلاقات التي يفرضها المجتمع والدين والسلطة والقانون ، والحقيقه ان معنى العرفي والوضعي من المترادفه ، لكن لما جعل في كتب التراث لكل منها باب ونوع يميز به ، فجعلت اللغة والقوانين المدنيه تحت باب العلاقات الوضعيه ، في حين ان الاعراف السائده وما يتصل بها من افعال وسلوك وعادات ، فتحت باب العلاقات العرفيه ،

## 10- تبعا للشكل والمضمون

- علاقات شكلية مثل علاقات التصريف في اللغة، والعلاقات النحوية. والمنطق الفلسفي التقليدي تحكمه العلاقات الشكلية.

- علاقات المضمون كمعني الكلمة لا شكلها فكاتب اسم فاعل تبعا للشكل الصرفي لكن مضمون معناها الذي يمتن الكتاب، وعلاقته التضمن بين الكل وأجزائه.

## 11- تبعا للمباشرة:

-مباشرة كعلاقات الاقتران قرنا لقرن بغير توسط غير مباشرة كعلاقته السببية فالسبب وسيله وواسطه تربط العله بالمعلول.

## 12-تبعا للتناسب :

تناسب طردي كإسناد الثمن الى وزن السلعة فكلما زاد وزنها ارتفعت قيمتها.  
تناسب عكسي كما في المتقابلة ؛ كلما طال النهار قصر الليل .

## 13- واخيرا ما قسمنا علي ضوئه العلاقات :

علاقات مستقلة كما في علاقات الاقتران.  
علاقات متداخلة كما في علاقات التركيب.  
علاقات متخارجة كما في علاقة العله بالمعلول .

## تلخيص العلاقات

### 1- علاقات اقتران :

أ- علاقات تقابل:-

---

تقابل الوجود والعدم.

تقابل الازداد.

التناقض.

التضاييف.

ب- علاقات المطابقة:-

المساواة الكلية في الكم.

المطابقة الكلية في كيف من مماثله ومشابهه

---

ج- علاقات مقاربة:-

الترادف.

التواطوء.

الاشتراك.

المشابهه.والمماثله الجزئية

2- علاقات **تداخل** وهي علاقات التركيب وتسمى روابط للارتباط بينها :

أ- روابط تركيب ضمنى داخليه وهي : **رابطة التضمن.**

---

ب- روابط تركيب **معلنه** خارجيه يصرح بها عن طريق اللغة وتسمى روابط **الإضافة** ومن روابط الإضافة :

-اسناد الاحوال الى محالها . أ- في الكلمة : الجمع والتثنيه والتعريف والتانيث .

ب- في الجمل غير التامه :

-العطف.

-اسماء الوصل.

-المضاف والمضاف اليه.

ج — في الجمل التامة وهي روابط الاسناد :

- اسناد الخبر الى المبتدأ

- اسناد الفعل الى الفاعل

-اسناد الصفه الى الوصوف

-اسناد الظروف من زمان ومكان لما هو لها.

3علاقات تخارج :علاقة **العله** بمعلولها الذي يخرج منها

أما علاقات **السببية** فوسائط ووسائل للوصول الى العله وربطها بالمعلول .

## الفصل الخامس

### المعني والدلالة

## معنى المعنى

اللغة تتكلم عما هو غائب، حتى وان عبّرت بضمير الحاضر، فان ما يُعلّق على هذا الضمير من كلام ، هو غائب عنا حضوره، ذلك اننا نتكلم عما في داخل انفسنا من تصورات وافكار، هي ظلال العالم الموجود خارجنا، واللحظة ، التي نعبر عنها بالآن تنزلق في الماضي بمجرد انتهائنا من لفظ كلمة الآن ، كما ان كل كلامنا عن المستقبل غائب حضوره عنا ايضا.

وعندما ندل على مشار اليه باسم الاشارة هذا وهذه او ذلك وتلك انما بالمعنى، اما بالفعل فمقدر على انه هو . واللغة تعرفنا بهويّات غائب عنا حضورها، فتعزو اليها الصفات والنعوت وما يتعلق وينسب اليها، بل ان صيغ الامر والنهي والتعجب مما هو حاضر، انما نستحضرها من دواخل انفسنا فكل ما يقال في اللغة يقال على انه كذا ، وانما يقال القول على ما عنه ، وعمن عنه.

والعالم الذي نحن فيه هو في حقيقة الامر فينا وما ندركه ونعبر عنه هو ظلال وأخيله العالم الذي في انفسنا.

وما عنه يكون الكلام انما هو المعنى الذي في انفسنا وبه نستدل على مدلول الكلام في العالم ، فكل ماعنّ في النفس وعبرنا عنه لغة فمعنى ، ويقال عنّ على خاطري وفي بالي وفي نفسي بمعنى خطر ومر ، وعُرض حضوره، فالحضور الحقيقي في اللغة حضور المعاني التي تمثل تصوراتنا عن العالم، وما



---

تجيش به انفسنا من خواطر وافكار، وبدلالة هذه المعاني نستدل على مدلولاتها في العالم والنفس.

ولغياب الدلالة العيانية الاولى والمعنى الاول لاسم المعنى ، اتفق اهل اللغة على ان معنى المعنى لغويا هو المقصود، فالمعنى مقصود الكلام ، وصيغة اسم المعنى اسم مفعول وهي صيغة تتسم بالحصافة، ذلك ان المعنى انفعال واع لتصوراتنا وافكارنا من جهة، ولمسموع الكلام ومقروئه من جهة اخرى ، ووصف بالواع ، لأنه يتضمن امكانية التعبير عنه لغة ، كما مر في ب  
اب الوعي، وذكر ان الوعي استيعاب عن طريق الفهم ، والفهم صياغة معطيات الواقع وفق منظومة الوعي والعقل ، لتصير جزءا من نسيج منظومة العقل المنطقيه ، وائتلاف المختلف هو تمثل ، وعليه **فمفهوم المعنى هو تمثل لغوي لتصوراتنا وافكارنا من جهة وتمثل دلالة الالفاظ من جهة اخرى** ، فالمعاني تمثل ذهني من حيث وضعت ازاء الفاظ، فهي تمثل لا تصور ، ذلك ان التصور مرتبط بمفهوم الصورة التي مصدرها العيان ، في حين ان المعنى كما يعبر ويدل على تصورات ، يعبر ويدل ايضا على افكار مجردة من كل عيان.

ومعنى التمثل يدل على ائتلاف المختلف في منظوم ة مؤتلفه واحدة، كتمثل الحيوان غذائه ليمسي لحما ودما وعظما، وكتمثل النبات اشعة الشمس فتغدو خضارا وثمارا .

وكل ما ينتظم في منظومة هو تمثل له في تلك المنظومة ليصبح ممثلا لها وجزءا من نسيجها ، فانظام التصورات والافكار في معان لغوية هو تمثل لها وفق منظومة اللغة، كذلك فالألفاظ الدالة يتمثلها العقل عن طريق معانيها في منظومته المنطقية ، ليفكر ويصوغ الفكر في كلمات وجمل .

وعرف ابن سينا المعنى تعريفا نفسيا: ( معنى دلالة اللفظ انه اذا ارتسم في الخيال مسموع اسم، ارتسم في النفس معنى، فتعرف النفس ان هذا المسموع لهذا المفهوم ، فكلما اورده الحس على النفس، التفتت الى معناه ) فذكر في تعريفه دلالة اللفظ على المعنى لكن لم يبين دلالة المعنى على اللفظ ايضا وكيف تنظم النفس معانيها في الفاظ .

ويقال معنى ايضا على خواطر النفس والوجدان ، كالقول ان معرفتكم تركت في نفسي معنى كبيرا ، ويقال على ما نعبر عنه بغير طريق اللغة ، كالأعمال الفنية ، فيقال لوحة او عمل فني يحمل معان عميقة ، كما توصف به الافعال ، كالقول ان مقام به فلان من معروف او موقف ترك في نفسي معنى ، فمثل هذه الدلالات لمعنى المعنى ليست تمثلات لغوية، أي ان مفهوم

---

المعنى لا يقتصر على اللغة فحسب ، فالمعنى قد ينسب للمشاعر والافعال والاعمال ، كما ينسب الى الاقوال.

وسواء كان مفهوم المعنى محصورا في اللغة والاقوال ثم عمم على باقي مستويات الفاعلية البشرية، او كان عاما ثم اختص باللغة ليدل على تمثل ما يجيش في النفس والعقل من مشاعر وتصورات وافكار وفق منظومة تعبير لغوية ، تظل اللغة هي منظومة التعبير الرئيسية عند الانسان ، ويظل مفهوم المعنى مرتبطا باللغة اكثر من غيرها ، ان لم ينحصر في دلالاته على اللغة فحسب.

والمعنى مفهوم مركزي في اللغة يتعلق بالالفاظ كما يتعلق بالعقل والتفكير ، فعنه يصدر التعبير عما يجول في خواطرنا ، وعندما يقال ان التعبير صدر عن المتكلم انما صدر عن معنى في نفس المتكلم .

ودلالة اسم المعنى اقرب لدواخل النفس من اسم الدلالة ، فالدلالة في اصل اللغة دلالة على اخر، مدلول عليه خارج النفس او ما يمثل هذا المدلول في النفس من تصورات وانطباعات تنوب منابه .

والبحت المبكر عن العلاقة بين مفهوم المعنى والدلالة ، ظهر اولا عند المناطقة فالتكلمين، ثم تبلور وتحدد لاحقا عن طريق علماء اللغة وفقهاء الشرع ، فجعلوا للكلمة الدالة جانبا عقليا

اسموه مفهوما ، كالناطق هو مفهوم الانسان الذي يتميز به عن نوعه من الاحياء، وجانب اخر يدل ويشير الى تحققه في الخارج واسموه ماصدقات ، فما صدقات مفهوم الانسان هو كل واحد ينطبق عليه مفهوم اسم الانسان كزيد وعمر، فالمفهوم هو المعنى والماصدقات هي الدلالات .

وعليه فاسم المعنى يمثل المفهوم العقلي لما يراد التعبير عنه ، في حين ان اسم الدلالة مايدل عليه المعنى في العالم الخارجي الذي تمثله تصورات هذا العالم وانطباعاته في انفسنا .

ومن هنا فالمعنى هو الحلقة المركزية التي تربط اللفظ الدال بما يدل عليه ، فالاسم لا يدل بذاته على مدلوله بل عن طريق المعنى والمفهوم الذي له في العوّل، كذلك فالشيء المدلول عليه لا نستدل على اسمه او لفظه الدال الا عن طريق معناه ومفهومه العقلي .

ويمكن العلاقة ان نمثل بين اللفظ والمعنى بهذا الشكل المبسط.

اللفظ ⇔ ( المعنى ⇔ التصور ) ⇔ المدلول عليه

وتدل الأسهم على علاقة متبادلة ، واللفظ كما يدل على معنى فالمعنى ايضا يدل على اللفظ المناسب والا كيف يمكن ان نعبر عن معانينا بالفاظ ؟ ومابين الاقواس يجري في الذهن وخارج الاقواس ماهو خارج النفس والذهن .

وبالتوازي ايضا، فثمة لغة كلية موضوعه خارجنا نستمد منها اللغة التي هي رصيد الفرد اللغوي من اللغة الكلية، واللغة الكلية تتألف من منظومة لفظية واخرى معنوية تناظرها وتقترن بها ، كذلك الامر في اللغة التي هي فينا، فنحن لا نتمثل الالفاظ الا وفق منظومة لغوية لفظية واخرى معنوية موجودة في اذهاننا، وبدون مثل هذه المنظومة لا يمكن ان نعبر عن المعاني التي هي فينا ولا ندرك م عاني الالفاظ والجمل المسموعة او المقروءة. لذا يمكن تفصيل هذا في الشكل التالي :

اللفظ  $\leftrightarrow$  { (منظومة لفظية  $\leftrightarrow$  منظومة معنوية ) }  $\leftrightarrow$  المدلول عليه

فالاقواس الكبيرة تمثل مافي النفس، والأهله تمثل منظومة اللغة التي فينا والمكونه من منظومه لفظية واخرى معنوية ، وعلاقة الدلالة كما سنبين علاقة تبادلية تفاعلية منعكسة بين كل واحد من المكونات الوارده في الشكل والاسهم تمثل هذه العلاقة المتبادله .

## جدلية المعنى والدلالة بين الاسم والمسمى

الكلمة في اللغة اما اسم او فعل او حرف ، والاسم بينها هو القائم في حين ان الافعال والحروف تقوم عليه، لذا هو الثابت وهو موضوع الكلام، فالاسم تسند اليه الصفات والاحوال ، في حين ان الفعل يستند ويرجع الى الفاعل الذي يُعَبَّر عنه باسم ، اما الحروف فادوات ربط لا يستند اليها او يقع عليها كلام .

لذا ففهم طبيعة الاسم من حيث مبناه ومعناه يعد مدخلاً مثاليا لفهم اللغة، فاللغة كأى علم تبدأ من البسيط الى المركب، ومن الاصول الى الفروع، والاسم البسيط غير المتركب في جمل انسب مدخل لفهم طبيعة اللغة .

والاسم في اول اطلاقه اصل الكلام وتصاريفه واشتقاقاته، وهو الاسم الجامد الذي لا يشتق من غيره، اما المشتقات فترجع الى اصولها التي اشتقت منها. والاسم الجامد منه مادل على عيان ، ويسمى اسم ذات او اسم عين كالحجر والشجر والبشر، ويدل على نوع عياني، ومنه مادل على معنى وهي المصادر الفعلية فمنها ما دل على معنى كالفهم والعقل ومنها ما دل على حدث مجرد من الزمان كالمشي والكتابة. لذا فبحث الجامد يغني عن بحث المشتق .

وكمدخل لفهم موضوع الدلالة والمعنى لا نجد طريقة ابسط من فهم طبيعة المعنى والدلالة بين الاسم والمسمى .

والاسم لا يدل بذاته وبلفظه على مسماه ، بل عبر معناه في منظومة العقل التي تشبه جدول الكيمياء الدوري . فالاسم يدل لكن على معنى، والمعنى يدل لكن على تصور الشيء ان كان له وجودا عيانيا، والشيء هو المسمى ، فالتصور يدلنا على ما له التصور في العالم الخارجي وهو مسمى بما ان الاسم له ، فان لم يكن له اسم او كان من غير جنس الاسم كالجمل واشباه الجمل والافعال، يسمى مدلولاً عليه .

وبالتسمية لكل مسمى اسم ، ولكل مدلول عليه لفظ او الفاظ دالة ، لكن ليس لكل اسم مسمى، ولا كل مدلول عليه يمكن معانيته ، ذلك ان الاسماء والالفاظ اما ان تدل معانيها على عيان او على معان مجردة عن العيان .

والاسماء الدالة على عيان ، او ماهو لصيق الارتباط بالعيان ، كاسم الجنس مثل رجل ، واسم النوع مثل فرس وانسان، والمصادر التي تدل على حدث مرتبط بالعيان كالمشي والقراءة لها مسميات ، سواء كانت المسميات لها وجودا قائما بنفسه كمسمى اسم العلم ام كان المسمى قائما على وجود غيره كمسميات اسماء الجنس والنوع والمصادر الدالة على حدث مرتبط بالعيان .

اما الاسماء المجردة عن العيان وهي المصادر الدالة على معنى فقط كالفكر والفهم فلا مسميات لها خارج معناها فلو سئلنا عن

---

مسمى الفكر مثلا فلان نجيب ابعد من التعريف بمعناه ، فلا مدلولات لها خارج النفس وان كانت تدل على الفاظها التي لها ، وعلى غيرها من المعاني .

فالمسمى اذن ما له وجود عياني بذاته او متعلق بما هو معاين ، وهذه المسميات لها في الذهن تصورات محددة او عامة تنوب منابها.

فأسماء العَلَم والاسماء الدالة على ذات والمصادر الدالة على ماهو متعلق بالعيان لها تصورات تدل عليها، واذن لها مسميات موجودة خارج اطار الذهن، وعليه مع ان لكل مسمى اسم، لكن ليس لكل اسم مسمى مثل الاسماء الدالة على معان مجردة .

والالفاظ لا تدل بذاتها على مدلولاتها بل عن طريق المعنى الذي هو صلة الوصل بين اللفظ ودلالته، فاللفظ علامة وامارة تدل على المعنى ، كما ان الاسم سمه تسم المسمى الموسوم به عن طريق المعنى.

واذا كان الاسم المتمكن في النحو هو الاسم المعرب ويوصف بانه اصيل في الاسمية، فيمكن القول ان الاسم المتمكن في المعنى هو ما دل على مسمى أي على عيان كاسماء العَلَم والنوع واسم الحدث المرتبط بالعيان .



---

وان كان الاسم المتمكن الامكن في النحو هو الاسم المعرب  
الذي يقبل التنوين كزيد وحسن فالاسم المتمكن الامكن من حيث  
المعنى هو ما دل على ذات بعينها، كالشمس والقمر واسماء العلم  
. ومثل هذا التصنيف يُسهّل استيعاب دلالة الاسماء .

## الدلالة

يرتبط مفهوم المعنى بمفهوم الدلالة ارتباطاً جوهرياً وليس عرضياً ، ذلك ان المعنى هو عصب الدلالة ، فاللفظ يدل على معنى ، والمعنى يدل على معنى آخر ، وكذلك يدل على الالفاظ التي تنطبق عليه ، بمثل ما يدل على مدلول عليه خارج اطار المعنى . وهي علاقة متبادله ايضاً ، فحين نعين مسمى ما في وجوده الخارجي نستدل على معناه ومن ثم على اسمه . وحين يخطر معنى ما في اذهاننا نستذكر اسمه ، وحين يخطر تصور او فكرة ما ، نعبر عنها بالكلام في الفاظ معينة ، تنطبق على المعنى الذي في اذهاننا .

والدلالة في اللغة بمعنى الارشاد، كدلالة الجبال والنجوم على طرق سير القوافل ، ومنها الدليل وهو المرشد على الطريق . وفي الاصطلاح : كون الشئ بحال يلزم من العلم به العلم بشئ اخر.

والحال المقصودة بالتعريف : اما حالاً طبيعياً كدلالة الدخان على النار ، والحرمة على الخجل والصفرة على الوجل ، او دلالة عقلية كدلالة الاربعة على الزوجية والثلاثة على الفردية ، ودلالة معنى على معنى اخر ، او دلالة وضعية كدلالة الالفاظ على معانيها .

---

اما ابن حزم فعرف الدلالة تبعا لاجرائها بين دال ومدلول على انها فعل الدال والدليل .

فاسم الدلالة بالمعنى يدل على تفاعل كالعلم بين عالم ومعلوم وكالحس بين حاس ومحسوس، والتفاعل بين فاعل ومفعول او منفعل ، فهي علاقة متبادلة مركبة من فعل، وانفعال او رد فعل، وليست متجهة كالفعل من جهة الفاعل فقط ، بل ومن جهة المفعول بانفعاله ومفعوليته فنحن نستدل باللفظ على المعنى في اول الوضع ، ثم بعد ذلك نستدل بالمعنى على اللفظ بالاستذكار ان سهونا عنه، كما نستدل على الالفاظ المناسبة عند التعبير عما يجول بانفسنا من معان .

والدلالة اللفظية الوضعية ليست سوى جزء من العملية اللغوية ؛ ذلك ان الدلالة العقلية هي ايضا من صميم اللغة، فكما يدل اللفظ على معنى فالمعنى يدلنا ايضا على معنى عن طريق العلاقات المنطقية التي تحكم العقل والمعاني .

وعليه فالدلالة اللغوية تكون بدلالة اللفظ على المعنى ، وبدلالة المعنى على المدلول عليه خارج اطار المعنى واللغة.

فالمعنى يتوسط اللفظ الدال ، وكذلك المدلول عليه في الخارج ، ولو لم يتوسطهما لدل اللفظ بذاته على مدلوله ، ولأصبحت لغات الارض جميعا لغة واحدة .

---

والدلالة اذن علاقة تفاعلية تبادلية أي منعكسة ، فكما نستدل من كلمة شجرة البرتقال على مدلولها في وج ودها الخارجي عبر المعنى، كذلك عندما نراها ، نستدل انها هي تلك المسماه شجرة برتقال بمطابقة تصور ها ، بتصور مرتبط بمعناها وصفاتها المميزة في اذهاننا من قبل، سواء عن طريق رؤية غيرها من قبل، أو أن يكون هذا التصور قد ارتسم من خلال معنى عندنا قد اكتسبناه عن طريق اللغة من غير معاينة المسمى، يعرفنا بصفاتها وشكلها .

وبمطابقة صورة شجرة البرتقال مع التصور الذي لها في أذهاننا، نستدل عبر هذا التصور على معنى شجرة برتقال بصفاتها المحددة ، ومنه نستدل على اللفظ الموضوع ازاء هذا المعنى من قبل.

فالدلالة اللغوية وان كانت وضعية بالاصل ، في دلالة اللفظ على المعنى ، لكنها تجري بعد ذلك وفق علاقات عقلية كعلاقة المعنى بالمعنى ، وكعلاقة المعنى بالتصور وكذلك العكس ، اما علاقة التصور الذي يدل عليه المعنى بما هو تصور له، والعكس ، فعلاقة حسيه نفسيه خارجه عن اللغة .

والاسم كما يدلنا على معناه بالوضع الاول ، فالمعنى هو من يدلنا على مسماه ، والعكس ايضا، فنستدل بالمسمى على معناه

---

، و من خلال المعنى نستدل على الاسم الذي له من قبل في  
أنفسنا معنى .

لذا فاللغة وان كانت وضعيه بدايه ، لكنها تصوير عقليه بعد ذلك  
وتسير بمعيه العقل ، مادام قد تمثلها الو ع ي والعقل . والعيان  
ايضا متى ادرك الذهن تصور ما هو معين واستوعبه ، صار  
متمثلا في الذهن ، وبالتالي متعلقا أي له في انفسنا معنى يمكن  
التعبير عنه لغة. وهكذا:-

فدلالة اللفظ على المعنى وضعيه.  
ودلالة المعنى على المعنى عقلية.  
ودلالة المعنى على التصور او الفكره ، والعكس عقلية

ودلالة التصور على ماله تصور والعكس دلالة طبيعية  
ذلك أن ارتسام صور الاشياء في اذهاننا عملية حسية  
طبيعيه ، كما ان دلالة هذه الصور على تلك الاشياء  
المتصورة دلالة نفسية حسية بالطبع ايضا .

## دلالة اللفظ على المعنى

لتجنب دلالة اللفظ عشوائيا على المعنى، تنتظم الالفاظ وفق منظومة لفظية متجانسة ، كما هو حال الاشتقاق والتصريف، بحيث نستدل من صيغة اللفظ على معناه كالاستدلال على معنى الفاعل والمفعول من الصيغ اللفظية . وهي صيغ وضعية بأصل اللغة ، ليسهل التأدي من معنى لمعنى عن طريق اللفظ ، وليجري تصريف الالفاظ وفق معانيها، بحيث تناظر منظومة اللفظ منظومة المعاني وتجري معها بالتوازي .

واللفظ لا يقتصر بمعناه عن طريق المطابقة ، فهما ليسا متجانسين في جنس واحد، والمطابقة مطابقة بين متجانسين، كمطابقة الخط للخط والسطح للسطح والكمية للكمية و الشبيه لشبيهه، وكمطابقة اللفظ لللفظ والمعنى للمعنى ، وانما يقتصر بمعناه عن طريق الانطباق والانطباق في الاصل انطباق الغطاء على الوعاء او الطبق ، فهو انطباق جزء على جزء مكمل له في كل واحد هو الكلمة التي تجمعهما، كانطباق القالب على المادة ، والطابع على المطبوع وكذلك الاصل على الصورة ، وانطباع صورة المسمى والمدلول عليه في الذهن .

فاسم العين يتطابق لفظا في الدلالة على عضو الابصار وعلى مصدر النبع . ومعنى اسم الوالدة يطابق معنى اسم الام ، اما اللفظ فينطبق على معناه ولا يطابقه .

---

واللفظ الدال اما اسم او فعل او حرف . وكما ذكر فالاسم من بينها هو القائم بذاته لغة ، في حين ان الفعل يقوم معناه على معنى الفاعل، الذي له اسم ، والحرف يقوم معناه على الفعل و على الاسم .

والاسم ثابت في دلالة معناه وكما ذكرنا فالبحث في دلالة الاسم هو المدخل لفهم دلالة الالفاظ عموما . لذلك فان الاصل المطلق للكلام في تصاريفه واشتقاقاته يأخذ شكل الاسم .

واللفظ الدال عموماً، مسموعاً او مقروءاً ومكتوباً، احساس معين يدل على معنى بالوضع ، وعن طريق المعنى يدل على ما يدل ، سواء كان المدلول عليه تصوراً ذهنياً او ما يمثله هذا التصور من اشياء خارجية موجودة ، وهذا المدلول عليه هو المسمى فيما يختص بدلالة الاسماء ، وكما يدل الاسم على مسمى عن طريق المعنى ، كذلك فبالمسمى نستدل على اسمه المعروف لنا مسبقاً عن طريق معناه ، وهو استدلال استذكاري نذكر فيه الاسم المعلوم قبلاً عند معاينة المسمى .

## دلالة الاسم

تتشق في العربية صيغة الاسم مع دلالاته . فالاسماء تنقسم الى جامدة ومشتقة، والجامدة هي المطلقة في اصل الوضع ولا تشق من غيرها.

والجامدة منها اسم ذات او عين ويدل على عيان، وفي الحقيقة اسم جنس ونوع عياني ، كالشجر والبشر والحجر والبقر. وندر الاشتقاق منها .

ومن الاسماء الجامدة ايضا المصادر، والمصدر اسم يدل على معنى مجرد او حدث ، كالمصادر : فهم وعقل ومشى وقراءة وابيضاض واسوداد ومكان وزمان . والحدث ايضا معنى جُرد من الزمان ومن الذات التي يستند اليها الحدث كالفاعل والمفعول ، فهو معنى مجرد كالصفات متى جردت عن الموصوف كما يجرد البياض عن الابيض ، وان كان المشتق يختص بالصفات اكثر من الاسم الجامد . والمعنى المجرد قد يُحمل على العيان مثلما تحمل الصفات المجردة على الموصوف مثل فهم الدرس، وتعقل الموضوع ، والقراءة تحمل على من يقرأ وكذلك المشي ، لكنه لا تتضمن دلالاته ذاتا عيانية كاسماء الذات والعين .

والمشتق ما اشتق من غيره ودل على ذات او صفه ككاتب وقارئ ومكتوب ومقروء، تدل على ذات وقد تدل ايضا على



---

صفه مشتقه ، والاسم المشتق يرجع الى ما اشتق منه لفظا ومعنى. وبما ان كل علم يبحث في اصوله اولا ، وأصل الكلم الاسماء ، واصل الاسماء هي الاسماء الجامدة ، وهي الاسماء اول اطلاقها ، وبما ان اسماء الذات والانواع العيانية قلما يشتق منها، او تصرف، وانما الاشتقاق والتصريف يتعلق بالمصادر، فهي مصدر الاسماء المشتقة والافعال والصفات، وبما ان المصدر مطلق في لفظه ومعناه، فهو بسيط لا يرتبط الا بنفسه، فمن المنطقي عند بحث مواضيع اللغة النظرية كالمعنى والدلالة، الانطلاق من بحث المصدر اولا .

وشبه الفارابي المصدر بالجواهر قائلا في كتاب الحروف ( انما تتعاقب على المصدر الحركات والحروف كالأعراض فتتغير دلالاته تغيرا جزئيا لا كليا ) . فلا يجانب الصواب وصف المصدر بالجواهر، فهو جوهر الكلم وجوهر البحث فيه ايضا .

والمصدر يدل على حدث مجرد، أي مطلق الزمان، اما الفعل فعلى زمن معين ، والمطلق اصل، والمقيد فرع ، لذا لم تتل وجهة نظر الكوفيين حظوظا لها بين علماء اللغة المتأخرين، بجعل الفعل مصدر الاشتقاق ، في حين ترسخ راي البصريين في علوم اللغة، عندما قالوا المصدر وليس الفعل هو اصل الاشتقاق.

وبفهم طبيعة المصدر لفظا ومعنى ، نقف على جزء كبير من علم اللغة ، خاصة مايتعلق بالعلاقة التفاعلية المتبادلة بين المبنى والمعنى، وبالتحديد في علم الصرف والاشتقاق . وثمة حكمة لغوية تكمن وراء اجتراف مصادر للفظ والمعنى متقاربة الحروف وفق اوزان معلومة ، تسهل عملية الاستدلال بين اللفظ والمعنى ، وتغطي حقولا دلالية واسعة ، فالفعل والفاعل والمنفعل والتفاعل...الخ جميعا اشتقاقا تنبع من عين واحدة هي المصدر وتصاريفه ، لفظاً ومعنى معاً، وهنا مكمن الاعجاز .

ويشذ المصدر الصناعي عن قاعدة عدم اشتقاق المصدر من غيره . وسمي صناعي لانه لا يجري بالتصريف الطبيعي والتولد ، بل كالتوليد القسري عن طريق الشق . والاشتقاق يكون في الاسماء غير المنصرفه، كالانسانية مشتقة من الانسان ، والهويه من ضمير هو، والقومية من القوم ، وهي مصادر غير منصرفة كالمصادر اللغويه ذات الطبيعة التوليديه . ومن حيث الدلالة فالمصدر الصناعي مفهوم قد جاوز معناه الاول الى معنى ثان مصطلح عليه ، على اعتباره مطلقا ، ويدل بالاجمال على معان مجردة .

## المعنى البسيط والمعنى المركب

من الصعب تحديد معنى قاطع لمفهوم المعنى البسيط ، ذلك ان المعاني متداخلة فيما بينها ويدل واحدها على الآخر ، ويتضمن المعنى في داخله معان أخر، فالمعاني منظومه عقليه ، تتسج من خيوط متشابكة في نسيج واحد يصعب فصل واحدها عن الاخر.

وفقه المعنى كأى علم او مو ضوع ، يبدأ من البسيط لفهم المركب وبذلك يمكن تقسيم المعنى الى معنى بسيط و اخر مركب.

اما مفهوم التحليل مقابل التركيب، فمن الاصطلاحات التي وردت ثقافتنا حديثا.

والمعنى التحليلي كما قد يفهم من اسمه ، ما لا يقبل التحليل الى وحدات معنوية اخرى دونه، والا اعتبر مركب . والمعاني ليس فيها ما لا يقبل التحليل الى ما دونه فهي ترتبط ببعض تبعاً لعلاقات محدده ، وفق نسيج منطقي واحد، فمعنى الانسان يفترض ان يكون تحليليا، وهو ابسط من معنى نوعه الذي يتضمن الانسان والحصان وغيرها، واذن عند التعريف يحل الى معنى الحيوان الذي يفترض ان يكون اكثر تركيبا والى معنى الناطق .

---

اما عند واضعيه، فالمعنى التحليلي هو المُعرّف بالاسم ، كاسم الانسان يُعرّف على انه حيوان ناطق مثلا ، وهنا لبس في المفهوم ، فان كان المعنى التحليلي هو التعريف اذن يمكن تحليله الى مادونه . اما ان كان مفهوم التحليل هو الوحدات التي اليها ينحل المعنى ، كالحیوان والناطق فهذه بدورها تتحل أيضا الى ما دونها، ليتأدى الى مالا نهاية له من التعاريف.

اللهم الا اذا استثنينا الادوات النحوية التي لا يتضمن معناها سوى ذاتها كلا النافية وحروف الجر.

اما ان كان مفهوم التحليل هو التعريف بالمعنى، او افادة التصور كما في المنطق العربي فهو مايفيد التعريف بالماهية ، وسواء اعتبرنا مفهوم التحليل مالا يحلل الى مادونه او مايدل على الماهية ، فهو جزء فقط من مفهوم المعنى البسيط كما اصطلح عليه في تراثنا الفكري ، فمفهوم المعنى البسيط اعم دلالة واكثر شمولاً وادق تعبيراً من مفهوم المعنى التحليلي كما سنبين.

والمعنى البسيط هو المعنى الواحد مطلقاً، فباعتبار الوحدة هو غير مقيد بعلاقة مع معنى اخر غيره ، والمعنى وان تضمن كثرة يظل بسيطاً بما هو واحد، كمعنى القوم معنى واحد غير مرتبط بعلاقة مع معنى اخر غيره ، لذا هو مطلق بما هو واحد.

---

وبهذا الاعتبار هو معنى بسيط . ومقولة البساطة والتركيب ، كمقولة الاطلاق والتقييد ، تتبع انحاء النظر وجهاته .

فما هو مطلق باعتبار، قد يكون مرتبطا باعتبار اخر، من جهة اخرى، فمعنى البياض مثلا معنى مطلق لفظا بما هو اسم مصدر، وكذلك مطلق لدلالته على صفة قد جردت عن موصوفها ، في حين يمكن النظر الى معنى الصفة تبعا للوجود وللتصور على انها قائمة بالموصوف ولا تُفصل عنه، فبهذا الاعتبار يكون معنى البياض مقيدا بمعنى ما هو ابيض.

كذلك فمعنى الانسان يمكن اعتباره معنى واحدا مطلقا، مقابل معنى الحصان مثلا، لكن تبعا لتعريفه من جهة اخرى بالحيوان الناطق ، يتضمن معنى الحيوان والنطق وهو بهذا الاعتبار مركب ، وان اعتبرنا معنى الانسان ايضا يقال على كثيرين فهو من هذه الناحية مركب، اذ ينبغي ان يدل على ماهية واحدة .

والمشتقات ايضا مركبات لفظا ومعنى، لكن ان اعتبرناها وحدة واحدة بها هي كلمة، امكن اعتبارها بسيطة .

وحقيقة الامر ان المعاني جميعا يرتبط بعضها ببعض، في منظومة منطقية عقلية كنسيج واحد، ولا وجود لمعنى مطلق بذاته الا من حيث الاعتبار ولتسهيل دروب الفهم.

---

واذن فبساطة المعنى تتبع اعتبار الوحدة والاطلاق وعليه  
فالمعنى يعتبر بسيطا إمّا من جهة اللفظ او من جهة المعنى ذاته  
او باعتبار دلالاته على ماهو موجود وعلى تصوره .

(1). المعنى البسيط تبعا للفظ :

أ). معنى الاسم اول اطلاقه مقابل المشتق الذي يعتبر مركبا تبعا  
لهذا، اما الفعل فمشتق من اسم هو المصدر، ويمكن تبعا  
للاطلاق اعتبار الحروف تحت هذا الباب بما هي مطلقة غير  
مشتقة.

ب). اعتبار معنى الكلمة بما هي وحده غير قابلة للتجزئة ،  
معنىً بسيطا مقابل الجمل والسياق.

(2). تبعا للمعنى ذاته:

ما دل على نفسه فقط ، وليس على آخر خارجا عنه ، كأسماء  
المعاني مثل الفهم والفكر والاطلاق والتجريد ، وكأسماء  
المصدر الدالة على صفات مجردة مطلقة كالبياض والسواد،  
وكالخير والشر، والعدالة والحق . اما الاسماء الدالة على ما  
يخرج عن معناها ، كاسماء العَلَم التي تدل على شئ معين ليس  
هو المعنى ذاته ، فلا تدخل تحت هذا الباب .

وَجُعِلَ هذا النوع من المعاني في باب المعنى ذاته وليس في باب  
الدلالة لان الدلالة تكون دلالة على اخر، اما دلالة الشيء على

---

ذاته فليست بمزيه ولا بدلالة، ذلك ان كل الأشياء تدل على ذاتها ، فهي تتبع هنا المعنى ذاته لا دلالاته .

وتحت هذا الباب يمكن ادراج المعنى التحليلي، ان كان يقصد به ما دل على ذاته فقط ،من غير ان يدل على معنى اخر غيره .

كذلك تندرج تحت هذا الباب حروف النحو التي لا تدل الا على ذاتها كاللا النافية وكحروف الجر ، وكذلك ال التعريف ، فمعنى احرف النحو اذن هو ما ينطبق عليه وصف المعنى التحليلي بامتياز.

### (3). تبعا للدلالة :

- ما دل على ماهية واحدة، كدلالة معنى اسماء العلم.

- ما دل على ماهية واحدة وان تضمنت كثرة ، مثل معنى الشعب والقوم، او تضمنت اجزاء كالجسم والبناء.

- دلالة اسماء النوع على ماهية واحدة ، فالنوع على حدته ماهية واحدة ، مقابل الانواع الاخرى في الجنس الواحد عينه . فهي بهذا الاعتبار معان بسيطة مع انها باعتبار اخر تدل على كثيرين ، كمعنى الانسان مقابل معنى الحصان او الاسد يدل على ماهية النوع الواحد ، كما يدل على كل واحد من الناس.

---

- ما دل شكلا على ماهية واحدة مع انه مركب ويتضمن بداخله اكثر من معنى ، كمفاهيم الجاذبية والنسبية والفلسفة والعلم وكذلك اسماء الدول والبلدان.

- ومن المعاني البسيطة ما دل على ماهية واحدة وان كان مركبا لفظا كنجمة الصباح ونجمة المساء تدل على معنى واحد هو كوكب الزهرة ، فهي بهذا الاعتبار معنى بسيط .

وفي المنطق العربي المبكر تم فصل المعنى البسيط عن المركب عبر تقسيم المعنى الى معن ى يفيد التصور ، وهو البسيط ، والى معنى يفيد التصديق عند الحكم بشيء على شيء ، وهو المركب ؛ فالبسيط ما دل على تصور ، والمركب ما احتمل الصدق او الكذب .

لكن معنى التصور يفيد الدلالة على عيان ، وليست كل المعاني البسيطة تقتصر بتصورات الاشياء العيانية ، فبعضها يدل على افكار مجردة عن أي عيان.

ومن كل ما ذُكر يمكن اعتبار المعنى البسيط :

ما اعتبر معنى واحدا على حدته، مطلقا غير مقيد بعلاقة مع معنى اخر غيره . اذ هو يتبع الاعتبار الذي من خلاله ننظر الى المعنى فيكون بسيطا باعتبار دلالة اللفظ اول اطلاقه . وعليه فالمشتق والمنصرف يدل على معنى مضاف الى المعنى الاول



---

، فهو بهذا الاعتبار مركب وينسحب ذلك على الدلالة الصرفية باعتبارها مركبة تبعا لهذا الاعتبار.

وإما ان يكون بسيطا باعتبار دلالة الكلمة الواحدة على معنى واحد، وبهذا الاعتبار فالكلمة المشتقة تدل على معنى بسيط بما هي واحدة ، اما التركيب هنا فيتعلق بالدلالة النحوية في سياق الجمل بين كلمه واخرى او بين كلمه وجمله ، وما تدل عليه من معان تركيبية ترتبط مع بعضها بعلاقات محددة.

وإما ان يكون المعنى بسيطا باعتباره مجردا ولا يدل الا على ذاته.

واما باعتبار دلالة المعنى على وحده واحدة كدلالة نجمة المساء على كوكب الزهرة.

### المعنى التركيبي

ان اعتبرنا المعنى بسيطا تبعا لاطلاق لفظه، فالمعنى الصرفي والاشتقاقي يعتبر مركبا.

وان اعتبرنا دلالة الكلمة الواحدة فالمعنى الصرفي يعتبر بسيطا.

---

لذا فالتركيب الذي لا خلاف عليه، هو دلالة الالفاظ على معانيها عند تركيبها في جمل وسياقات، تربطها مع المعاني الاخرى علاقات منطقية محددة . وهي علاقات الاقتران والتضمن والاضافة والعِلَّة او اللزوم كما ذكر في الفصل الرابع.

والمعنى التركيبي يبدأ بالتجلي في الجمل والسياقات وتحكمه قواعد اللفظ من نحو وبلاغة .

واولى دلالة الكلمة تكون في معناها البسيط اول اطلاقها . وبينما تتوقع الحروف عند المستوى الدلالي الاول ولا تتجاوزه ، سواء كانت على حدثها ام في سياق الجمل كحروف النفي والجر، في حين تواصل الافعال مسيرتها نحو مستويات اخرى متقدمة من الدلالة الصرفية والنحوية والبلاغية، لكن الفعل ليس بأصل ، ولا هو قائم بذاته بل يقوم على الفاعل الذي يُدَل عليه بصيغة اسم ، وبعض الاسماء ايضا مشتقة ترجع الى ما اشتقت منه تماما كالفعل ، لذا من المنطق ان ينحصر البحث في دلالة الاسماء الجامدة التي يشتق منها ولا تشتق من غيرها .

والاسماء الجامدة اما اسرَم ذات قلما يشتق منه، فيما خلا اشتقاق المصادر الصناعية كالانسانية والحرية.

او ان يكون الاسم مصدرا قابلا لتصاريف الكلام تبعا لاستعمالاته ودلالاته وهو اكثر اللغة و ما نسلط الضوء عليه في بحثنا.

---

وبتقلب المعنى في تصاريفه يكتسب معان ودلالات اضافية  
كمعنى الفاعلية والمفعولية عند تصريف مصدر فعل .

اما المعنى التركيبي مع غيره من المعاني فتبدأ ملامحه  
الاولى بالتجلي، في النحو وقواعد الاعراب، لتمييز  
المعنى من المعاني الاخرى المرتبطة به في سياق  
الكلام، فعن طريق النحو يُحرك اللفظ الدال على المعنى  
حركات معينة تدل على المعنى النحوي الاضافي ،  
كالفاعل يرفع با لضم والمفعول ينصب . كما تنتظم  
الالفاظ بمواضع محددة في الجمل والسياقات وتبعاً لذلك  
يحدّد موضع اللفظ معناه النحوي ، فالمبتدأ يسبق الخبر  
لفظياً ومنطقياً وكذلك الفاعل يسبق المفعول، اللهم الا  
في الاساليب البلاغية من تقديم وتأخير تبعاً لمقتضيات  
الخطاب، واولوية الدلالة كتقديم الخبر وتقديم الفاعل  
قبل الفعل . والالفاظ تتحرك حركات اعرابية محددة  
تعرب بها عن المعاني، فالرفع بالضم للفاعل والنصب  
بالفتح للمفعول، لتتحرك بها المعاني في دلالات جديدة  
بعيدا عن جمود دلالة الكلمة على حدثها، لتبدأ رحلة  
الكلمة في عالم المعنى والدلالة عبر الجمل والسياقات .  
والاعراب به تحليل لغوي كاف شاف واف ، وعلى  
جميع المستويات من لفظ ومعنى ودلالة ، وقبل البدء  
بالاعراب ، يُبدأ بتفسير المعنى التركيبي ودلالاته ،  
وعلى هدي تفسير المعنى يجري الاعراب ، وفي

---

الاعراب كل الصيد بجوف الفرا ، فالاعراب يميز  
العربي عن سائر لغات اهل الارض .

وفي المعاني البلاغية التي تحكم السياق ، يفرض المعنى نفسه  
على قواعد اللفظ والنحو، ليبداً بالتححرر من قيود اللفظ نحو افاق  
المعاني الخالصة ، فيقدم مايؤخره النحو، ويؤخر مايقدم ، تبعا  
لمتطلبات المعنى . وقد يحذف مايقتضيه اللفظ من اتمام المعنى،  
ليترك هامشا للتقدير ، كما في دلالة الاقتضاء . وعند هذا  
المستوى قد يجاوز المعنى اصل الوضع ، ليجاوز دلالة اللفظ  
في وضعه الاول ، الى دلالة بلاغية مستجدة كما في صيغ  
المجاز.

وفي حين تشبه المعاني البسيطة عناصر الكيمياء، لكل عنصر  
منها اسم محدد، وعدد دوري خاص تعرف به ماهيته، وينتظم  
كل عنصر في الجدول الدوري بخانة محددة، تنتظم مع غيرها  
من الخانات وفق مجموعات وزمر، كذلك لكل معنى افرادي  
اسم يدل عليه، وماهية خاصة تميزه عن سائر المعاني ، وكما  
ذكر في باب العلاقات فالمعاني تنتظم وفق علاقات منطقية في  
اجناس وانواع .

ومع ان هنالك معاني مختلفة مشتركة بالاسم واللفظ، كذلك هناك  
اسماء مختلفة تدل على معنى واحد كاسماء السيف ، لكنها  
بالغالب الاعام حالات خاصة قليلة ، فالعربية تتولد معانيها

---

عموما تبعا لتولد الفاظها من مصادر يصدر عنها تصريف الكلام.

لذا يسهل تعيين خانة محددة لكل مع نى بسيط في منظومة الفاظها ومعانيها . بل ان بعض عناصر الجدول الدوري لها نظائر واشباه وهذا لايفت في عضده التنظيمي.

بينما المعاني التركيبية هي تلك العناصر الداخلة في تفاعلات مع بعض لانتاج مركبات لغويه جديدة، كما في علاقات الاضافة كالمضاف والمضاف اليه ، وعلاقات الاسناد.

## تصنيف الدلالات

ذكر في تعريف الدلالة ان الدلالة لا تنحصر في دلالة اللفظ على المعنى فقط، بل تشمل دلالة المعنى على المعنى، ودلالة المعنى على التصور ودلالة التصور على ما له التصور، ولكون الدلالة علاقة تفاعلية متبادلة بين دال ومدلول عليه فهي منعكسة، فنستدل بالمسمى ايضا على معناه في حال غاب عنا ذكره مثلا ، ونستدل بالمعنى على الاسم.

وكما يدل الدال على مدلوله عموما ففي الدلالة بين المعاني يصبح المدلول عليه دالا على مايدل عليه، فكما نستدل بالفعل على الفاعل ونقدر عقليا في الا عراب على من يرجع الفعل ، وهكذا فقد نستدل على الكلي بالجزئي عن طريق الاستقراء او العكس بالاستنباط والاشتقاق.

وكذلك فالمعنى المقابل يدل على مقابلة بالتساوي بين طرفيه، كالضد يدل على ضده.

وكما يلزم في دلالة اللزوم عن الفاعل فعله يلزم بالمثل عن الفعل فاعله وك ل معنى يلزم عن اخر، يدل كل منهما على لازمة مثلما يدل الاخر على ملزومه.

ومع ان علاقة التضمن والعليّة متجهتين، فالضامن لا يمكن ان يكون مضمونا لما تضمن، والعلة غير معلولة لمعلولها، لكن من

حيث الدلالة المعنوية، فالضامن يدل على المضمون كما يدل المضمون على الضامن، وعن طريق العلة نستدل بالمرض على المريض وبالمريض على المرض، وكما نستدل بالدخان على النار، نستدل ونعلم ان للنار دخانا وعند ذكر كلمة نار يتبادر الى ذهننا معنى الدخان، وكذلك العكس، ومثلما نستدل على المبدأ من النتيجة، نستطيع الاستدلال من المبدأ على نتائجه.

وذكر ان دلالة اللفظ على المعنى وضعية عرفية ودلالة المعنى على المعنى عقلية، ودلالة المعنى على التصور والعكس عقلية، اما دلالة التصور على ماله تصور في الوجود الخارجي، فدلالة حسية طبيعية ولذلك فهي خارج اطار اللغة.

وعليه يمكن تقسيم الدلالة الى :-

دلالة لفظية : دلالة اللفظ على معناه والعكس.  
دلالة معنوية : دلالة المعنى على المعنى، ودلالة المعنى على التصور والعكس.  
دلالة الظروف المحيطة بالكلام وتسمى ايضا بالمقام او بمقتضى الحال.

لذا يمكن اختزال تقسيم الدلالة الى :-

- 
- 1- دلالة المقال : وتشمل الدلالة اللفظية والمعنوية.
  - 2- دلالة المقام : وهي دلالة الظروف المحيطة بالكلام على فحوي الخطاب، من احوال المتكلم والمخاطب، ومن الظروف والاحوال التي تحف الخطاب، ومع انها خارج اطار اللغة لكنها مؤثرة في الخطاب تأثيرا ما، لذا هي اعراض تعرض للمقال.



## 1- دلالة المقال

وتنقسم الى :

دلالة لفظية.

دلالة معنوية.

أ- الدلالة اللفظية:

وتنقسم الى :-

دلالة مطلقة.

دلالة صرفية.

دلالة نحوية.

دلالة بلاغية.

أما الدلالة الصوتية من تنغيم ونبر فتعرض للفظ وليست داخلية فيه، فهي تعبر في الغالب عن انفعال المتكلم، لذا هي ادخل في باب المقام من باب اللفظ والمقال .

ب- الدلالة المعنوية:

وهي دلالة العلاقات التي تحكم المعاني من علاقات اقتران، وتركيب ،وعليه .

## أ - الدلالة اللفظية

### 1 . الدلالة المطلقة:

هي الدلالة الافرادية للفظ على معناه في اول اطلاقه، فان كان اللفظ مشتقا يرجع معناه الى معنى مصدره بالاضافة الى ما يدل عليه معنى التصريف .

ومعنى المصدر مطلق ، وكذلك لفظه : اما المعاني الاشتقاقية المكتسبة فيدل عليها بالدلالة الصرفية، التي هي دلالة صورة اللفظ على معناه الاضافي كمعنى فاعل يرجع الى المصدر فعل ، والمصدر مطلق لفظا ومعنى ودلالة وصي غة فاعل تدل بالصرف على من يقوم بالفعل.

والمعاجم العربية بالاصل تتناغم مع طبيعة العربية في التوليد، لتبدأ من المصدر والاسم الجامد وهي الاسماء في اطلاقها الاول لتتنزل بعد ذلك الى تصاريف الاسم واشتقاقاته، تبعا لقواعد الصرف والاشتقاق ، فترجع المشتق الى اصل اشتقاقه مع ما يكتسبه المعنى من معان اضافية عند التصريف والاشتقاق ، لتتنزل بذلك من الاصل الى الفرع.

فان قلنا ان الدلالة المعجمية تبعا لمعاجم العربية هي الدلالة الافرادية للفظ بارجاعه الى دلالاته المطلقة ، تكون الدلالة المطلقة اصل الدلالة المعجمية . فالدلالة المعجمية هي دلالة اللفظ منفردا بارجاعه الى مصدره ان كان مشتقا مع بيان ما

---

اكتسب من معنى ودلالة عن طريق تصريفه واشتقاقه ، فهي دلالة افرادية تحليلية تتضمن الاطلاق والاشتقاق.

## (2). الدلالة الصرفية والاشتقاقية:

ليس هنالك ثمة تفرقة قاطعة في علوم اللغة بين معنى الصرف والاشتقاق ، الا ما ذكره ابن جني عن الاشتقاق الاصغر الذي هو التصريف، والكبير اشتقاق كلمة من اخرى مع اتفاقهما في المعنى والحروف الاصلية دون ترتيب مثل بحر رحب حرب، والاكبر اشتقاق كلمة من اخرى مع اتفاقهما في المعنى فقط مثل هذل الحمام وهذر.

واقترح على اهل اللغة ان تصبح التفرقة كالتالي بما ان المصادر تصرف وفق قواعد الصرف فليسمى مايتعلق بالمصدر تصريفا. وبما انه قلما يشتق من الاسماء الجامدة الدالة على ذات وعين كاسماء القمر والشمس وكذلك البشر والشجر والحجر فليسمى مايشق من جامد دال على ذات، بالاشتقاق ، ومنه اشتقاق المصادر الصناعية بعدما تنسب وتضاف لها ياء النسبة فتاء التأنيث للمصدرية، كاشتقاق مصدر الهوية من هو ، وهو ضمير لا يُصَرَّف لكن يشتق منه، فالتصريف على مجرى التوليد، والاشتقاق على مجرى الشق الصناعي بعملية قسرية كما هو الحال في المصادر الصناعية الدالة على مفاهيم كالثانسانية والحرية والهوية والقومية .

---

وتصارييف المصادر في العربية تحكمها اوزان معلومة تدل على ما يطرأ على المعنى الاصلي من تغير يتناسب وتلك الاوزان ، كصيغ فاعل ومفعول ليسهل الاستدلال على معنى اللفظ عند ربط معنى بمعنى تبعا لتصارييف اللفظ مثل ، عالم تدل على الع لم وعلى المعلوم . بالاضافة الى دلالة معناها المطلقة ، وهنا يكمن التناغم بين منظومة اللفظ ومنظومة المعنى ما يجعل دروب اللغة والتعبير ميسره.

وعن طريق التصريف والاشتقاق وما اكتسب اللفظ من زيادة في حروفه الاصلية نستدل على العدد من افراد وجمع وتثنية ونستدل على الجنس من تذكير وتأنيث.

وتصريف الفعل يدلنا على زمانه مثلما دلنا لفظه على مصدره .ويطلق ابن جني على الدلالة الصرفية الدلالة الصناعية ويعتبرها اقوى دلالة من المعنوية لانها وان لم تكن لفظا فانها صورة يحملها اللفظ . فالتصريف عنده اذن قالب والقالب قبل المصنوع فـاو زان اللفظ عنده سابقة على معنى اللفظ المصروف . فالصرف شكل لغوي لفظي يُحدد المعنى في اطاره.

### 3). الدلالة النحوية:

كما قال علماء العربية :

ان كان بالمصدر وتصريفه تعرف انفس الكلم      **الثابتة** فبالنحو  
تعرف احواله **المتنقلة**.

فان كانت الدلالة المطلقة والدلالة الصرفية      دلالة اللفظ على  
إفراده ، فالدلالة النحوية دلالة اللفظ مع غيره من الالفاظ في  
الجملة والسياقات ، وما يطرأ على اللفظ من حركات تبعا لمعناه  
ودلالته ، وفي حين تتغير على المصدر الحروف عند تصريفه  
ففي النحو تتغير الحركات او حروف علة بحكم الحركات ،  
وبالاعراب الذي هو اداة النحو في التحليل اللغوي تمتاز العربية  
عن غيرها من اللغات ، فيه بيان دلالة اللفظ في الجملة ،  
كنصب الاحوال ، ورفع المبتدأ او الخبر، وجر المضاف اليه،  
وتبعية الصفة للموصوف في الاعراب ،وبيان العدد من افراد  
وتثنية وجمع ، والجنس من تذكير وتأنيث و التعريف والتذكير ،  
فبهذه العلامات الاعرابية والنحوية نستدل من السياق على  
الصفة والموصوف وكذلك في اسناد الخبر الى المبتدا او في  
العطف ، وغير ذلك من ابواب النحو. نستدل على معنى اضافي  
في اللفظ في سياق الجملة ان كان صفة ام ظرفا ام حالا أم غير  
ذلك.

---

وقد يشترط النحو صيغا صرفية معينة دالة كصيغة المصدر في  
المفعول المطلق والصيغ المشتقة في الاحوال والصفات  
والاسماء الجامدة في التمييز.

فالاعراب لا ينحصر في بحث دلالة الحركات ومواضع  
الكلمات فقط، فهو ليس تحليلا لفظيا محضا، بل يحل ايضا  
علاقة المعاني ببعضها البعض في الجمل كتقدير ا لمحذوف،  
والذي يدخل في التحليل المعنوي العقلي لتراكيب الجمل . وعند  
اعراب ابیات الشعر مثلا ، يجب ان يُسبق بشرح وتفسير  
الابیات اولا ، وتبعا للمعنى يجري الاعراب .

#### (4)- الدلالة البلاغية:

من تقديم وتأخير، وتعريف وتنكير، وحذف وإيجاز، وإسهاب  
وأطناب، ومن حقيقة ومجاز وفي هذا المستوى يبدأ الخطاب  
بالتحرر من القواعد اللفظية نحو افاق المعاني العقلية المجردة.

فبعد ما أُرسيّت قواعد اللفظ، أصبح بالامكان اعاده تشكيل  
الالفاظ في جمل وسياقات، تبعا لمقتضيات الخطاب، وفق قواعد  
بلاغية تحدد الاسلوب البلاغي الذي تقتضيه مقاصد المتكلم وما  
هو مراد من وراء كلامه.

وهكذا فبالقديم والتاخير كقديم الخبر، وتقديم المفعول على الفاعل، وتقديم الصفه على الموصوف، تتبع في ذلك مقاصد المتكلم، فالتقديم يدل ان المقدم هو مركز الاهتمام وفحوى الخطاب. فالمعنى ومقاصده هنا، تفرض نفسها على قواعد اللفظ في تحديد المرتبه الدلاليه للمتقدم والمتاخر، والمتقدم بغض النظر عن القواعد اللفظيه التي تحدده، يصبح هو الموضوع الذي يسلط الضوء عليه.

وفي اسلوب الحذف الذي لا يتم معنى اللفظ الا بتقديره تجاوز قواعد اللفظ، قد تفرضه مقتضيات الخطاب منعاً من الاطاله والتكرار او غير ذلك من متطلبات البلاغه . ويتم تقدير المعنى المحذوف تقديرًا معنويًا عقليًا وليس لفظيًا، كقولنا : جاء زيد وعمرؤ اي وجاء عمرو وهي دلالة تسمى دلالة الاقتضاء يتم فيها تقدير محذوف لا يتم المعنى الا به.

وفي المستوى البلاغي قد يتجاوز المعنى اصل الوضع ليبدل اللفظ على معنى غير المعنى الموضوع له اللفظ اصلاً كما في صيغ المجاز.

## ب- الدلالة المعنويه :

هنا على ارضيه المعنى، الالفاظ ليست سوى علامات دالات على المعاني، لا إمارات، فقد تم عصر فحوي الكلام، واستخلاص اللب من خلال ما يدل اللفظ عليه من معان، وحن

---

وقت التفكير في المعاني مجردة عن قواعد اللفظ. لنتساءل كيف يدل معنى على معنى؟ ما صلة علاقه بين معنى واخر؟

ان العقل يفكر بماهيات مجردة هذه الماهيات ترتبط بنسيج منطقي، يصح تسميته منظومه، هي اشبه بالجدول الدوري في الكيمياء، لكل عنصر فيها خانه محدده ، باسم وعدد ذري وماهية تتبع ذلك، وتنتظم تلك العناصر تبعا لخصائصها في انواع وزمر محدده . ان خيوط النسيج المنطقي الذي يربط بين المعاني هي العلاقات التي تحكم معنى بمعنى.

والمعاني ترتبط ببعض عن طريق المقارنه اولا ، فان كان ثمة وجه للمقارنة بينهما من مطابقه او مقابله او مقاربه صار بينهما علاقه . فإما علاقه بسيطه كعلاقه الاقتران كل طرف فيها مستقل عن الاخر، ومستغن عنه، او قد تمضي علاقه الاقتران الي ارتباط كما في العلاقات التركيبية، مثل المتداخله من تضمن واضافه، او المتخارجه كالعليه واللزم.

فان خرج المضمون من رحم ال تضمن وظهر مضمونه الى الوجود المعنوي واللغوي ظهور الجنين الى الحياه ، صار المتضمن علة المضمون الذي غدا بظهوره معلولا.

وقد بحثت العلاقات بالتفصيل في الباب الرابع، ودلاله المعنى على المعنى ليست سوى بيان للعلاقه التي تربط بينهما.



اذن دلالة المعنى على المعنى تتبع علاقه المنطقيه بينهما، فالمعنى يدل على قرينه، إما بالمطابقه او بالمقابلته بين اعداد ونقائض، او يدل عليه بالمقاربه كالترادف والتواطؤ . و دلالة الاقتران بسيطه ؛ لان الدال والمدلول فيها مستقل احدهما عن الاخر ، فهي تدل على علاقه ، لكن بغير ارتباط .

اما الدلالات التركيبية فكدلالة الشكل على المضمون والعكس في اطار علاقه التضمن ، وكذلك ففي تضمن العام للخاص دلالة كل منهما على الآخر.

اما علاقه الاضافه التركيبية ففيها تقييد لما هو مطلق في المعنى، والتقييد ليس سوى ارتباط المطلق في علاقه، فعلاقه الصفة بالموصوف تقييد وتحديد، وسائر علاقات الاسناد ايضا ، من حال ومحل وظرف ومظروف فيه كالمكان والزمان.

فإن كان النحو هو الخط الفاصل بين الدلاله اللفظيه والمعنويه، فإن البلاغه هي المخاضه الاخيريه التي يخوضها اللفظ على اطراف حدود ارض المعنى ، ليتجرد ثم ينساب مع مياه تلك المخاضه تاركا الارض للمعاني المجرده عن قواعد اللفظ . لنجد ان اللفظ اطار يحدد في الغالب دلالات لفظيه سبق ذكرها.

اما على ارض المعنى فيتجلى مضمون الكلام في دلالة المعنى خالصه متحرره من اللفظ والشكل تحررا ما .

---

فعند مستوى المعنى البسيط أي المطلق غير المقيد بعلاقه ،  
كلمة انسان على المستوى اللفظي الشكلي تدل على اسم مفرد  
مذكر ، في حين انها على مستوى المضمون ذات معنى عام  
يشمل معنى كل واحد من الناس ذكرا كان ام انثى ، وكذلك كلمه  
قوم وامه .

اما عند المعاني التركيبية المقيدة بعلاقات بين معنى واخر ،  
كما بين معنى كلمه وكلمه ، اوبين معنى كلمه وجمله ، اومعنى  
جمله وجمله ، في سياق يجري تبعا لغرض الكلام والمتكلم . فقد  
يتطلب المضمون الذي هو مقصد الكلام ، تقديم ما يؤخره اللفظ  
والشكل او العكس ، او قد يتطلب الایجاز او الاسهاب ، او قد  
يجاوز الشكل واللفظ في اصل الوضع الى معنى اخر مجازي .  
فهو يتحرر بذلك تحررا ما من قيود الشكل واللفظ .

لذا قد تختلف طبيعة العلاقه بين المعاني من حيث المضمون  
عنها من حيث الشكل والالفاظ .

وعلى ذلك فان الدلاله تبعا للعلاقه بين المعاني التي فصلت في  
الفصل الرابع، تنقسم الى:

### دلالة اقتران :

وهي دلالة بسيطة مستقل كل طرف فيها عن الاخر ،  
ولا يرتبط به ، انما يقارن به قرنا لقرن ، فيدل القرين  
على قرينه والشبيه على شبيهه والضد على ضده .

---

وتنقسم تبعا للعلاقة : الى دلالة مطابقة ومقابله  
ومقارنه .

1- دلالة المطابقة كمطابقه معنى الام لمعنى الوالد .

2 - دلالة المقابله : هي تقابل وتواجه بين طرفي العلاقة:

أ- تقابل الملكة والعدم:

هو تقابل الوجود والعدم، او من يملك يقابل من لا يملك، وعموما هو تقابل الاثبات والنفي في دلالة المعاني، كمعنى مبصر يقابل ويدل على معنى لا مبصر الذي هو الاعمى فاقد ملكة الابصار، كذلك فمعنى العلم يقابل معنى الجهل او اللاعلم . ووفق هذا يمكن اعتبار التصورات مثلا تقابل الافكار ، من حيث ان التصورات تدل او ان لها عيان ، في حين ان الافكار ليس لها عيان لتدل عليه .

ب- تقابل الأضداد والنقائض :

كتقابل معنى الصدق ومعنى الكذب ليس تقابل و جود وعدم ، ذلك ان الصدق يقابله اللاصدق والكذب : اللاكذب في تقابل الملكة والعدم ، اما هنا فالموجود يقابل ما دون العدم ، كتقابل السلب والايجاب يتوسطهما عدم .

---

ومعنى الصدق يضاد معنى الكذب ، إن فرضت بينهما اوساط كاللصدق واللاكذب، او كالأقل والاكثر صدقا او كذب، فان لم يفرض بينهما اوساط سميت متناقضة، كافتراض ان الافعال اما خيره او شريره ولا ثالث بينهما، وان الاقوال اما صادقه واما كاذبه ، بغير توسط فهذا تقابل المتناقضة . والدلالة هنا هي في دلالة الضد على ضده و النقيض على نقيضه .

### ج- دلالة التقابل في علاقة التضاييف :

معنيان متضاييفان يقابل احدهما الآخر ، كمعنى الاب ومعنى الابن، فمعنى الاب هو أب الابن، ومعنى الابن : ابن الاب، يتقابلان على التضاييف مثلما يتقابل معنى الضعف ومعنى النصف ؛ فمعنى الضعف ضعف النصف ، ومعنى النصف نصف الضعف.

### 3- دلالة المقاربة بين المعاني:

وهي دلالة مطابقه جزئية بين معنيين في قاسم مشترك بينهما:

- **دلالة الترادف :** كدلالة معنى الحسام على معنى المهند، ودلالة معنى من يرتق الفتق على معنى من يرقع الخرق . وقد بينا في الفصل الرابع بم يختلف الترادف عن المطابقة ، وعلى ان ثمة فرق بين المعاني العربيه المترادفه.

- **دلالة التواطؤ :** كمعنى الحصان ومعنى الجمل والاسد متواطئه تحت معنى الحيوان ، الذي هو اسم نوع يحمل معناه على أفراداه بالتساوي.

- **دلالة التشارك والاشتراك:**

- **باللفظ كمعنى عين** يقال للباصره ويتشارك مع معنى عين الماء في اللفظ، لذلك يدل احدهما على الآخر بقدر هذه العلاقه اللفظيه.

- **بالمعنى كتشارك معنى القمر والشمس والنجوم في معنى عام** هو انها اجرام سماويه لذا هي متقاربه في قاسم مشترك يجعل كل معنى منهما يدل على الآخر .

- **باللفظ والمعنى :** كالاخ والصديق والشبيه ؛ فالمدلول عليه هنا او المسمى يقابل في دلالته الآخر مع انها مشتركان باللفظ .

## 2- الدلالات التركيبية:-

أ- المتداخله : وهي التضمن والاضافه، ودلاله التضمن مضمرة في حين ان دلالة الاضافه معلنه باللغه ، وقد تدل الكلمه على معنى متضمن فيها، كالقوم والجيش والانسان، فالقوم والجيش مفرد مذكر من حيث دلالة اللفظ لكن معناها يتضمن مجموعا، كذلك اسم الانسان يدل على كل واحد من الناس ذكرا ام انثى فهو اسم نوع.

والعام بما يتضمن الخاص يدل احدهما على الاخر ، وكذلك الكل والجزء ، والاصل والفرع.

كذلك تدل الجمل على تضمن وهو الغالب الاعم:

فقول الفرزدق :

ما قال لا قط الا في تشهده

لولا التشهد كانت لاؤه نعم

يتضمن ان المذكور بالمدح كان عبدا، فالتشهد من اركان الصلاة والعباده.

وقال قيس بن ساعده : ايها الناس اسمعوا وعوا، خطاب عام للناس يدل على تضمنه خطابا لكل واحد من الناس، فعمومية الخطاب تتضمن خصوصيته .او العكس كقول الفاروق رضي

---

الله عنه : من رأى منكم فيّ اعوجاجا ، فليقومه ، خطاب يخص واحدا مفردا لفظا ، يتضمن العموم .

اما دلالة الاضافه فليست اضافه لفظيه فقط كما في المضاف والمضاف اليه، بل اضافه معنويه في كل ما يدل على معنى مضاف الى المعنى الاول .

ففي صيغ الجمع اضافه وحده الى وحده اخرى، فتدل آحاد المجموع على وحدات أخر، كالمعلمون يشمل معناها كل معلم، فمعنى . المعلم يدل على اخر بما هو مجتمع معه في معنى المعلمون.

وفي العطف يدل المعطوف على المعطوف عليه في الاشتراك والترتيب .

وفي المضاف والمضاف اليه تركيب صريح ، وقد يدل التركيب على معنى التخصيص كثوب حرير، وعلى التعريف كقولنا ثوب الحرير، وهو الثوب المتعارف عليه بين طرفي الخطاب.

ودلالة الاسناد دلالة اضافه يدل فيها معنى المسند على معنى المسند اليه والعكس ؛ فالموصوف يدل بمعناه على الصفة، والصفة تدل على الموصوف، كالابيض يدل على البياض، كما أن معنى البياض يدل على ما هو حامل له وهو الابيض ، وكذلك الامر في اسناد الخبر الى المبتدأ والفعل الى الفاعل.

---

واسناد الحال الي المحل يدل على انفعال وعلى هيئة ، واسناد  
الظرف الي المظروف يدل على معنى الزمان والمكان . فتبذل  
الادوار في الدلالة بين الدال والمدلول ، بحيث يصبح المدلول  
دالا ايضا ، تشير الى طبيعة العقل الجدليه .

#### ب- الدلالات التركيبية المتخارجه:

وهي دلالة العليه وتتمثل هذه الدلالة في خروج المعلول من  
العلة التي تضمنته ، ليدل المعلول على العلة بدءا ، ثم يُدل على  
المعلول بالعله بعد ذلك تبعا لطبيعة العقل الجدليه .

والعلل تبعا لطبيعتها اما طبيعيه أو عرفية او عقليه.

والعله العرفية تتمثل بالشرط، فان وجد المشروط وجد  
الشرط ، وإن عُدم الشرط عُدم المشروط، لكن قد يكون  
شرطا بغير مشروط، وهذا تعريف العلة الناقصة، في  
حين ان العلة التامة في وجودها وجود للمعلول ، فشرط  
دخول الجامعة مثلا انتهاء دراسته الثانويه، فالمشروط  
(دخول الجامعة ) يدل على الشرط (انتهاء الدراسة  
الثانويه) ، لكن وجود الشرط الذي هو انتهاء الدراسة  
الثانويه ، لا يدل بالضروره على المشروط الذي هو في  
دخول الجامعة ، ومعنى الشرط قد يدل على معنى  
المشروط ايضا بما هو ممكن، ليدلنا معنى انتهاء  
الدراسة الثانويه على معنى امكانية دخول الجامعة.



---

اما العلل العقلية فتتمثل في معنى اللزوم: لزوم معنى عن معنى ، كلزوم النتائج عن المقدمات في الاستنباط ، أو العكس كما في الاستقراء . و تعريف العله بانها ما ينتج عنه اخر ، سواء كان اثرا ام شيئا ام فعلا ام قولاً ام معنى ، كما ذكر في الفصل الرابع .

وان كان اللازم عنه (أ) واللازم (ب) :

فان كان (ب) كان (أ) لزوماً، وان لم يكن (أ) لم يكن (ب) بالضروره ، وهذا تعريف العله الناقصه ، أما في اللزوم فبالاضافه ايضا ، ان كان (أ) ، لزم عنه (ب) بالضروره ، وهذا تعريف العله التامه فاللزوم العقلي إذن عله تامه .

وبما أن المتلازمات علل عقليه تامه ، ووجب عدم خلطها بالعلل الطبيعیه ، فإن في العلل التامه استدلال بالضروره على اللازم من اللازم عنه وكذلك العكس بالضروره ايضا ، اما في الناقصه فنستدل على العله من المعلول ضروره ، لكن يمكن ايضا الاستدلال بالعله على المعلول لا بالضروره ، فكما يفترض ان نستدل بالضروره على المرض من المريض ، يمكن ان نستدل على المريض ايضا من المرض ،

## الدلالة السببيه :

نفرد هذه الدلالة بالبحث بعد دلالة العلية مباشرة ، لترسخ ارتباط اللفظ بمفهوم العلية ، وكذلك ترسخ المفهوم السائد عن السببيه بحيث لا يفرق بينهما، فالسائد ان هذين المفهومين مترادفان والواقع كما بينا في فصل العلاقات ان معنى السبب لغويا هو الحبل الواصل بين عالة البئر والدلو الذي يُعَلُّ منه الماء.

ومفهوم السبب ما يتوصل ويتوصل به الى غيره سواء كان عله ام غير ذلك.

وفي الصفات التي تلحق العلاقات ، بيّنا ان العلاقة توصف اما بالمباشرة او غير المباشرة ؛ وكذلك اذن حال الدلالة اما مباشرة او غير مباشرة ، ويتوصل الى ربط الدلالات غير المباشرة عن طريق الاسباب ، فاذا كان أ ب وكان ب ج فإذن أ ج ، و ب إذن متوسط يربط طرفي العلاقة فهو سبب، كمعرفتنا معنى الالتهاب عن طريق الحرارة، فنقول فلان مريض يعاني من حراره، والحراره تدل على التهاب، إذن هو يعاني من التهاب، فالالتهاب عله المرض، والسبب الذي اوصلنا للعله هو الحراره.

---

فالسبب دلاله على العله وعلى سواها لا مباشره بل عن طريق سبب.

ومن ذلك قصه ابي العلاء المعري مع الشريف الرضي فعندما التقى المعري الشريف الرضي في العراق، اخذ الرضي بالنيل من المتنبي وذمه وكان المعري شديد الاعجاب بالمتنبي، فرد قائلاً لو لم يقل المتنبي الا بيتاً واحداً لكفاه ذلك شرفاً، وذكر البيت:

لك يا منازل في القلوب منازل .

فأمر الرضي بضربه فما سبب الضرب اذن؟

السبب ان هذا البيت ورد في قصيده المتنبي التي من اشهر ابياتها : فاذا انتك مذمتي من ناقص فهي الشهادة لي باني كامل .

فالبيت الذي ذكره المعري هو سبب ؛ لدلالته على البيت الاخر الذي هو علة ضرب الرضي للمعري.

ويمكن ان تسمى هذه الدلالة بدلاله اشاره مقصوده، لان ذكر البيت الاول يشير الى البيت الثاني اشاره مقصوده، تمييزاً لها عن دلاله الاشاره في الفقه التي هي غير مقصوده.

---

ومن الدلالات السببيه : دلالة التلميح، كقول شيء والمراد به شيء آخر، كقولنا بوجود احدهم العقل زينه، تلميحا الى غبائه، بدلاله تقابل غير مباشره عن طريق توسط سبب ، هو معنى ان نقص العقل قبح الذي يقابل المعنى المذكور اولا .

والدلالة غير مباشرة دلالة معنويه عقليه وليست لفظيه، يدلنا معنى على معنى اخر وذلك بتوسط سبب عقلي يدل على المعنى المراد.

وكل لفظ يدل دلالة غير مباشره على معنى اخر غير مقصود لفظا بل بالمعنى ، فهي دلالة سببيه ذلك ان هذا المعنى الاخر يتوسل ويتوصل اليه عن طريق سبب.

والدلالات المعنويه اذن، تحكمها علاقات منطقيه عقليه محدده وهذه الدلالات تتجلى على مستوى الكلمه والجمله والسياق.

وفي السياق تتجلى الاساليب البلاغيه في الوصول الى نفس المخاطب عبر دلالاتها المعنويه، **ودلالة السياق** قد تتجاوز قواعد النحو من تقديم وتأخير، وحذف، و من دلالات مجازيه تتجاوز دلالة اللفظ في اصل الوضع.

والبلاغه في اساليبها تحكمها دلالات معنويه، ففي دلالة الاقتضاء مثلا، وهي تقدير محذوف لا يتم المعنى الا به، اللفظ الدال ناقص بالحذف البلاغي ويتم عن طريق المعنى، فاللفظ

---

هنا جزئي في دلالاته، وعن طريق ربط المعنى بمعنى آخر يتم،  
كقوله تعالى (اسأل القرية) والقرية لا تسئل بل أهلها، والتقدير  
اسأل أهل القرية ، وقد يستدل على محذوف من معنى آخر  
بدلالة السياق ، كقولنا زيد أتى وعمرو، فعمرو أتى تقديرا  
لمحذوف يستدل على معناه من معنى آخر في السياق هو الجملة  
الاسمية المعطوف عليها.

والعطف دلالة اضافة يتبع المعطوف فيها المعطوف عليه لفظا  
ومعنى، ليقدر المعطوف جملة اسميه تقتضي ان عمرا أتى  
ايضا.

وان كان المسند هو مقصود الكلام، يتقدم ذكره ذكر المسند اليه  
في اساليب البلاغة من تقديم وتأخير، والغاية تقديم ما تؤخر  
قواعد النحو لجلب المتأخر الى مركز الاهتمام لأنه مقصود  
بالكلام أكثر من المسند اليه.

## 2- دلالة المقام

وهي دلالة ما يحف بالمقال من ظروف واحوال ، فمقام المدح يفرض اسلوبا على السياق مختلفا عن اسلوب المدح، ومقام التهئة يختلف في صياغته عن مقام التعزية، فالمناسبة تفرض نفسها على صياغة الاسلوب ويرجع اليها فيما استشكلت دلالاته.

ومنها ما يحف بالمتكلم، وحالته الانفعاليه مثلا من فرح وحزن، او صفاته من رجحان عقل او سفه ومنها ما يحف بالمخاطب، فان كان خالي الذهن مثلا يتجرد الخبر عن التوكيد، اما ان كان مترددا شاكا فيؤكد ، وان كان منكرا ، قد يؤكد بمؤكّد او اكثر كقول الشاعر : ألا إن اخلاق الفتى كزمانه . فتم التوكيد بالأا وإن .

فدلالة المقام مع انها دلالة خارج اطار المقال، قد تفرض نفسها على الكلام وسياقه لذلك جعلت قرينه على فهم مضمون الخطاب.

### الدلالة الصوتيه في النبروا لتنغيم:

من خفض الصوت او رفعه، ومن مده او قطعه، ومن تشديد على مخرج صوتي بعينه كما في صيغ الامر ، اوفي التمييز بين صيغة الاستفهام والتعجب، فتتطق جملة : كم كتاب عندك

---

في الاستفهام بطريقه نطق تختلف عن التعجب ، فالتفرقه بين  
الاستفهام والاستنكار صوتيه.

فالتنغيم والنبر يتضمنان دلالة لكن خارجه عن المقال، فهي  
ليست من صلب اللفظ بوضعه الاول، بل عارضه عليه.

وقد اشار علماء العربيه كابن جني الى الدلالة الصوتية لكن لم  
يفردوا بابا خاصا بها، وربما مرد ذلك انها متعلقه بالمشافهه،  
وما تنبي به النبرات من قصد المتكلم وانفعالاته عند المشافهه،  
يصعب في الكتابة تمييز نبره عن اخر ، اللهم الا عند  
استعمال علامات الترقيم للتمييز بين الاستفهام والتعجب .

كذلك فلهج الالفاظ يتغير من بيئه لأخرى تبعا للهجة كل بيئه  
في طريقة نطقها ، وكثيرا ما نستدل **بدلالة اللهجة** على اهل  
منطقة بعينها.

والحركات الاعرابيه من ضم وفتح وكسر : دلالات صوتيه  
لكن في اصل الوضع ، لتتبع دلالتها النحويه حركات هذه  
الاصوات فهذه الحركات النحويه باصواتها من ذات اللفظ غير  
طارئة عليه كباقي الدلالات الصوتيه .

و في التنغيم خفض للصوت او رفع، واستطاله أو قطع.

وفي النبر تشديد على مقطع صوتي او الجهر به كما في صيغ  
الامر والتوكيد والنهي، وفي الصرف مثلا عند تشديد حرف  
تتغير دلالاته الصرفيه كما في صيغه فعل المتعديه والتي تدل  
على المبالغة ايضا.

---

فالنبر والتنغيم عارضه على اصل الوضع ، اما حركات  
الاعراب و تشديد الحرف عند التصريف، فهذه باصل الوضع.

وقد ذهب علماء العربيه الى الاستدلال على دلالة الحرف من  
طريقه نطقه فقال **الخليل بن احمد** في معرض ذكر الدلالة  
الصوتية الطبيعية (صوت الجندب لما فيه من استطاله صر،  
وصوت البازي فيه تقطيع فقالوا صرصر) ومن ذلك ان الصاد  
اقوى من السين جعلت للصد والسين للسد، وقسم اقوى من قسم  
، واختيرت القاف للقضم لقوتها ، فللقضم اكل اليايس في حين  
ان الخضم للطري.

وعليه فعدا الحركات الاعرابيه، ودلاله تشديد الحرف عند  
الصرف، فالدلالة الصوتيه تخرج عن وضع اللفظ الاول  
وبالتالي عن دلالة المقال لتدخل دلالة المقام.

وفي هذا المقام يستشهد البلاغيون ببيت شعر يدل على المقام:

وصكَّت وجهًا بيمينها :

ابعلّي هذا بالرحى المتقاعس !؟

فلو لم يذكر صكّها لوجهها استنكارا لما قيل عن زوجها ،  
لفهمت الصيغه استفهاما او تعجبا لكن دلالة المقام في لطم الوجه  
تدل على استنكار.



## اطوار الدلالة

### او تقلب دلالة المعنى عبر تاريخه

1- من الدلالة العيانية الى الدلالة المجردة :

تمتاز العربية عن سائر لغات الارض بخيط تاريخي متصل من المعنى المجرد الى المعنى العياني في دلالاته عبر تاريخ عريق يصل الى حدود لغة البشريه الام ، وهذا ما تثبته النقوش القديمه في منطقتنا العربية بي ما بعد يوم.

ولو تمعنا في مصطلحات القضاء مثلا : كالكشك والطعن في الاقوال ، وبمصطلح القضاء ، وفي جمل مثل : قضى القاضي وحسم القرار والحكم .... الخ ، جميع هذه المعاني في دلالتها المعنويه المجرده ترجع الى دلالات عيانيه في أصل وضع اللغه ؛ فالكشك والطعن للرماح والسهام والحسم للحسام والقضاء يكون بلأحدها.

وكذلك في الاصطلاح على المفاهيم العقلية يُ رجع الى الدلالة العيانية الاولى، فالوعي مثلا هو استيعاب بالفهم، من الوعاء واستيعابه ما يعي، والعقل من ربط الابل وعقلها ، والحكم من إحكام الربط ودلالة الدلالة ترجع الى الدلالة ع لى الطريق ، ومن الدلالة التاريخيه للمعنى نستدل من المعنى العياني الاول على المعنى المجرد وكذلك العكس.

---

فالاصل العياني لدلالة المعنى، يثبت مفاهيم المعاني المجردة في اذهاننا عند ربطها ببعض فنسترجع المعنى ان غاب عن اذهاننا بطريقة الربط هذه.

وهذا الربط ليس سوى عرافة تاريخيه اكتسبتها اللغة، تزيد من غنى مضامين العربية ودلالاتها على غنى.

## 2- اطوار الدلالة بين التعميم والتخصيص:

قد يكون معنى ذا دلالة عامه ثم يخصص، وهو الاغلب كالحج بالاصل قصد تلبية الحاجه من الله، ثم خص معناه بشعائر الحج المتعارف عليها. ومعنى النحو من الناحيه والجهه، فيقال اتجهت نحوك، ونحوت نحوا بعيدا، وتنحى جانبا، ونواحي الارض جهاتها، ثم حصرت دلالة المعنى في علم قواعد اللغة.

كما ان دلالة معنى الفقه هي التعمق في لفهم ثم خُصرت بعلوم الشرع.

وتسميه الكتاب هذا بفقه المعنى تعميم الدلالة من بعد تخصيص ، مثلها كان مدلول الفقه عاما ثم خصص لعلوم الشرع .

فقد تكون دلالة المعنى خاصه ثم تعمم وهو الاقل ، كورود الماء صار يدل على معنى الورود عامه فيقال وردني كتابك، واورده موارد التهلكه ، واستورد وورّد... الخ .

---

3- تقلب المعنى بين الحقيقة والمجاز في دلالاته واستعمالاته والمجاز ماجاز المعنى الاصلي وجاوزه.

وقد ترسخ استعمال المعنى المجازي ودلالاته، فنقول : دارت الايام، وحقيقةً الايام لا تدور، ويسمى مصدر الماء عين من الباصرة عندما تدمع، وطول الباع يدل على المقدره ، ويقال اسنان المشط واسنان المنشار.

فكل هذه المعاني المجازيه تغ يرات دلاليه طرأت على المعنى في سيرورته اللغويه التاريخيه.

واسباب تقلبات المعنى في اطواره التاريخيه ترجع الى ما قاله الجاحظ بان قوالب اللفظ محدودة في حين ان المعاني لا حصر

له  
لكن ابن رشيق القيرواني رد عليه : الا العربيه فالفاظها اوسع  
من معانيها والله اعلم .

---

## خاتمه

ومع كل ما نحاول من فصاحه ، يبقى ثمة فرق بين القول والمقول عليه، وفرق بين ما نقول وما نريد قوله فعلا، واللغه لا تقول كل ما يراد قوله انما تغتني في مجرى سيرورتها وصيرورتها لاكتساب معان ودلالات وطرق تعبير جديده.

وكلما نظرنا الى اللغه بعين والى المضمون الفكري بالعين الاخرى اقتربنا من اللغه المثاليه التي نصبو اليها.

جمال حسنين أبوطوق

2022

---